

مجلة القلزم



ISSN: 1858 - 9766

مجلة علمية محكمة ربع سنوية
تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر الخرطوم - السودان

- أ.د. محجوب محمد آدم
القلزم دراسة في الدلالات اللغوية
للإسم، وطلتها بسيرة موسى عليه السلام
- دكتورة / سلمى عثمان سيد أحمد
الأهمية الإستراتيجية لجزر البحر الأحمر
- د. حاتم الصديق محمد حمد
إدارة سواكن في العهد العثماني (1520-1866).
- د. أحمد بن يحيى آل فائع - أ. فاطمة بنت حسن شريفان
جهود هاشم النعمي في الكتابة التاريخية

العدد الأول شعبان 1441 هـ - أبريل 2020 م

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية - السودان
مجلة القلزم: **Al-ghulzum Journal Scientific**
الخرطوم: مركز دول حوض البحر الاحمر 2020
ربع سنوية تصدر عن دار القلزم لطباعة والتشر السودان
ردمك: 9766 - 1858

هيئة تحرير مجلة القلزم العلمية المحكمة ربع سنوية
تصدر عن مركز بحوث ودراسات دولة حوض البحر الاحمر وكلية المناهل
للعلوم - السودان



ISSN: 1858 - 9766

الهيئة العلمية والاستشارية

- أ.د. يوسف فضل حسن (السودان)
أ.د. علي عثمان محمد صالح (السودان)
أ.د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي
(المملكة العربية السعودية)
أ.د. أبوبكر حسن محمد باشا (السودان)
أ.د. محجوب محمد آدم (السودان)
أ.د. سيف الإسلام بدوي (السودان)
أ.د. صبري فارس كماش الهيتي (العراق)
أ.د. محمد البشير عبدالهادي (السودان)
د. علي صالح كرار (السودان)
د. سامي شرف محمد غالب (اليمن)
د. محمد عبدالرحمن محمد عريف
(جمهورية مصر العربية)

رئيس هيئة التحرير

د. حاتم الصديق محمد أحمد

رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسين شبا

نائب رئيس التحرير

د. سلمى عثمان سيد أحمد

سكرتير التحرير

أ. عثمان يحيى

التدقيق اللغوي

د. مجتبى نور الدائم حسن (السودان)

د. خالد بابكر الدرديري (السودان)

الإشراف الإلكتروني

د. بهية فهد الشريف (المملكة العربية
السعودية)

التصميم والاعراف الفني

أ. إيلين عبدالرحيم إبنعوف (السودان)

الاراء والافكار التي تنشر في المجلة تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن اراء المركز

ترسل الاوراق العلمية عبر العنوان التالي

هاتف: +249121566207 - +249910785855

بريد إلكتروني: rsbcsrc@gmail.com

السودان - الخرطوم - اسوق العربي عمارة جي تاون الطابق الثالث

قواعد النشر في مجلة القلزم العلمية المحكمة للدراسات التاريخية والآثارية

مجلة ربع سنوية تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان
- الخرطوم بالتعاون مع كلية المنهل للعلوم

تعريف المجلة:

مجلة (القلزم) مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر. تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التي تخص حوض البحر الأحمر والدول المطلة عليه والمواضيع ذات الصلة.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشار إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الاجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R).
5. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية
6. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
5. لا تلتزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
- * على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف، البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية

السودان - الخرطوم - السوق العربي - عمارة جي تاون - الطابق الثالث

121566207-Tel:+249:910785855

E-meil:rsbcrsc@gmail.com

تقديم

إن المجلات العلمية المتخصصة في قضايا وشئون البحر الأحمر قليلة ونادرة، وكانت هذه إحدى الدوافع لإصدار مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - بالتعاون مع كلية المنهل للعلوم - مجلة القلزم العلمية المحكمة، وجاء إختيار إسم القلزم بإعتباره من اقدم الأسماء التي إشتهر بها البحر الأحمر، وفي متن هذا العدد دراسة تناولت التعريف بالقلزم، وعدة موضوعات متنوعة تناولت التاريخ والصلات الحضارية والثقافية بين دول حوض البحر الأحمر إلى جانب الأهمية الإستراتيجية والجغرافية للبحر الأحمر.

كما تعلمون سادتي إن هذا هو العدد الأول من المجلة وقد آثرنا أن نقوم بنشرها إلكترونياً في موقع المركز في ظل الظروف الصحية التي يعيشها العالم ودول حوض البحر الأحمر في هذه الأيام بسبب جائحة كورونا نسأل الله السلامة للجميع، على ان يعقبه أعداد تالية بعد الإستجابة الكبيرة من الباحثين في مد المجلة بمادة علمية وفيرة ونطمح مستقبلاً في إصدار أعداد متخصصة تغطي كل المحاور والمجالات التي تهتم بقضايا البحر الأحمر ودوله، كما أن إدارة المركز تسعى جاهدة في إفتتاح (دار القلزم للطباعة والنشر والتوزيع) (ومن ضمن أغراضها إصدار النسخ الورقية من هذه المجلة وغيرها من إصدارات علمية وثقافية واجتماعية وغيرها. وأخيراً نتقدم بخالص الشكر والتقدير والإمتنان لكل الذين دعموا مسيرة مشروعات المركز العلمية المختلفة، آملين مزيداً من التفاعل من قبل المختصين والباحثين والمهتمين لمد المجلة بمساهماتهم العلمية الجادة، وتعتذر هيئة التحرير في تجاوز بعض موجهات النشر في المجلة وخاصة ما يتعلق بنظام التوثيق الموحد على أن تلتزم بذلك في الأعداد القادمة للمجلة بإذن الله.

هيئة التحرير

الفهرس

1. القُلُزُم دراسة في الدلالات اللغوية للاسم، وصلتها بسيرة موسى عليه السلام
أ.د. محجوب محمد آدم..... 24 - 6
2. الأهمية الإستراتيجية لجزر البحر الأحمر
دكتورة / سلمى عثمان سيد احمد..... 44 - 25
3. إدارة سواكن في العهد العثماني (1866-1520)
د. حاتم الصديق محمد حمد..... 62 - 45
4. جهود هاشم النعمي في الكتابة التاريخية
د. أحمد بن يحيى آل فائع - أ. فاطمة بنت حسن شريفان..... 106 - 63
5. جزيرة بريم (ميون) وأهميتها التاريخية والاستراتيجية في البحر الأحمر
من منتصف القرن التاسع عشر الى القرن العشرين
د أمل عبد المعز الحميري..... 125 - 107
6. دور العلماء الحضارم العلمي والديني
في مدينة عدن خلال المدة (1930-1990م)
د. خالد عبدالله عبدربه طوخل..... 169 - 126
7. أمن الطاقة والصراع الاستراتيجي للقوى العظمى
في منطقة حوض البحر الأحمر
د. ابوبكر فضل محمد عبدالشافع..... 192 - 170
8. دور المنظمات الإنسانية في معالجة آثار الهجرة القسرية (دراسة حالة السودان 2019-م)
د. غادة الهادي يوسف أحمد..... 215 - 193
9. أسلوب الجدل في الدعوة الإسلامية، وأغراضه
د. عبدالرحيم عبده عمر..... 232 - 216
10. واقع الجريمة بولاية كسلا شرق السودان دراسة تحليلية.
إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب - حاج حمد تاج السر حاج حمد..... 253 - 233

القلزم

دراسة في الدلالات اللغوية للاسم، وصلتها بسيرة موسى عليه السلام

أ.د. محبوب محمد آدم

جامعة الزعيم الأزهري - كلية التربية

مستخلص

هذه الدراسة معنية بكشف دلالة اسم القلزم، وصلة بلدة القلزم بالبحر الأحمر، وأحداث ميلاد موسى عليه السلام وإغراق فرعون، فما أكثر ما نتبناه حيال أحداث سيرة هذا النبي ووقائعها من أفكار وآراء ترسخت في وعينا كما وصلتنا من الأجيال السابقة، وهيمن على عقولنا وسيطر على تصرفاتنا، دون إخضاع لمسلماتنا الفكرية أو تصرفاتنا حيالها لنقد علمي نتبصر به ما ينبغي لنا أن نتخذه من رؤى ومواقف. وهذه الحقيقة تدعو لتحليل هذه الأحداث والوقائع في إطار تاريخي ومنهج لغوي. وذلك تلافياً للغموض في الدلالات والوقائع، ومراجعة نقدية لفكرنا في تناول سير أنبياء الله عليهم السلام من زواياها المختلفة، وربطها ببيئاتهم الجغرافية والاجتماعية، وإعادة النظر في مقاصد كل سيرة، على نحو ما اضطلعت به هذه الدراسة الموجزة في تناول سيرة موسى عليه السلام من خلال تحليل دلالة اسم الموقع الذي عاش فيه، وما يرتبط به من مواقع وأحداث في السيرة. وتبرز أهمية هذه الدراسة في إعادتها النظر في جوانب من سيرة نبي الله موسى عليه السلام، ومن ثم مناقشة رؤى من تناولوا هذه الوقائع؛ تحقيقاً لأهداف الدراسة، واستخلاص نتائجها، وتجعل منها تدبراً مطلوباً في كتاب الله الواضح، وتبصراً لما نتبناه من أفكار.

Abstract

This study is concerned with revealing the significance of the name Al-Qalzam, the link of the town of Al-Qalzam to the Red Sea, and the events of the birth of Musa, peace be upon him, and the dumping of Pharaoh. Without subjecting our intellectual assumptions or our actions towards them to scientific criticism, we gain insight into the visions and attitudes we should take. This fact calls for an analysis of these events and facts in a historical context and a linguistic approach. This is in order to avoid ambiguity in the connotations and facts, and a critical review of our thinking about the course of the prophets of God, peace be upon them, from different angles. And linking them to their geographical and social environments, and reviewing the purposes of each biography, as undertaken by this brief study on the biography of Moses, peace be upon him, by analyzing the significance of the name of the site in which he lived, and the associated sites and events in the biography. The importance of this study is highlighted in its review of aspects of the biography of the Prophet of God, Moses, peace be upon him, and then discussing the visions of those who dealt with these facts;

مقدمة:

إن اسم القلزم لم يعد له وجود في تاريخنا المعاصر، بينما كان اسماً لبلدة قيل إنها كانت في رأس خليج السويس، وقيل إنهم أسموا البحر الأحمر ببحر القلزم بسبب وجود هذه البلدة على طرفه الشمالي. ولكن الناس لم يعودوا يستخدمون اسم البلدة، بعد أن صارت جزءاً من مدينة السويس، ولم يعد أحد يستخدم اسم بحر القلزم، بل تحول إلى البحر الأحمر، وتسمى الخليج بخليج السويس. غير أن ثمة ما يدعونا إلى العودة لاسم البلدة تعزيزاً لما كانت تمثل من دلالات دينية وتاريخية، وما ترمز إليه من مفاهيم.

فالاسم يشير إلى حدث مهم للغاية هو غرق فرعون موسى فيما ذكره بعض الإخباريين في البحر؛ وذكر أهل اللغة أن من دلالات اسم القلزم الابتلاع والهلاك، وهما ما وقع لفرعون، وفي ذكره استثناس بمعجزة ضرب موسى عليه السلام البحر بعصاه، وانفلاق البحر، وحدث كما وصفه القرآن المجيد: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: 50]، أي إن البحر ابتلع فرعون وجيشه وكان فيه هلاكه. ولهذا قيل إن حادثة الغرق كانت سبباً لإطلاق الاسم على مكان الغرق (القلزم).

المشكلة أن من تناولوا هذه الواقعة مختلفون بين وقوعها في بلدة القلزم أو في نهر النيل؛ أو في نيل السودان أو في القناة المتصلة بخليج السويس، وعند بعضهم أنها تمت في البحر الأحمر ومنهم من قال إنها كانت في البحر الأبيض المتوسط. وقدّم كل منهم مجموعة من الدلائل التي تدعم ما ذهب إليه. وقد كان هذا الاختلاف بينهم نتيجة تجاوز القرآن الكريم عادة لذكر إحداثيات ما يرد فيه من أمكنة وتفصيل ما يقع من وقائع إلا فيما يخدم مقاصده في الاعتبار والعظة، وتسليّة رسول الله r والمؤمنين، وبيان كون العقاب للمتقين، ولتثبيت فؤاد رسول الله r ، كما جاءت هذه الأنباء موعظة وذكرى للمؤمنين، فيتحملون، ويصبرون على ما يواجههم من الأذى والإنكار. وقد فسّر الشعراوي⁽¹⁾ هذه العبرة في قصص القرآن الكريم فقال إنها تنقل لنا أحداثاً في التاريخ تتكرر في كل زمان؛ ففرعون مثلاً هو كل حاكم يريد أن يُعبد في الأرض، حتى في الوقت الذي نعيش فيه تجد فيه أكثر من فرعون. ولذلك جاءت شخصيات قصص القرآن دون توضيح لها؛ فلم يقل لنا الله تعالى من هو فرعون موسى؛ لأن المقصود بهذه القصص ليس شخصاً بعينه، ولكن المقصود هو الحكمة من القصة.

وقد أدى هذا المنهج في التاريخ القرآني إلى تعدد التفسيرات للحدث الواحد، بجانب لجوء الإخباريين إلى تقديم هذه التفسيرات للإشارات التاريخية مما جاء عن الحدث في الكتب السماوية، أو أضيف لها من تفسيرات، أو ما جاء في كتب التفسير من الاسرائيليات. مستفيدين من غريزة حب الاستطلاع عند المتلقين، وشغفهم الطبيعي لسماع القصص، وإلحاحهم في

استفسار ما أبهم عليهم بيانه، وحاجتهم لسماع التفاصيل عن كل حدث، ولم يجد العلماء بأساً في إيراد هذه الروايات المتعددة ؛ بحجة أنها لا تصادم نصاً ثابتاً، ولا تتعلق بالأحكام الشرعية والتكاليف ونحوها، ولأنهم من ناحية أخرى ليس لهم دليل في أن الرواية المعنية محرفة عما في الكتب السماوية الأخرى⁽²⁾.

غير أن هذا التناول فيما لا يمكن التثبت فيه قد يقود إلى نتائج ظنية أو اعتماد الترجيح العقلي والاستحسان العاطفي. فإنك إن عرفت أن بحر القلزم نسبة إلى بلدة القلزم، وهي بلدة في الطرف الشمالي لبحر يمتد حوالي ألفي كيلومتر لم يطمئن قلبك إلى هذا التفسير، إذ إن القلزم مهما كانت دلالة اسمها، ليس واضحاً ما يدعو الناس لتسمية البحر الأحمر باسمها. وقد تتساءل عن موقع البلدة بالتحديد بين كونها في البحر الأحمر أو في خليج السويس الحالي أو في نهر النيل المتصل بالخليج عبر القناة التي حفرت للربط بينهما، وهل كان ثمة قناة أو خليج عند وقوع أحداث الإغراق؟ وتتوالى عليك الأسئلة، وتجد لبعضها أجوبة غامضة فلا تطمئن لها، وتقف حائراً أمام بعضها الآخر.

بل إن هذه التساؤلات يجعلك تنتقل ما بين القلزم اسماً لبلدة أو بحر وبين ما يرتبط بها من أحداث قريبة أو بعيدة تفسيراً لدلالة الاسم. غير أن طرافة الانتقالات الذهنية وشحذها للتفكير تدفعك للسير بها قدماً ومتابعة الأحداث على ضوئها، كما يدفعك لنقد النصوص والأخبار وتحليلها، وإعادة النظر في الدلالات اللغوية للمسميات مستعيناً أحياناً بالمعاجم العربية وكتب التفسير أو ما توحى إليه إشارات النصوص والأحداث.

إن هذه الورقة دراسة لهذه المعطيات، وتحليل نقدي للدلالات والأحداث، اكتفى الباحث في جوانب منها بترجيح بعض الحجج والوقائع، بينما اقتصر في بعضها الآخر على إثارة أسئلة لا يجد لها إجابة مقنعة، ولكنها جميعاً داعية لإعادة النظر لا في هذه الأحداث وحدها بل في كثير من أفكارنا، ولعل في ذلك تدبراً نحن مأمورون به، وقد يعلم ما خفي علينا الذين يستنبطون ما في كتاب الله..

الفصل الأول دلالات اسم القلزم

(أ) القُلْزُم

جاء في لسان العرب⁽³⁾: أن القُلْزَمَةَ: ابتلاع الشيء، وكذلك ذكرت المعاجم العربية أن كلمة (القلزم) تعني: الابتلاع؛ وأنها من قلزم بمعنى ابتلع، والابتلاع يفيد الإغراق والهلاك. وقد أطلق (القلزم) اسماً على بلدة تقع شرق دلتا نهر النيل على رأس خليج السويس المتفرع عن البحر الأحمر، وبينها وبين القاهرة (ح 140 كلم). وقد ذكر أن (بحر القُلْزُم) سُمي به لالتهامه من ركبه.

وأضافت المعاجم العربية أن سبب إطلاق اسم القلزم على البحر الأحمر؛ لأن هذا البحر « يتلغ من ركه ؛ لشدة أمواجه، أو يتلغ ما ألقى فيه » ثم أضافوا تبريراً آخر أكثر مناسبة لدلالته فقالوا: « وكأنهم أخذوه من غرق فرعون فيه، فإن الله تعالى أغرقه هناك ».⁽⁴⁾

فالاسم كما ذكروا اسم عربي، وإن العرب هم الذين أطلقوا اسم القلزم ؛ وبسبب موقع هذه البلدة أو دلالة اسمها، أو لكونها مدخلاً للخليج أطلقوا على البحر الأحمر اسم (بحر القلزم)⁽⁵⁾ ؛ الأمر الذي يشرح أن هذا الاسم جاءه بعد أحداث الغرق. غير أن أهل السير واجهوا إشكالاً في تحديد مكان غرق فرعون من البلدة، فاكتفوا بأن غرقه كان في بحر القلزم، دون تحديد لمكان محدد في البحر أو الخليج، لاسيما وأن دلالات اسم البلدة (من الابتلاع والإهلاك) مرتبطة بطبيعة البحر لا بالبلدة ؛ فهو الذي يتلغ من يرتاده ويهلكهم. وعندئذ أصبح أمر غرق فرعون في بلدة القلزم أو في ساحل بحرهما لا يمكن الجزم به.

أياً ما كان اسم القلزم أو دلالاته، فإن المتوقع - مما ذكره أهل السير عن بلدة القلزم ووجودها في مدخل الخليج المتصل بالبحر الأحمر - أنها كانت تمثل حلقة وصل بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر. ولاشك أنها لعبت دوراً كبيراً في التجارة والنقل البحري بصفة خاصة، ويتوقع أن ذلك أهلها لأن يطلق اسمها على الخليج خاصة أو البحر الأحمر بعامة، وذكر بعضهم أنها كانت داراً لصناعة السفن منذ العصر الفرعوني، واستمرت تؤدي هذا الدور بعد الفتح الإسلامي،⁽⁶⁾ وأن أهميتها ازدادت بعد أن أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بحفر الخليج الذي نسب إليه، لربط النيل بالبحر الأحمر؛ لتسهيل حركة السفر والتجارة بين مصر والحجاز في ذلك الوقت.⁽⁷⁾

وقيل إن المدينة كانت معروفة قديماً باسم كليسم Clyisma، ووصفت كما جاء في معجم البلدان⁽⁸⁾: إنها « مدينة مبنية على شفير البحر، ينتهي هذا البحر إليها... وأنها تامة العمارة، وبها فُرْضة⁽⁹⁾ مصر والشام ومنها تحمل حمولات مصر والشام إلى الحجاز واليمن، ثم ينتهي على شط البحر نحو الحجاز ». ويبدو أن القلزم لم تجد في عصور لاحقة تلك الأهمية ؛ فانتهى أمرها، وأقيمت مدينة السويس إلى الجنوب منها، وما لبثت أن شملت القلزم وحلت محلها، وأصبحت جزءاً منها. وذكر ياقوت أن من أسباب الانصراف عنها أنها كانت: « ليس بها زرع ولا شجر ولا ماء ؛ وإنما يحمل إليها من ماء آبار بعيدة منها..» ثم أضاف: « هذا صفة القلزم قديماً فأما اليوم فهي خراب يباب، وصارت الفُرْضة موضعاً قريباً منها يقال لها سويس، وهي أيضاً كالخراب ليس بها كثير أناس.»⁽¹⁰⁾

لكن القلزم ظلت تحتل أهميتها الدينية والتاريخية حين ربطها كثير من الإخباريين بأحداث سيرة نبي الله موسى عليه السلام، حتى لتجد أحدهم⁽¹¹⁾ يزعم أن موسى ولد فيها، وفيها ألقى في اليم طفلاً، وفيها عاش بنو إسرائيل، وفيها كان ملكهم فرعون وجنده، وأن بلدة القلزم هي

التي أطلق عليها القرآن الكريم لفظ (المدينة) كما في قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ [القصص: 15].

(ب. بحر القلزم (البحر الأحمر))

لا شك أن في تسمية البحر الأحمر ببحر القلزم ما يدعو إلى مراجعة ما ذكره الإخباريون وبعض كتب التفسير من دلالة القلزم بالبحر، إذا صح ما قيل عن نسبة البحر إلى المدينة، لأنه عليك حينئذ أن تتوقع أن يناسب اسم القلزم مع صفة في المدينة كالابتلاع ونحوه مما ذكر من معاني القلزم، فلا تجد شيئاً من ذلك إلا قولهم إن الله تعالى أغرق فرعون فيها. وكأنما أرادوا أن يقولوا إن هذا الاسم لحق البحر بعد غرق فرعون، أو أنه حادث لربط الاسم بالحادثة ! إذا ثبت أن فرعون غرق في المدينة أو في البحر قبالة المدينة أو قريباً منها ؛ لكن النص القرآني لا يحدد موقعاً بعينه ثم فيه الغرق ؛ ولكنه يشير إلى أن الغرق حدث في مكان شاهد فيه بنو إسرائيل غرق فرعون وجنوده ؛ يقول الله تعالى: [وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ] [البقرة: 50]. وتبعاً لذلك، لا تجد تحديداً عند من أشاروا إلى واقعة الغرق، على نحو إشارة القرطبي⁽¹²⁾ في تفسيره، فقد قال: « ويذكر أن البحر هو بحر القلزم » هكذا دون تحديد لمكان الواقعة، أو تعريف لبحر القلزم، أو أن يشير إلى ما يقرب تحديد الموقع.

حديثاً استدلل الآثاري المصري الدكتور عبد الرحيم ربحان بإشارة القرآن الكريم⁽¹³⁾ فقال إن موقع غرق فرعون وجنوده كان عند رأس خليج السويس، وقال إن هذا الموقع أقرب نقطة مرئية عبر خليج السويس، على ما ذكره القرآن الكريم في قوله [وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ] فأكد أن بنى إسرائيل شاهدوا أحداث الغرق أمامهم، لأنها وقعت غير بعيد من مرمى أبصارهم ؛ وأقرب نقطة يتم من خلالها رؤية الشاطئ الآخر من خليج السويس هي نقطة الشط.

والبحر الأحمر أو بحر القلزم، كتلة مائية، يبلغ طولها حوالي ألفي كيلومتر، بعرض يبلغ متوسطه مائتي كلم، وتفصل ما بين قارتي آسيا وأفريقيا، ويتصل هذا البحر بالمحيط الهندي في الجنوب من خلال مضيق باب المندب وخليج عدن، ثم يتفرع في أقصى الشمال إلى خليجين هما: خليج العقبة إلى الشرق، وخليج السويس إلى الغرب. وينحصر شبه جزيرة سيناء بين الخليجين. وتقع مدينة القلزم في رأس خليج السويس، وإليها نسب البحر قديماً.

وارتبط خليج السويس بنهر النيل عبر قناة في العصر الروماني، وأعاد حفرها عمرو بن العاص بعد اندثارها في عام الرمادة سنة 23هـ، وعرفت بقناة أمير المؤمنين⁽¹⁴⁾، وفي سنة 1869م تم حفر قناة السويس،⁽¹⁵⁾ فاتصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط.

قد يعتريك الشك في تسمية البحر الأحمر ببحر القلزم نسبة إلى البلدة التي احتلت موقعها في نهاية خليج السويس المتفرع عن البحر الأحمر، والتي أصبحت فيما بعد جزءاً من مدينة السويس، إذ لم تكن للبلدة ميزة خاصة تدعوهم لتسمية بحر في طول البحر الأحمر ومساحته

وما يمر به من المواقع الجغرافية والدينية والدول وغيرها مما لا يقل أهمية عن بلدة صغيرة كالقلم؛ إلا إذا وضعنا في الاعتبار ما ذكرته المعاجم العربية كما مر بك دلالةً للاسم كالابتلاع والاغراق. أو ما ذكرته من ارتباط بحر القلم بغرق فرعون فيه. وهو بدوره لا يبرر تسمية البحر كله؛ لأنها لا تعدو أن تتعلق ببلدة في رأس الخليج، ولا تكاد تتعدها لغيرها. هذا، مع الأخذ في الاعتبار ما ذكرته المصادر العربية من أنهم كانوا يسمون كل موضع يمر به باسم ذلك الموضع⁽¹⁶⁾.

إن البحث عن هذه الدلالة والارتباط سيقتضي منك البحث عن طبيعة البحر الأحمر، لاسيما في الزمن الذي يتوقع إطلاق الاسم عليه، وإن كان الظن كبيراً في أن البحار كلها كانت صعبة الارتداد، في ظل طبيعة السفن الشراعية، وما كانت عليه صناعتها؛ وهي تجابه الرياح الهوجاء والتيارات العنيفة والأمواج العاتية، هذا، دون أن نتجاهل ما ذكر عن قسوة الصخور على سواحل البحر الأحمر وما يحيط بها من الشعاب المرجانية والجزائر العديدة، وما يكتنف البحر عادة من رياح قوية، وأحوال جوية مخادعة نتيجة سيطرة الرياح الموسمية في الجزء الجنوبي من البحر، وسيطرة الرياح القادمة من الشمال في الجزء الشمالي.⁽¹⁷⁾ وكل ذلك يجعل الملاحة فيه عسيرة. ومع ذلك فإنه يغلب على الظن أن طبيعة البحر الأحمر لم تكن تختلف كثيراً عن البحار الأخرى في صعوبة ارتيادها قديماً.

(ج) اسم البحر الأحمر:

قيل أن البحر الأحمر ترجمة مباشرة للكلمة اليونانية: إريثرا ثالاسا Θάλασσα Ερυθρά واللاتينية: مير روبروم Mare Rubrum بدلاً من الكلمة سينوس ارابيكوس Sinus Arabicus التي تعني حرفياً "الخليج العربي".⁽¹⁸⁾

وذكر جواد علي أن العبرانيين، أطلقوا عليه (هـ - يام) (هايم): وهي قريبة الصلة في نطقها باليم، أو صورة من صور نطق اليم في العربية ومعناها اللغوي (البحر) و(ها) أداة التعريف في العبرانية، وتقابل في دلالتها (ال) العربية. كما أطلقوا على البحر الأحمر اسم (يام سوف / 19) (yam suph)، ويشمل إطلاقه بصفة خاصة علي الجزء الشمالي، بما فيه خليج العقبة وخليج السويس.

وكلمة يام هي البحر، وكلمة (سوف) تعني «الحلفاء»⁽²⁰⁾ وهي كما ذكر في لسان العرب: «نبت أطرافه محددة كأنها أطراف سعف النخل والخوص، ينبت في مغايض الماء والنزوز»، وفي تاج العروس أنها: «قلماً تنبت إلا قريباً من ماء أو بطن واد، وهي سلبية غليظة المس، لا يكاد أحد يقبض عليها مخافة أن تقطع يده». وقيل إن أم موسى قد خبأت السفط الذي وضعت فيه ابنها الرضيع (بين الحلفاء)⁽²¹⁾ أي بين شجيرات الحلفاء قبل إلقائه في اليم.

والحلفاء نبات يميل لون أوراقه إلى الأصفر الباهت عند جفافه، أي لا يتسم بالحمرة، وتكون

شجيراته حينئذ في الأودية وتلال الرمال بالقرب من النيل، كما لا تشكل شجيراته لوناً غالباً في المنطقة حتى يومنا هذا. ومن ناحية أخرى ذهب الباحث السعودي د. القشاش إلى أن الحلفاء ومثلها البوص والبردي لا تنبت إلا على ضفاف المياه العذبة لا المالحة⁽²²⁾. وبهذا نبتعد مرة أخرى عن مناسبة تسمية البحر الأحمر بسبب الحلفاء، ولا يعرف لها ميزة خاصة تناسب أن يطلق اسماً للبحر الأحمر بسببها.

وذكر الآثاري المصري د. عبد الرحيم ربحان: أن (بحر سُوف) يعنى بحر البردي. ودليله في هذا أن (بَرِّيَّة بحر سُوف)⁽²³⁾ كما قال: هي الأرض اللينة المغمورة بالماء التي تمتد إلى الجنوب والشرق من بحيرة المنزلة، وكان ينبت فيها البردي⁽²⁴⁾. وفي المعاجم الحديثة أن البردي: نَبَات مائي تسمو ساقه الهوائية إلى نحو متر أو أكثر، وَيَنمو بكثرة في منطقة المستنقعات بأعالي النيل، وانتفع به المصريون القدماء في بناء بيوتهم وسفنهم، كما صنعوا منه ورق البردي المعروف للكتابة عليه⁽²⁵⁾. وهذا التفسير - إن أخذنا به - يؤكد أن لا علاقة لهذا النبات بالبحر. ولكن أحد الباحثين⁽²⁶⁾ له تفسير آخر قال فيه إن بحر سوف، أطلق على الخليج الذي تطل عليه القلزم على ما يفهم من التوراة العبرية.. لكنه قال إن سُوف تعني (بوص Reed)، وذكر أنه نبات مائي، فيكون المعنى (بحر البوص) وكتبت بالإنجليزية The Reed Sea. لكن بعضهم - كما قال - شكك في الأمر حين ظن في الاسم خطأ، وصححه بتحويل Reed إلى Red وكتبت The Red Sea (البحر الأحمر)، وكان هذا الإجراء نهاية للتسمية بخليج البوص. غير أنك لا تجد اسم البوص مستخدماً في المعاجم القديمة للدلالة على النبات المقصود أو أي نبات ؛ بل جاء للدلالة على الفوت والسبق، والاستعجال، واللاحاح في السير، والعجيزة، وقد يطلق على اللون أو حسنه. ولم يأت للدلالة على المعنى المقصود إلا في معجم حديث⁽²⁷⁾ ذكر فيه أنه نبات من نباتات المستنقعات المعمرة من الفصيلة النجيلية على هيئة القصب والغاب، وهو بهذه الصفة لا يختلف كثيراً عن البردي.

ومن التعليقات لتسمية البحر الأحمر بهذا الاسم ؛ ما ذكره بعضهم أن الاسم جاء نتيجة وجود نوع من الطحالب في البحر يكون زبدًا بُنيًا يميل إلى الحمرة خلال فترة الصيف⁽²⁸⁾. وزعم البعض الآخر أنه سمي هكذا بالنسبة للون المياه الناتج عن وجود الشعاب المرجانية الحمراء وغيرها من الأعشاب البحرية. وعند بعضهم⁽²⁹⁾ أنه سمي أحمر؛ لأن قاعه أحمر، أو لأن انعكاس الشمس على صفحة مياهه عند الشروق والغروب تضيء هذا اللون على مياهه.

ومن التفسيرات ما يزعمونه من أن الأحمر هو اسم يشير إلى اتجاه الجنوب، كما قد يشير البحر الأسود إلى الشمال. ولكنهم لم يسيروا إلى مناسبة الإطلاق ومدى انطباقها على الاتجاهات، كما لم يحددوا النقطة التي منها تم تحديد الاتجاهات نفسها.

الفصل الثاني

أين غرق فرعون؟

(أ) اليم:

تحول اختلاف العلماء عن تحديد مكان غرق فرعون وجنوده إلى الاجتهاد في طبيعة ما غرق فيه ؛ أي بين أن يكون بحراً أو نهراً أو يماً. وتشعر في اختلافهم وجاهة، وتجد له ما يبرره من نصوص القرآن الكريم حين لم يبت في الأمر ؛ فجعل غرق فرعون في البحر كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: 50] ولكنه في مواضع أخرى سمى المكان نفسه (يماً) فقال: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [طه: 78]، والناظر في الآيات الكريمة السابقة يتبين له أن القرآن الكريم لم يفرق بين البحر واليم، فكلاهما أطلق على المكان الذي غرق فيه فرعون وجنوده. ويأتي الإشكال من الدلالة اللغوية لكل منهما، إذ تحس أن بينهما ترادفاً ؛ فما أن تبحث في معاجم اللغة عن معنى اليم إلا ذكر أهل اللغة أنه البحر، فقد نقل الأزهري⁽³⁰⁾ عن الليث: « اليمُّ: البحر، الذي لا يدرك قعره ولا شطاه، ويقال: اليمُّ لُجَّتُهُ » ولعلك شعرت نوعاً من التخصيص في هذه الدلالة ؛ وعلمت أنهما لا يفيدان الترادف إلا إذا كان البحر مما يدرك قعره. لكن الأزهري لا يقر بما ذكره في التعريف عن غيره من تخصيص اعتماداً على استوائهما في الإطلاق على الماء المالح والماء العذب ؛ يقول: « ويقع اسم (اليمِّ) على ما كان مأوّه ملحاً زعاقاً⁽³¹⁾ ، وعلى النهر الكبير العذب الماء ».

وأضاف الأزهري أن أم موسى أمرت حين ولدته وخافت عليه فرعون أن تجعله في تابوت ثم تقذفه في اليم، وهو نهر النيل بمصر، ومأوّه عذب. قال الله عز وجل: ﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾ [طه: 39] ؛ فجعل له ساحلاً⁽³²⁾، وهذا كله دليل على بطلان قول الليث إنه البحر الذي لا يدرك قعره ولا شطاه. واستدل ابن منظور بالحديث: « والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليمِّ، فلينظر بم ترجع؟ »⁽³³⁾

ولعل الخلاف بين البحر واليم نشأ مما وصف به القرآن الكريم لواقعة الإغراق لا من دلالة كل منهما من حيث طبيعة المياه في كل. فلا شك أن الغرق تم لانغمار فرعون وجنوده بماء يغطيهم تماماً ؛ « فلم ينبج منهم إنسان »⁽³⁴⁾، حينئذ لا فرق أن يكون بماء بحر أو يم أو نهر، المهم فقط أن يكون كافياً لاستيعاب جيش كامل، وكفتنا المعاجم العربية من أن نحتار في تحديد نوع الماء حين نصوا أن كلا من البحر واليم يطلقان على المالح والعذب، لكنك إن رجعت إلى ما وصف به العلماء كل منهما وجدتهم يقولون إن « أصل البحر في اللغة: الاتساع، أطلق على البحر الذي هو مقابل البرِّ لما فيه من الاتساع بالنسبة إلى النهر والخليج، ويطلق على الماء المالح »⁽³⁵⁾ ولاشك أن البحر كان من الاتساع ليتناسب مع إغراق هذا العدد الكبير من جند

فرعون وآلاتهم، ويدهي أن هذا الوصف لا يتناسب مع طبيعة النهر ؛ لاسيما ونحن نصف نهراً يجري في دلتا النيل ⁽³⁶⁾ ؛ فالنهر كما ذكرت المعاجم العربية يطلق على الماء الجاري، ولا يهم عندئذ إن كان الماء قليلاً أو ضخماً، لكنه إن اتسع وارتفع صار بحراً ⁽³⁷⁾ فإذا كان البحر يطلق كما علمت على الماء المتسع والنهر يطلق على الماء الجاري ؛ أشكل عليك أن يجعل القرآن الكريم مكان إلقاء موسى في طفولته يماً، ومكان غرق فرعون أيضاً يماً !! مع سابق علمك بأنه يصح أن يطلق كلاً من اليم والبحر على الماء المالح كما يطلقان على العذب أيضاً.

أحد الباحثين رأى أن القرآن الكريم حدّد مكاناً واحداً دارت فيه وحوله حياة موسى عليه السلام منذ ميلاده: فقال إن موسى عليه السلام « ولد وتربى في مدينة صغيرة على ساحل اليم مع قومه، وفي نفس مكان معيشة وغرق فرعون ملكهم ». ⁽³⁸⁾ وحجته أن القرآن الكريم ذكر (اليم) ثماني مرات تتصل كلها بمصر، وكأن القرآن - كما يقول الباحث - يشير بذكر اليم إلى موضع معلوم، هو المكان الذي ولد بجواره موسى عليه السلام، وفيه ألقى، ومنه أنقذ، وتربى بجواره، وعاش مع قومه ومع ملكهم الذي كانت نهايته في اليم نفسه، بينما ذهب المفسرون على حد قوله إلى أن موسى عليه السلام ألقى في (النهر) في عاصمة مصر حيث يعيش فرعون، ثم ذكروا أن غرق فرعون كان في (البحر الأحمر). ⁽³⁹⁾

وعن طبيعة اليم يقول الباحث نفسه « إن اليم ليس بحراً وليس نهراً، بل هو خليج واسع ضحل تأتیه مياه مالحة من البحر الأحمر ومياه عذبة من نهر النيل عبر القناة التي تربط النيل بالخليج ». ويخلص الباحث إلى أن كلمة اليم تشير للمكان الحقيقي الذي حدثت فيه القصة، وهو خليج المدينة. ⁽⁴⁰⁾

إن من يعيد النظر فيما قدمه الباحث عاطف عزت من أدلة لما ذهب إليه، تستوقفه ملاحظات عدة، من أهمها: أن صدق أدلته يتأكد إذا ثبت أن الماء يطلق عليه يماً إذا جمع بين المالح والعذب، ولا سبيل للتأكد من هذا المعنى في معاجم اللغة قديمها وحديثها، فمن قائل إن الخليج مسطح مائي متصل بمحيط أو بحيرة عن طريق ممر مائي أو مضيق، أو أنه امتداد من الماء متوغل في اليابس، أو نهر مقتطع من النهر الكبير للانتفاع به، أو هو ما انقطع من معظم الماء، لأنه يُجَبَدُ منه، وقيل: هو: شعبة تنشعب من الوادي تُعَبَّرُ بعض مائه إلى مكان آخر. ⁽⁴¹⁾ فبقي أن نتأكد من واقع الخليج في أحداث حياة موسى عليه السلام، وهل كان حينئذ ثمة قناة تربط بين الخليج والنيل؟ ! الواقع أننا لا نجد فيما بأيدينا من كتب التاريخ أو كتب التفسير أو أسفار التوراة ما يؤكد وجود القناة، أو أشار إلى أحداث ذات صلة بوجود قناة. أما ما ذكرناه من أن حفر القناة يرجع إلى العصر الروماني فإنه - إن حدث ذلك في العصر المعين أو قبله - لا يؤكد أنها كانت موجودة في حياة موسى عليه السلام، لاسيما وأنهم ذكروا أنها اندثرت

أكثر من مرة فأعيد حفرها.

قد تجد إشارة - وإن كانت بعيدة - عن قرب مسكن موسى عليه السلام حين مولده من قصر فرعون على ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ﴾ [القصص: 11] قال المفسرون: (قُصِّيهِ) يعني: تتبعي أثره، وراقبي سيره إلى أين ذهب، حتى تعلمي مصيره. (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ) أي أبصرته عن بعد اختلاسا. ⁽⁴²⁾ ولاشك أن أخت موسى حين اقتفت أثر أخيها كانت على مسافة تستطيع فيها أن تتابعه وإن كانت على بعد منها. فالقص لا يمكن القيام به إلا إذا كان التابوت (السفط) في مرأى بصر أخت موسى، وفي الوقت نفسه، إلا إذا كانت مسافة حركة السفط في حيز مناسب يتيح لها تتبعه سيرا على قدمها غالبا مع اجتهادها أن لا يراها أحد. مع العلم بأن حركة التابوت تتوقف على طبيعة المياه؛ فهي في حالة النهر تندفع غالبا تبعا لجريان الماء إلى الأمام، بينما تتوقف حركته في حالة الخليج والبحر على ما يطرأ عليهما من أمواج، وبين أن يلقي بالقرب من الشاطئ أو دفعة إلى اللجة، وتلاحظ في قوله تعالى ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: 8] أن انتشار التابوت كان التقاطا بدون مكابدة أو تعب؛ مما يدل على قرب مكان التقاطه من مكان إلقائه. مع الأخذ في الاعتبار قرب ما بين البيت والقصر الذي يمكن ملاحظته من متابعة الأخت للتابوت. وارتباط موسى بالقصر ليعيش فيه، منذ أن تبناه القصر، باتخاذهم له ولدا، ولا يبعد أن تنتقل أسرته إلى دائرة القصر أو قريبا منه لأسباب مختلفة، ولعلهم كانوا يعيشون - كما ألمحنا - قريبا من القصر قبل أن ينتقل موسى للقصر.

وقد يشير إلى القرب المكاني بين القصر والبيت أن الأمر لأم موسى جاء بأسلوب الإلقاء: ﴿فَإِذَا خُفَّتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: 7]، وتم التعبير عنه بالقذف: ﴿فَأَذْفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَذْفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [طه: 39] ⁽⁴³⁾، أمرت لما حان أوان التنفيذ بأن تقذف بوليدها؛ والقذف يفيد رمي الشيء بقوة، وكذلك كان تنفيذها برمي وليدها التزاما بوحي الله تعالى لها، مع استحكام الخوف عليها في تلك اللحظة، وما يتوقع حينئذ بإبعاد التابوت بعيدا عن الساحل. وبدون ذلك لظلت أمواج الشاطئ تتقاذف التابوت في دائرة ضيقة دون المضي به بعيدا عن مكان إلقائه؛ إلا إذا راعينا قدر الله في الحركة ذاتيا إعجازا، أو تسليط حركة للرياح لتدفع بالتابوت إلى ما قدره الله تعالى لموسى، وكان الأمر: ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ [طه: 39].

ولا يمنع أن يتم القذف والإلقاء للتابوت لصغر حجمه بحرا أو نهرا، ففي كليهما نلقي بالأشياء أو نقذف فيهما، ولا يكون الإشكال إلا في كمية المسطح المائي وحجم ما نلقي فيه، وهما ما ينبغي أن نراعيهما في حالة غرق فرعون، فنبعد موقع غرقه أن يكون في مكان ضحل أو في أطراف المسطح المائي سواء أكان نهرا أم بحرا، فالغرق تم بعد أن توغل فرعون وجنوده جميعا بكامل عدتهم وعتادهم ومركباتهم داخل الماء، وغمرتهم المياه تماما، فلم ينفذ من كل الجيش

أحد. ولا يكاد نهر النيل في أقصى شمال مصر أو القناة التي تربطه بخليج السويس مناسباً لاحتمال ابتلاع جيش كامل.

فإن لم يكن نهر النيل مناسباً لما ذكرنا أن يكون مكانا غرق فيه فرعون وجنده، لم يبق لنا في هذه الحالة إلا التفكير في البحر واليم، لاسيما وقد ذكر في القرآن الكريم كل منهما مكانا للغرق فسماه بحراً، وسماه يماً. وعندئذ يمكن أن نقول بترادف اللفظين، فكلاهما يعني الماء الكثير، وكلاهما اسم للماء في حالة اتساعه وارتفاعه. وذكر الحميدي⁽⁴⁴⁾ أن (اليم) ورد في القرآن والسنة دون تخصيص، وأن ما ذكره بعض المفسرين بأنه الذي غرق فيه فرعون؛ لا دليل لهم فيه، واستدل بقوله تعالى: ﴿فَلْيَلْهُ الْيَمُ بِالسَّاحِلِ﴾ وقوله عليه السلام: (كَمَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أَصْبُعَهُ فِي الْيَمِ). وذكر أنه جاء عن جماعة أهل اللغة أن اليم: البحر على الإطلاق، والتخصيص شذوذ محتاج إلى دليل.

وما سبق لك من دلالة (اليم) على ما لا يدرك قعره ولا شاطئه، أو إطلاقه على لجة البحر. تعلم أنه بهذه الصفة صالح لإطلاقه على أي سطح مائي تتوفر فيه هذه الخصائص أي كان مكانه، وليس مخصصاً ببحر معين، وبهذا المفهوم يصلح أن يكون الموقع الذي غرق فيه فرعون، أي صالح لأن يكون لجة بحر القلزم أو خليجه. وكذلك الشأن في حالة إلقاء التابوت، وقد تنبه صاحب التحرير لتعريف اليم في قوله تعالى: ﴿فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصاص: 7] فقال: « ليس في العبرة اهتمام ببحر مخصوص، ولكن بفرد من هذا النوع.»⁽⁴⁵⁾ وهذا المفهوم هو ما يرجح أن يكون الغرق في الخليج نفسه.

أما صاحب كتاب (فرعون موسى) فقد ذكر تعريفاً خاصاً لليم؛ فقال إن « اليم ليس بحراً وليس نهراً، بل هو خليج واسع ضحل، به مياه مالحة تأتيه من البحر من جهة، ومياه عذبة تأتيه من إحدى القنوات النهرية من الجهة الأخرى.»⁽⁴⁶⁾ ولا أظنك تجد في تلاقي المياه المالحة والعذبة ما يجعله مناسباً لتحديد مكان إلقاء موسى عليه السلام في طفولته، أو مكان غرق فرعون، فليس في تلاقيهما تفسيراً للحدثين أو لأيهما، ولا علاقة بين التلاقي وأي من الحدثين، ولا تجد لذكره هذا التخصيص في تعريف اليم ضرورة.

من ناحية أخرى لا يستقيم أن يكون اليم ضحلاً، كما جاء في تعريفه، مع علمنا بأن المياه كانت بلا شك قدراً عظيماً أغرق جيشاً ضخماً بأكمله على ما جاء في وصفه. عبّر عنه ابن كثير بقوله: « فلم ينج منهم إنسان »⁽⁴⁷⁾ واستخلص الشعراوي من قوله تعالى: ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ [الشعراء: 65، 66] ما جعله يقول: « فغرقوا عن آخرهم، فلم يُفَلِت منهم أحد ».⁽⁴⁸⁾

هذا، دون أن يغيب عن بالك أن موسى عليه السلام وقومه انطلقوا ليلاً من المدينة هاربين، ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [الشعراء: 53] فتحرك فرعون مع جنده الذين حشرهم

من المدائن للحاق بهم، مما يرشح أن يكون إدراك النبي وقومه تم بعد قطع مسافة بعيدة من مكان تحركهم، وفي مكان لم يكن متيسرا لبني إسرائيل اجتياز البحر الذي اعترض طريق هروبهم دون تدخل معجزة. ويتضح لك أن هذا الموقف يدعم أن لا يكون مكان عبورهم نهرا، ولا بحرا ضحلا.

(ب) مواقع أخرى لغرق فرعون وجنده:

1. خليج السويس - بحر القلزم:

اختلف العلماء في تحديد مكان غرق فرعون وجنوده ؛ بين من قال إنه غرق في خليج السويس على نحو ما ذكرنا سابقاً، وبالأدلة التي ذكرت، ومن قال إنه تم في البحر الأحمر، دون تحديد للموقع في امتداد البحر، وإن كان المتوقع أن يكون في أقصى الشمال متضمناً لخليج السويس، ويذكره بعضهم تحت مسمى بحر القلزم الذي يقصد به غالباً الخليج ؛ وهذا القول يكاد أن يكون راجحاً عند كثير ممن تناولوا أحداث القصة، لارتباطه بنص القرآن الكريم الذي أشار أن غرق فرعون كان في اليم، ويذكر في مواضع أخرى أنه كان في البحر؛ ويغلب على ظنهم أنه كان في بلدة القلزم أو في بحرهما أو قريباً منها.⁽⁴⁹⁾

2. البحر الأبيض المتوسط:

وذكر بعض الباحثين أن العبور كان في البحر الأبيض المتوسط، فقد نسب إلى الحاخام الإسرائيلي "شوكي ريبس" ⁽⁵⁰⁾ قال فيه: إن بني إسرائيل لم يعبروا أصلاً البحر الأحمر، ولم يغرق به آل فرعون، وإنما يدور الحديث عن البحر المتوسط. وحثه كما جاء في المقال المذكور أن بني إسرائيل أقاموا في أرض جوشن ⁽⁵¹⁾ على مسافة قريبة جداً من الساحل الشمالي للبحر المتوسط. بينما تقدر المسافة بين بورسعيد الواقعة في الشمال والسويس في الجنوب نحو 160 كم، ولا توجد بها مياه، وكان بإمكان بني إسرائيل المرور بيسر من الغرب للشرق. لاسيما وأن قناة السويس لم تكن موجودة في العصر القديم. وما ذكره موافق لما ذكره الحاخام افراهام ابن عزرا الذي عاش قبل ما يزيد عن 850 عاماً، قال: « ونحن علمنا أنه لم يكن هناك بحر أحمر بين مصر وأرض إسرائيل، وأنه ليس هناك من داع للمرور به. أمر الله بالقيام بذلك فقط كي يدخل المصريون بعد بني إسرائيل ويغرقوا». ⁽⁵²⁾

3. نهر النيل

(في كتاب: السودان مهبط التوراة ومجمع البحرين) ⁽⁵³⁾

هر النيل من المواقع التي رأى بعض الباحثين أن غرق فرعون وجنوده كان فيه، واستدلوا على ذلك بقصة إلقاء موسى عليه السلام، في اليم وهو نهر النيل. وهو قول لا يستقيم كما ذكرنا سابقاً مع ضخامة جيش فرعون الذي غرق بأكمله في اليم، وسنكتفي بالإشارة للقائلين بهذا القول

بدراسة محمود حسن رزق التي نشرها بعنوان: "السودان مهبط التوراة ومجمع البحرين" (54) ذكر رزق أن موسى عليه السلام لما أمره الله تعالى أن يخرج من مصر ببني إسرائيل خرج مع قومه في أول الليل « متجهاً نحو منطقة السكوت الكوشية كما نصت التوراة بوضوح تام » (55) وقال إن فرعون وجنوده انطلقوا بعد شروق الشمس في إثر بني إسرائيل، وأدركهم وهم يسرون بمحاذاة النيل ؛ فضرب موسى عليه السلام النيل فانفلق... « ولا تختلف بقية القصة عما جاءت في رواية الغرق في البحر..

عند تحليل رواية رزق، باستخدام مقياس السرعة على نحو ما استعان به في تدعيم روايته، سنجد أن موسى عليه السلام وقومه تحركوا من مصر ليلاً إلى جهة الجنوب، بمحاذاة النيل، وتحرك فرعون وجنوده وراءهم مع شروق الشمس أي بعد عشر ساعات تقريباً أو يزيد لما يمكن أن يستغرقه حشر الجنود من المدائن المختلفة وإعدادهم والتحرك بهذا العدد الضخم من الجيش، مع العلم بأن وادي حلفا تقع على مسافة 345 كلم جنوب أسوان وبين وادي حلفا وأول قرى السكوت حوالي 150 كلم، ليس هذا فحسب، بل تكاد سلاسل الجبال تخنق النيل في هذه المنطقة حتى أسميت بأرض الحجر، وهذا في وقتنا الراهن فكيف كانت قبل قرون ! وعليك أن تضع في اعتبارك ما وُصف به ضخامة الذين فروا مع موسى عليه السلام، حيث كان يضم النساء والأطفال والشيخوخ والمرضى والممتلكات، ولاشك أن الذين ذكروا أن الغرق تم في البحر الأحمر كان في اعتبارهم أن عبوره يمثل خروجاً عن سلطان فرعون، فلا يستطيع أن يتابعهم بعده، وفي الوقت نفسه كان البحر وهم بينه وبين جيش فرعون الذي أدركهم يمثل حاجزاً لا يمكن تخطيه إلا بمعجزة. بينما يختلف الأمر تماماً في حالة نيل السكوت ؛ لأنه لا يمثل حاجزاً لا يمكن اجتيازه، أو يعوق الجيش عن المضي خلف موسى وقومه، ولا تجد سبباً مقنعاً يدعوهم لاحتمية اجتيازه، ولم يكن النيل في هذه الانحاء من الاتساع ليشكل ما أصبحوا فيه من الرعب. كما أن الاتجاه إلى الجنوب لم يكن يمثل عقبة أمام فرعون في متابعتهم بعد أن توغل حتى منطقة السكوت ؛ فمن وصفه للسكوت بأنها كوشية جعلها ضمن حدود دولة كوش، ونص على أنها ضمن دولة خارجة عن حدود مصر السياسية، وأنها دولة معادية لفرعون ونظامه (56) فهل كانت دولة كوش من الضعف حتى لا تهتم بحماية أراضيها !!

هذا، وتجد باحثين آخرين يستقصون الأدلة والشواهد لتأكيد أن أحداث التوراة ومنها عبور بني إسرائيل البحر لم تكن في فلسطين ؛ بل وقعت كما قال كمال الصليبي في غرب شبه الجزيرة العربية بمحاذاة البحر الأحمر، وتحديدًا في بلاد السَّراة بين الطائف ومشارف اليمن) وهي المنطقة المعروفة اليوم بعسير (57). وعند كمال الصليبي أن نقطة العبور كانت في وادي بقران جنوب الطائف. يقول: « إن المياه التي وقفت لتسمح لبني إسرائيل بعبور الجرف عند عقبة بقران) وذلك لأنها ووجهت بسدٍّ أقيم خصيصاً لهذه الغاية على ما يظهر) كانت مياه

سيل وادي أضْم، الذي يجري من الشق المائي غرباً باتجاه البحر. وهكذا تكون نقطة العبور قد حددت في نص سفر يشوع بدقة مذهلة»⁽⁵⁸⁾.

ولم يبعد الباحث السعودي د. القشاش عما ذهب إليه الصليبي بل ذكر أن اليم الذي عبره موسى وقومه واعترضهم في طريق خروجهم من منطقة جازان (مصر القرآنية) إلى أرض الكنعانيين - ليس البحر الأحمر، ولا نهر النيل بل هو حوض مائي لأحد الأنهار العذبة الكبيرة التي تخترق سهول تهامة إلى البحر الأحمر. ورَجَّح بالاعتماد على كثير من القرائن أنه قاع وادي الشقيق الذي عُرف بوادي موسى، والوادي المعجز، ووادي المجزاع، أي وادي العبور.⁽⁵⁹⁾ وقد هدته هذه النتيجة إلى: أن أرض مصر المذكورة في القرآن الكريم والتوراة ليست مصر الحالية، بل هي منطقة جازان اليوم، وما اتصل بها من جبال السَّراة شرقاً⁽⁶⁰⁾.

(ج) دلالة عدم تخصيص البحر:

هذا، بينما سكت جمهرة من علماء التفسير قديماً عن تحديد مكان غرق فرعون ؛ واكتفوا بأن الإغراق كان في البحر⁽⁶¹⁾، ولعل الذي دعاهم لذلك أنهم لاحظوا أن ذكر اليم أو البحر فيما يتصل بغرق فرعون في القرآن الكريم غير مخصص بجهة محددة، وأن تحديدهم لما أغفل الله ذكره ؛ يضطرهم إلى الاستعانة بالإسرائيليات، وما يمكن أن يكون في كتب أهل الكتاب مما يمكن أن يكون محرِّفاً، أو الافتراء بغير الحق، وقد يكون إغفالهم لتحديد المبهمات التي وردت في القرآن الكريم، ومنها تحديد الموقع الذي غرق فيه فرعون ؛ إدراكاً منهم أن في الأسلوب القرآني المتبع رفع لذهن المتلقي إلى ما وراء الحدث من مقاصد ودلالات أكثر من كونها ذواتاً مقيدتين بزمان ومكان محددين أو أسماء محددة، فإن وقفت عند قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ [القصص: 20] لم يضرْك كثيراً ألا تعرف من يكون الرجل في هذا الموقف؟ لأنك ستجد أن ما جاء لأجله هو الذي يضئ لك جوانب الواقعة المعينة أكثر من معرفة اسمه. ولن يضرْك ألا تعرف اسم القرية في قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ [الأعراف: 163] بل سيتجه ذهنك للوقوف على ما أحدثه أهل القرية، فإنه يوشك أن يكون مثلاً لما ارتكبه ويصلح لكل حالة تشبهها في كل زمان أو مكان. ولن يعجزنا كذلك عدم معرفتنا باسم فرعون عن استحضار ما يمثله في سيرة نبي الله وفومه من محادة الله ورسوله، وما يمكن أن يمثله كل ذي سلطان جائر في كل زمان أو مكان، إنه تحول عن اسمه إلى ما يمثله من رمز. ولا شك أن عدم معرفتك باسم أم موسى أو اخته لم يحل بينك وبين تلقي سيرة موسى عليه السلام وتبين مقاصدها. وعلى ذلك فإن تحديد موقع العبور لا يتوقف عليه فهم الحدث من العبور أو الغرق، ولا يضيف لك ذكره مغزى لا تجده بدونه.

خاتمة:

اجتهدت الدراسة في تناول اسم القلزم في دلالاته اللغوية، واسماً لمدينة كانت تقع في ساحل خليج السويس، وعلمنا على البحر الأحمر لفترة تاريخية قديماً. وفرض علينا البحث في الاسم الإشارة إلى ما يتعلق به من أماكن أو أسماء كالحديث عن مسمى البحر الأحمر، وتفسير وقائع سيرة نبي الله موسى عليه السلام وفرعون المتصلة خاصة بالقلزم مدينة أو بحراً؛ فكان الحديث عن مكان ميلاد النبي وغرق فرعون وجنوده في اليم، كما اقتضت الدراسة مناقشة بعض الرؤى ذات الصلة بالسيرة في تناول الباحثين حديثاً.

- وقد خرجت الدراسة في محاولتها لتحقيق أهدافها بمجموعة من النتائج، لعل من أهمها:
 - أن كل ما يمكن أن يضيء لنا جوانب موضوع الدراسة يعتمد غالباً على ما ذكره القرآن الكريم من إشارات، أو ما يمكن أن نستخلصه مما جاء في التوراة عن كثير من الوقائع التاريخية مع الاستعانة بكتب التفاسير والمعاجم اللغوية. وما نتحصل عليه من مثل هذه المصادر من معلومات تظل قاصرة عن الإجابة عن كل مطلوباتنا في المعرفة وتشوقنا للاستطلاع عن التفاصيل؛ إما لاختلاف مقاصدها كما هو الشأن في إغفاله تحديد الأشياء والأماكن اعتناء بما وراء الأحداث من الحكم والعبر، أو لتغير الوقائع والأمكنة عما كانت عليه قبل قرون كثيرة مضت.
 - إن التصدي لإعادة تركيب الوقائع التاريخية التي حدثت في أزمان سحيقة كما في القصص القرآني يلزم أن نتقيد بمقاصدها أكثر من الجنوح إلى تفسيرها اعتماداً على الظن.
 - إن استقراء الأحداث والإشارات التي أوردها القرآن الكريم خاصة في سيرة موسى عليه السلام يدعو إلى ترجيح أنها وقعت في بحر القلزم، (البحر الأحمر، وبشمل خليج السويس كما يسمى حالياً).
 - ضرورة تقليب وجهات النظر فيما ورد في القصص القرآني وتدبر ما تضمنتها من أحداث وإشارات للوقوف على صور أوضح للوقائع.

ثبت المصادر والمراجع:

اعتمدنا في إعداد هذه الدراسة بجانب القرآن الكريم وسفر الخروج من التوراة، على مجموعة من كتب التفسير، ومعاجم اللغة العربية، ومراجع ذات صلة مباشرة بموضوع الدراسة، وما استخلصناه من شبكة الإنترنت، وقد وردت في الدراسة بالترتيب التالي:

[Endnotes]

1. انظر: تفسير الشعراوي (1/ 236)
2. انظر كتابنا: صلح النوبة، وقضايا إسلامية، مطبعة أرو، الخرطوم، 2016م، ص: 66 وما بعدها. ومن المعلوم إن بعضاً مما ينقل عن بني إسرائيل ليس علينا أن نؤمن به، أو نكذبه، وتجاوز حكايته. (انظر تحقيق: صحيح ابن حبان: 14/ 150، وانظر إباحة رسول الله r التحدث عنهم في صحيح البخاري: 4/ 170)
3. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط.3، بيروت، 1414 هـ
4. تاج العروس: 33/ 295 - 296.
5. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، طبعة 8 - 2005 م، وانظر: الموسوعة العربية العالمية، وموجز دائرة المعارف الإسلامية 5/ 1583. والمقريزي: المواعظ والاعتبار، 50/1
6. عبد الشافي محمد عبد اللطيف: السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام، القاهرة 1428هـ، ص: 242
7. ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1415هـ، ص: 190، وذكره ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1997م، 2/ 375، وذكره ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر 4/ 43.
8. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ط. دار صادر، بيروت، 1993: 4/ 387.
9. الفرضة من النهر: المشرع يستقى منه. والفرضة من البحر: مرفأ السفن. (معجم متن اللغة (4/ 391)
10. ياقوت الحموي: معجم البلدان: 4/ 387
11. عاطف عزت: فرعون موسى من قوم موسى، نفرتاري للدراسات والنشر، مصر، 2010.
12. تفسير القرطبي: 1/ 390
13. على ما أورده "العربية. نت "
14. انظر عن حفر خليج أمير المؤمنين: ابن عبد الحكم- فتوح مصر والمغرب: ص 190
15. عن الموسوعة العربية العالمية، وفيها أن سعيد باشا وقع اتفاقية مع شركة فرنسية لشق قناة عبر برزخ السويس تربط بين البحرين الأبيض المتوسط والأحمر لتقصّر المسافة بين أوروبا وآسيا. وبدأ حفر القناة بالفعل عام 1859م. وافتتحت للملاحة البحرية عام 1869م.
16. ياقوت الحموي: معجم البلدان دار الفكر - بيروت 1/ 344
17. روجيه جوانت: تاريخ البحر الأحمر من موسى حتى بونابرت، ترجمة: حسن نصر الدين،

- المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص: 25 وما بعدها.
18. نقلا عن ويكيبيديا ar.m.wikipedia.org.
19. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 1/ 141. وفي لسان العرب (9 / 165) أن [السواف]-
بضم السين وفتحها: الهلاك. وانظر محيط المحيط، والإبانة في اللغة العربية.
20. الحلفاء: « نبات عُشْبِيٌّ، مُعَمَّرٌ من الفصيلة النَّجِيلِيَّة، أوراقه مستطيلة خَيْطِيَّةٌ أو أَسَلِيَّةٌ النَّصْل، يلتفُّ بعضها على بعض، وتُصنع منها أنواع من الحُصُرِّ والقُفُفِّ والجبال، لكنها خشنة الملمس في كل حالاتها »معجم اللغة العربية المعاصرة 1/ 545. وقد أطلق على (وادي حلفا) في شمال السودان ؛ هذا الاسم نسبة إلى هذا النبات الذي يكثر في تلك المنطقة.
21. انظر سفر الخروج 2/3.
22. ذكر أحمد سعيد القشاش: ألفاظ جغرافية من القرآن والسنة النبوية، مجلة الجامعة الإسلامية، ملحق العدد 183 الجزء 9.
23. البرِّيَّة: الصحراء، نُسبت إلى البرِّ، وجمعها البراري. عن لسان العرب: 4 / 54
24. على ما أورده "العربية. نت "
25. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: 1/ 185 والمعجم الوسيط: 1/ 48
26. عاطف عزت: فرعون موسى من قوم موسى، نفرتاري للدراسات والنشر، مصر، 2010، ص: 60-61.
27. المعجم الوسيط: 1/ 76.
28. مجلة البحوث الإسلامية (أمكنة/ 106) عن الموسوعة العربية العالمية
29. الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي (11 / 127، بترقيم الشاملة آليا
30. أبو منصور الأزهري: تهذيب اللغة: 15/ 460. والنص نفسه في: لسان العرب: 12 / 647، وفي: تاج العروس: 34 / 139.
31. الماء الزعاق وكذلك الطعام الزعاق: هو المر لا يطاق شربه أو أكله.
32. السَّاحِل: المنطقة من اليابس التي تجاور بحرا أو مسطحا مائيا كبيرا وتتأثر بأمواجه. أما الشاطئ فهو يابس على طول حافة محيط أو بحر أو بحيرة أو نهر.
33. صحيح مسلم: 4 / 2193
34. ابن كثير: قصص الأنبياء: 2 / 84.
35. فتح القدير للشوكاني: 1 / 99.
36. دلتا: بالكسر الأرض الواقعة بين فرعي النيل عند مصبهما في البحر الأبيض. ويطلق أيضا على أي أرض تقع بين فرعي نهر من جانب والبحر من جانب آخر. وهو اسم دخيل عن اليونانية.

37. انظر: تاج العروس: 315 / 14، والمصباح المنير: 627 / 2، ولسان العرب...
38. عاطف عزت: فرعون موسى من قوم موسى، دار نفرتاري، القاهرة، 2010، ص: 64.
39. عاطف عزت: المصدر نفسه، ص: 60.
40. عاطف عزت: المصدر نفسه، ص: 61.
41. انظر: لسان العرب والمعجم الوسيط، الصحاح، تاج العروس، معجم متن اللغة...
42. انظر عن تفسير الآية في تفسير الكشاف: 3 / 396، والتفسير المنير للزحيلي: 20 / 62، وغيرهما
43. انظر تفسير الاختلاف بين الألقاء والقذف في تفسير الشعراوي.
44. الحَمِيدِي، ابن أبي نصر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: زبيدة محمد سعيد، مكتبة السنة، القاهرة، مصر - 1995: ص: 485.
45. محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، 9 / 75.
46. عاطف عزت: فرعون موسى، ص: 60.
47. ابن كثير: قصص الأنبياء: 2 / 84.
48. الشعراوي: معجزات النبي r ص: 391.
49. انظر المعاجم العربية وكتب التفسير: لسان العرب، (دار صادر)، وتاج العروس: 33 / 295. وعاطف عزت: المصدر نفسه، ص: 61.
50. رئيس قسم التوراة في كلية هرتسوج الأكاديمية، عن مقال بصحيفة «يديعوت أحرونوت» بتاريخ الأحد 16 أبريل 2017.. نقلاً عن صحيفة مصر العربية إبريل 2017
51. ذكر المترجم أنه: محافظة الشرقية وتحديداً مدينة فاقوس
52. صحيفة مصر العربية إبريل 2017.. (نقلاً عن شبكة الانترنت)
53. محمود حسن رزق: السودان مهبط التوراة ومجمع البحرين، ط.2، E-Kutub Ltd لندن، 2019.
54. انظر ما سجله الكاتب في المحور الرابع من كتابه (السرعة في الحركة) ص: 59 -69.
55. أكد الكاتب وجود منطقة في نهاية خليج السويس من الناحية الشمالية تحمل اسم السكوت.
56. محمود حسن رزق: السودان مهبط التوراة، ص: 67
57. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عزيز الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ط 6، بيروت، لبنان، 1998، في مقدمة الطبعة العربية، ص 11
58. كمال الصليبي: المرجع السابق، ص: 140.
59. أحمد سعيد القشاش: ألفاظ جغرافية من القرآن والسنة النبوية، مجلة الجامعة الإسلامية،

ملحق العدد 183 الجزء 9. ص: 444.

60. القشاش: المرجع السابق، ص: 445.

61. انظر على سبيل المثال في تفسير: النسفي، الزمخشري، الرازي، القرطبي، البغوي، الشوكاني....

الأهمية الإستراتيجية لجزر البحر الأحمر

دكتورة / سلمى عثمان سيد أحمد

باحث بمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

المستخلص

تتناول هذه الدراسة الأهمية الإستراتيجية لجزر البحر الأحمر، حيث ان البحر الأحمر يحتوي على عدد كبير من الجزر على مواقع مختلفة ومتباينة مقسمة على الدول المطلة على البحر الأحمر ومن الممكن أن تحتوي الدولة الواحدة على أكثر من ألف جزيرة تختلف هذه الجزر من حيث أهمية مواقعها الإستراتيجية وتأثيرها على الدول الموجودة فيها أو دول أخرى ذات مصلحة بها، هذه الجزر يمكن أن تكون مصدر قوة أو ضعف لدولها أو مصدر تنازع بين الدول المجاورة لها وهذا يتوقف على الأهمية الإستراتيجية للجزيرة وايضا يمكن ان تكون مصدر لأطماع القوى العظمى والصاعدة (تركيا وإيران) مما يدفع هذه الدول للمحاولة جاهدة في تكريث وجودها في المنطقة بأي شكل.

تهدف الدراسة إلى التركيز على: أولا الأهمية الإستراتيجية لجزر البحر الأحمر وكيف من الممكن أن تصبح هذه الجزر مصدر قوة لدول المنطقة، ثانيا كما تهدف الدراسة ايضا إلى تحليل دور القوى العظمى والصاعدة ومحاولاتها المتكررة في السيطرة على بعض الجزر ذات الطابع الإستراتيجي والتي من الممكن ان تحقق اهدافها عن طريق تثبيت وجودها في المنطقة بشتى الطرق.

تفترض الدراسة ان: أولا البحر الأحمر يحتوي على كمية كبيرة من الجزر ذات الأهمية الإستراتيجية واخرى ذات طابع سياحي إقتصادي مما جعلها مصدر لأطماع القوى العظمى و الصاعدة التي تدرك تماما أهمية هذه الجزر واطماع الدول نفسها في جزر بعضها البعض، ثانيا وانه من الممكن ان تكون هذه الجزر مصدر قوة وحماية لأمن المنطقة مستقبلا إذا تم تطويرها.ثالثا المحافظة على الجزر من التدخل الخارجي. رابعا إبرام الإتفاقيات الدولية والإقليمية يؤثر إيجابا في أمن البحر الأحمر.

خلصت الدراسة إلى بعض النتائج منها: أولا: وجود حالة من الأطماع العربية تجاه أقاليم بعضها البعض والأطماع الدولية أيضا تجاه الجزر. ثانيا: وهن الوحدة العربية الناجم عن ضعف مستوى العمل العربي المشترك. ثالثا: يشكل التغلغل الإسرائيلي في البحر الأحمر إختراقا كبيرا لسيادة دوله بسبب عدم قدرة دول البحر الأحمر من منعها.

توصي الدراسة بالعديد من التوصيات منها الآتي: أولا: العمل على شراكة تجمع دول حوض البحر الأحمر في كيان واحد قوي من خلال آليات قوية مدركة تماما لأهمية المنطقة الإستراتيجية والدول الطامعة فيها وكيفية التعامل معها. ثانيا: العمل على إنشاء منظومة عسكرية عربية

موحدة لحفظ امن جزر البحر الأحمر ومضائقه كي تصبح مصدر قوة وحماية للمنطقة برمتها. تحدثت الدراسة عن الموضوع حتى الفترة الزمنية الراهنة وأعطت نظرة مستقبلية لما يتوقع حدوثه، إستخدمت الدراسة تكامل المناهج في الكتابة وجمع المعلومات والبيانات من منهج تاريخي ووصفي وتحليلي والقانوني.

ABSTRACT

This study deal with the strategic importance of the red sea islands, as the red sea composed of numerous islands at different sites scattered around the sea beaches' states, hence, it is quite possible that one country might comprise more than one thousand islands with different dimensions of strategy, location, it's influence on the state it belongs to and/or other states that has special interest in the region. These islands could be a source of power or weakness to its states, on the other hand it can be a source of conflict between the neighboring states, and this of course depends on the strategic prominence of the specific island and the power of the tussled states. Also these islands could be a source of attractiveness to the covetous greatest and ascending states, and motivated them to occupy these islands by any means and dedicates its existence there. The study objectives are twofold: (1) To examine the strategic importance of the red sea islands and how can they became as a source of power to their belonging states; (2) To focus and analyze the role of the greatest and the ascending states and its repeated and frequent trials to occupy these islands. The study hypotheses are: (1) the red sea comprise of a numerous islands characterized with strategic prominence, economic and/or tourism nature, this represents an ambitions to the greatest and the ascending states, and to the region states itself. (2) These islands could be a source of power and security for the region in the future if they are well developed, and protected from any foreign intervention. (3) Conducting international and regional agreements has a positive impact on the security of the red see.

The study concluded to some results some of which are, first: the presence of regional Arabic ambitious and specifically the islands. Secondly: The weakness of the Arab unity which emerged from the weakness of the joint Arab action thirdly: the pervasiveness of Israeli state in the red sea represents a breakthrough to the sovereignty of these states. The study concluded to some recommendations, some of which is to assemble an alliance of the red sea states into one entity which can be split into implementation mechanism well aware of the prominence of this region and to provide the necessary protection for this entity. Secondly: to form a unified Arabic military organized force to provide the security of the region. Thirdly: encourage and motivate the red sea state for the assignment of the World Seas Conventions and Treaties(WCT).The study also discussed the prevailing conditions of the region and predict a vision for the expected future. The study followed the integrated methodologies, historical, analytical, descriptive and legal methodology.

المقدمة

يحتوي البحر الأحمر على الكثير من الجزر ويمكن تقسيمها إلى جزر محيطية لها سمات الجزر التي تتكون في اعماق المحيط على اعماق كبيرة إزاء تراكم طفوح بركانية يعلو منسوبها إلى أن يبلغ الجبال اما النوع الثاني من الجزر هو الجزر الساحلية وهي التي تكون قريبة من الساحل، ويوجد الكثير من الجزر يتمتع ببيئة نباتية وحيوانية مختلفة ومعظمها غير مأهولة بالسكان ولكنها لا تخلو من بعض الوجود العسكري بهدف حماية المصالح. ونظرا لما تشكله جزر البحر الأحمر من أهمية إستراتيجية بالغه لدوله بشكل عام والدول العظمى والصاعدة بشكل خاص خاضت الدراسة في الأهمية الإستراتيجية لهذه الجزر، حيث أن البحر الأحمر يعد بمثابة البوابة الأهم والتي تربط التجارة العالمية ببعضها البعض ولأهمية مكانة البحر الأحمر فأن هناك تنافسا دوليا للتواجد في محيطه وعلى جزره، وأهمية البحر الأحمر تؤثر وتتأثر بمناطق العالم الجغرافية البعيدة والقريبة منه على حد سواء وذلك لوجود باب المندب وخليج تيران وقناة السويس بوابات التجارة العالمية فيه، ولضمان إستمرار سيطرة الدول العظمى على المنطقة العربية وثرواتها أوجدت إسرائيل وثبنتها. وتتضمن التجارة العالمية تبادل النفط وبذلك يكون البحر الأحمر اساسيا لتحقيق أمن الطاقة أحد مستويات الأمن القومي المتعلقة بالأمن القومي العربي. لذلك فأن السيطرة على هذه الجزر تمنح الدولة المسيطرة إمكانية التحكم على حركة السير والمرور في المنطقة، وحيث الأطماع الدولية في البحر الأحمر وجزره خاصة من طرف الدول الكبرى يؤدي إلى قيام تلك الدول بدفع قواتها العسكرية في منطقة البحر الأحمر وجزره، خاصة من طرف الدول الكبرى يؤدي إلى قيام تلك الدول بدفع قواتها العسكرية في المنطقة حيث تتمركز الدول العظمى على جزر البحر الأحمر او حولها للسيطرة على منافذه كباب المندب وقناة السويس وخليج العقبة، وخير مثال لذلك الوجود العسكري في جيبوتي من خلال قواعد عسكرية ذات مهام عسكرية وإستخباراتية مما يحجم دور دول البحر الأحمر في الإنفراد والسيطرة بالقرارات والسيطرة على الحركة، وكان هذا واضحا وجليا في عام 1956 عند محاولة إسرائيل فرض السيطرة على البحر الأحمر من خلال إستيلائهم على شبه جزيرة سيناء وجزيرتي تيران وصنافير المصريتين آنذاك. كما تمتاز جزر البحر الأحمر بوعورتها وندرة مائها وقلة سكانها ولكن بعضها يتمتع بخواص جمالية لأغراض السياحة والراحة. وعليه يكون التساؤل الرئيسي للدراسة هو: إلى أي مدى ساهمت الأهمية الإستراتيجية لجزر البحر الأحمر في خلق نزاعات في المنطقة سوى كانت بين دول متجاورة او دول عظمى او صاعدة؟

الدراسات السابقة

الدراسة الأولى:

د/ شهاب محسن عباس، الجزر اليمنية، مركز العبادي للنشر، الطبعة الأولى 1996، صنعاء-

اليمن. تناولت الدراسة خصائص البحر الأحمر ودوله وأرخبيلاته وجزره ومضائقه، كما تناولت دور اليمن في تحديد ملامح وهوية البحر الأحمر وتحديث أيضا عن الجزر اليمنية في البحر الأحمر من حيث السكان والأهمية الإستراتيجية للجزر اليمنية في البحر الأحمر، توصلت الدراسة لعدة نتائج منها أولا: أن البحر الأحمر يعتبر الطريق الطبيعي القصير للتجارة العالمية خصوصا البترول. ثانيا: تعتبر الموانئ والجزر العديدة الواقعة داخل مياهه محطات إدارية لراحة اطقم السفن ومحطات للتزود بالوقود والمؤن واعمال الإصلاح الضرورية والعاجلة. ثالثا: معظم جزر البحر الأحمر ذات قيمة عسكرية اكبر من القيمة الإقتصادية بإعتبارها نقاط برية في وسط البحر وتزداد اهمية الجزر كلما كانت اقرب إلى مداخله سواء في الشمال بالقرب من قناة السويس أو في الجنوب بالقرب من باب المندب.

الحراسة الثانية

خالد حماد احمد عياد، أهمية جزر البحر الأحمر في الأمن القومي العربي (جزيرة حنيش الكبرى وجزيرتا تيران وصنافير دراسة حالة) 1956-2017، جامعة مؤتة - المملكة الأردنية، 2017. تناولت الدراسة مواضيع مختلفة منها الأهمية الإستراتيجية والتاريخية للبحر الأحمر وتأثير جزر البحر الأحمر على الأمن القومي العربي، وايضا تحدثت الدراسة عن موقف القانون الدولي العام (القانون الدولي للبحار - التحكيم - المعاهدات) من الصراعات الدائرة حول البحر الأحمر وجزره، كما تناولت الدراسة حالة خاصة كدراسة حالة جزر حنيش الكبرى وتيران وصنافير (عام 1956 وما بعدها). توصلت الدراسة لكثير من النتائج منها أولا: تردي الأمن القومي العربي إلى أدنى مستوياته نتيجة الصراعات المستمرة المحلية والإقليمية والدولية للسيطرة على جزر البحر الأحمر. ثانيا: تركيز الدول العربية على البعد العسكري للأمن وكذلك الإستخباري مما يعمل على إستبعاد الأخرى للأمن القومي العربي كالأبعاد الإجتماعية والثقافية والإقتصادية وهي عوامل هامة في تعزيز مفهوم الأمن القومي العربي.

الأهمية الإستراتيجية لجزر البحر الأحمر

تناولت الدراسة الموضوع من خلال المحاور الرئيسية الآتية:

أولاً: ماهية جزر البحر الأحمر كما ونوعاً.

ثانياً: جزر إستراتيجية على البحر الأحمر متنازع عليها.

ثالثاً: الأهمية الإستراتيجية لجزيرة سواكن السودانية وتنافس القوى العظمى عليها.

رابعاً: مدى مساهمة الموقع الإستراتيجي لهذه الجزر في حماية امن المنطقة مستقبلاً.

المحور الأول ماهية جزر البحر الأحمر

يقع البحر الأحمر بين قارتي آسيا وأفريقيا كما أنه إمتداد من المحيط الهندي وهو محيط بخليج عدن من الجهة الجنوبية ويصل لدول الشرق الأوسط من خلال خليج العقبة، وعرض هذا البحر يقارب 190 ميلا من اوسع نقاطه وطوله يقارب 1200 ميل، كما سجل اقصى عمق له بمقدار 1640 قدما. يحتوي البحر الأحمر على العديد من الشواطئ الرملية الجذابة وفيها الكثير من الشعاب المرجانية التي تعمل على جذب الغواصين من جميع العالم، كما أن الشواطئ التابعة لهذا البحر تحتوي على العديد من المنتجعات السياحية ذات المزايا العديدة لتوفر الرفاهية وتستقطب هذه المنتجعات الكثير من السياح المحليين والأجانب، كما أن الغوص في هذا البحر مميز طوال السنة فمياه البحر الأحمر الدافئة تجعل منه مكانا مناسباً للسباحة والغوص بشكل دائم. للبحر الأحمر الكثير من الجزر التابعة له وبالعادة تكون هذه الجزر صغيرة الحجم بحيث لا تتجاوز الكيلومتر المربع وبعضها قد يتجاوز ذلك الحجم وبعضها تكون مساحتها أكبر من 10 كلم، هناك بعض الجزر مأهولة بالسكان مثل جزيرة دهلك وجزيرة سواكن وبعضها خالية من السكان وبعض الجزر تتمتع بموقع إستراتيجي مؤثر مما جعلها محل نزاع وعليه سوف نتناول هذه الجزر بقليل من التفصيل في كل دولة على حدة. تطل على البحر الأحمر ثماني دول معظمها تحتوي على عدد من الجزر ما عدا الأردن، وعليه سنتناول كل دولة وما تحتويه من جزر على حدة.

الجزر السودانية بالبحر الأحمر

يحتوي السودان على جزر عديدة في الساحل الشمالي من بورتسودان والساحل الجنوبي منها وتوجد بعض الجزر لا أسماء لها مما يهدد السيادة عليها حسب قوانين واعراف البحار، ومن الجزر السودانية المعروفة في البحر الأحمر:

أولاً جزيرة الريح: سميت بهذا الاسم للرياح القوية المستمرة التي تهب عليها من البحر الأحمر من تجاه راس الشيطان (رأس هدربا) وهي تشبه نجمة البحر في شكلها ولا تبعد سوى كلم واحد عن الساحل عند ادنى جزر وتتسع المسافة عند أعلى مد للبحر وتبعد نحو 111 ميل (204 كلم) عن بورتسودان يبلغ طولها نحو 6 كلم وأكبر عرض نحو 4 كلم وهي لا تبعد سوى بضع كيلومترات جنوب خور نورات، توجد بالجزيرة كهوف غريبة مبنية بحجارة الشعب المرجانية الكلسية ولا يعرف اسباب وجودها.

ثانياً خور نورات:

هذه المنطقة ساحلية وهي عبارة عن خليج في شكل حدوة الحصان تتوسطه جزيرة ابو

العباس وسميت بهذا الاسم لوجود خور موسى بهذا الاسم يحمل سيول الأمطار من الجبال لتصب في هذه المنطقة والتي بها اشجار التنضب والموسكيت ونباتات بحرية تشبه المانجروف في موسم الأمطار شتاء، تبعد المنطقة نحو 5 كلم من قرية عقيق وتبلغ أبعاد نورات نحو 7/14 كلم وابعاد جزيرة ابو العباس التي بها عدد من السكان وبها آبار عذبة وضريح والملفت وجود غزلان بالجزيرة وعدد كبير من الكهوف البحرية والبرك العميقة المسقوفة طبيعياً، هذه المنطقة من الممكن ان تكون منطقة سياحية مستقبلاً.

ثالثاً جزيرة ثلاثا:

هما جزيرتان تسميان ثلاثا الصغير والكبير وهي جزر رملية جرداء تقع ثلاثا الكبيرة في الإحداثي 3809 شرق / 1850 شمال، وثلاثا الصغير في 3800 شرق / 1846 شمال تبعد الجزيرتين عن بعضهما نحو 7,5 ميل (14 كلم)، هاتان الجزيرتان موقعهما إستراتيجي وتستخدمان في عمليات التهريب كنقطة إنزال اولي ثم تهرب الممنوعات منهما للساحل عندما تكون النواحي الأمنية لصالح المهربين.

رابعاً جزر بار موسى وسيل عدا:

تعتبر هذه الجزر من الجزر البعيدة عن الساحل والمعرضة اكثر من غيرها للإحتلال والإستغلال الغير مشروع لدول اخرى كنقاط مراقبة للممر الملاحي الدولي وكذلك لمراقبة السفن والغواصات وغير ذلك بزرع متحسسات ومتصنعات فيها أو في المياه الضحلة حولها، كما يمكن أن تستخدم في عدائيات ضد الدولة كنقاط إرتكاز او ان تستخدم من قبل الإرهاب الدولي لتصيد ناقلات النفط ولعرقلة المواصلات البحرية خلال الأزمات، كما ان مثل هذه الجزر يمكن ان تستخدم في اعمال القرصنة البحرية، لذا انه من الخطورة بمكان بقاء هذه الجزر معزولة ومهملة وخارج التغطية الأمنية المستمرة، وهذه الجزر تتمتع برمال بيضاء ومياه صافية ومواقع غطس وشعب مرجانية خلابة ويمكن إستثمارها سياحياً، كما ان سيل عدا تعتبر محمية عالمية لنوعية مميزة من السلاحف النادرة.

خامساً أرخبيل جزر سواكن:

الأرخبيل هو عبارة عن مجموعة من الجزر، يتكون أرخبيل سواكن من جزر جرداء في معظمها رملية التكوين ولا تحمل معظم هذه الجزر اسماء على الخارطة البحرية، إلا ان بعضها يحمل اسماء محلية متداولة بين الصيادين.

جزيرة سواكن القديمة: سواكن مدينة قديمة قدم التاريخ، كانت ميناء لعدة حضارات متتالية إلا انها لم تزدهر إلا في العهد التركي الذي شيد مدينة جميلة من مباني متعددة الطوابق شيدت من احجار الشعب المرجانية داخل حدود جزيرة سواكن وكان اوج فترة إزدهارها في الفترة 1835-1860م واشهر مبانيها قصر الشناوي، إلا ان هذه المدينة لم تصمد وإنهارت ولم

يتبقى إلا اطلالها فقط ⁽¹⁾.

الجزر اليمنية في البحر الأحمر

عدد الجزر اليمنية بالبحر الأحمر 152 جزيرة موزعة على اربعة قطاعات رئيسية وهي قطاع ميدي ويضم 52 جزيرة وقطاع اللحية ويضم 48 جزيرة وقطاع كمدان ويضم 17 جزيرة وقطاع حنيش وزقر ويضم 33 جزيرة وارخبيل، تتنوع التضاريس والمساحات الجغرافية للجزر اليمنية حسب تنوع التكوينات الجغرافية للقطاعات التي تتواجد فيها هذه الجزر وتقدر الدراسات الجغرافية عمر الجزر اليمنية الواقعة في شمال البحر الأحمر ما بين 39/32 مليون سنة، حيث ادت رواسب المتبخرات في البحر الأحمر إلى تكوين القباب المحلية التي تعد إحدى المكونات الرئيسية لتكوين الجزر، تمتاز جزر البحر الأحمر باليمن بامتلاكها لثروات إقتصادية هائلة بالإضافة إلى التنوع الكبير فهناك تنوع حيوي بيئي حيث تتوفر في الجزر اليمنية أكثر من 240 نوع من الشعب المرجانية و700 نوع من اسماك القرش الكبيرة و485 نوع من الطحالب البحرية، وتمتلك شواطئ الجزر اليمنية إمكانات ومقومات سياحية كثيرة حيث تتوفر فيها الشواطئ الرملية والمواقع الأثرية وكذا الموارد الطبيعية المتمثلة في السلاحف البحرية والشعب المرجانية وغابات اشجار المانجروف فضلا عن الطيور البحرية واسماك الزينة والأسفنجيات، تعتبر الجزر اليمنية في البحر الأحمر من أغنى الجزر في الشرق الأوسط بالطيور الي تتجاوز انواعه 363 نوع من انواع الطيور ⁽²⁾.

من اهم الجزر اليمنية في البحر الأحمر الآتي: طواق، عاشق كبير، عاشق صغير، صيل، سيا، ربا، صيل ربا، رامين، مرين، البضيع، القصم، حنيش الكبرى، جبل الزبير، فرسان، سمير، عرضين، الجريب، بكلان، الدنج، المغلوق، البعيصاء، ابو شجرة، غراب، الغشت، كتامة، رشة، حنيش الصغرى، ابو عيل (علي)، أريان، الرافع، ذو حراب، ذو ثلاث، سانع، سهر، زرياط، نخل، قصر، ام دهاير، عكبان، المتجاملة، ذباب، بريم، رضا، جوري، الزريحا، حمر، عتابة، زنتن، طفقاش، بدارد، المرك، كدمان، كمران، زقر، جبل الطير، موليلة، بحيس ⁽³⁾. تختلف هذه الجزر من حيث الأهمية الإستراتيجية واهليتها بالسكان ولكنها ذات مميزات وطوايع مختلفة، شهدت اليمن نزاعات حادة من اجل السيطرة على الجزر الإستراتيجية ولكن التدخل الدولي ساهم في حل الأزمة وأعيدت او اصبحت الجزر يمنية بقرار دولي صادر من محكمة العدل الدولية في لاهاي 1996.

الجزر السعودية في البحر الأحمر

تمتلك المملكة العربية السعودية 1150 جزيرة في البحر الأحمر كما تتميز المملكة العربية السعودية بمجموعة كبيرة من الجزر ذات السواحل الرملية والشواطئ المرجانية وتنقسم هذه الجزر إلى اربعة مجموعات رئيسية وهي كلاتي: اولاً المجموعة الأولى وتقع هذه المجموعة في الجزء الشمالي من الساحل السعودي ما بين المدخل الغربي لخليج العقبة وشرق خليج

الخريبة، وتضم هذه المجموعة عددا من الجزر كجزيرة شوشة، جزيرة الثقباء، جزيرة الفرشة، جزيرة أم قصور بالإضافة إلى جزيرة أم الحصاني. المجموعة الثانية، وهي تقع في وسط الجزء الشمالي من الساحل السعودي في منطقة محصورة بين مدينة الوجه ومدينة امالج وهي تضم الكثير من الجزر كجزيرة ام روغة، وجزيرة ريخة، وجزيرة جبل حسان بالإضافة إلى جزيرة شيان وجزيرة سويحل. المجموعة الثالثة: تقع هذه المجموعة في وسط الجزء الجنوبي من الساحل السعودي في منطقة محصورة بين مدينة الليث ومدينة القنفذة وتضم عددا من الجزر كجزيرة جبل دوقة، وجزيرة جبل الليث، وجزيرة ام القماري، بالإضافة إلى جزيرة جبل الصبايا وجزيرة ثرى. المجموعة الرابعة: تقع في الجزء الجنوبي من الساحل السعودي إلى الغرب من مدينة جازان ومن أهم جزر هذه المجموعة جزيرة فرسان. تعد جزيرة البغلة ابعد الجزر السعودية في البحر الأحمر عن الساحل حيث تبعد مسافة 107,05 كلم عن الساحل، وتعد جزيرة الوصل هي الأبعد باتجاه الشمال، أما جزيرة رامين فهي الأبعد في الإتجاه الجنوبي. تختلف مساحة جزر المملكة العربية السعودية في البحر الأحمر حيث ان اكبر جزيرة هي جزيرة فرسان الكبير وتبلغ مساحتها 380 كلم، وتأتي جزيرة السقيد في المرتبة الثانية بمساحة تصل لـ 150 كلم، وتعتبر غالبية الجزر في السعودية غير مأهولة بالسكان إلا ان بعضها يحتوي على مراكز إقتصادية وسكانية وقرى كجزيرة فرسان الكبير وجزيرة السقيد وجزيرة قماح⁽⁴⁾ بعض الجزر كانت محل خلاف بين السعودية ومصر وهما جزيرتا تيران وصنافير اللتان آلتا للسعودية في العام 2017 بموجب إتفاق مبرم وعقد موقع بين المملكة العربية السعودية ومصر، تقع الجزيرتان في مضيق تيران الذي يفصل خليج العقبة عن البحر الأحمر. لقد عملت السعودية على ما يسمى بمشروع البحر الأحمر وهو مشروع سياحي تم الإعلان عنه في 31 يوليو 2017 ويضم المشروع أكثر من 90 جزيرة طبيعية بين امالج والوجه، ويهدف المشروع إلى تطوير المنطقة وجعلها قلة سياحية.

الجزر المصرية في البحر الأحمر

تحتوي مصر على عدد كبير من الجزر ذات الميزات المختلفة ومن اهمها جزيرة الجفتون الكبير والجفتون الصغير امام ساحل الغردقة، جزيرة ابو منقار امام شيراتون الغردقة، جزيرة شنوان امام ساحل الغردقة، جزيرة الفنادر، وجزيرة تيران، ايضا توجد في مصر جزيرة الأخوين وتقع ما بين سفاجا والقصور وهي واحدة من افضل التجمعات المرجانية واسماك القرش وواحدة من افضل مناطق الغطس، تلك الجزيرة زكرها عالم الغطس الفرنسي جاك كوستو في كتابه العالم الصامت، حيث تتميز جزيرتي الأخ الأكبر والأخ الأصغر بمشهد مميز للشعب المرجانية والمياه الكريستالية الصافية بالإضافة إلى حطام سفينتين غارقتين هما عابدة و نوميديا مما جعل هاتين الجزيرتين مكانا جذابا لمحبي التصوير الفوتوغرافي تحت الماء⁽⁵⁾.

جزر اريتريا في البحر الأحمر

من أشهر هذه الجزر أرخبيل دهلك وهو عبارة عن تجمع من الجزر قبالة الشواطئ الإريترية قرب مدينة مصوع، عدد الجزر 126 جزيرة إثنان منهما جزر كبيرة وهما دهلك الكبرى ونهلق تشتهر هذه الجزر بصيد اللؤلؤ من الحقة الرومانية وما زالت تنتج كميات كبيرة منه، من أصل 126 جزيرة أربع جزر فقط تقطن بالسكان وبشكل دائم وهي دهلك الكبرى وهي الأكبر والأكثر سكانا ونهلق ونورا وجزيرة حرمل، الحياة البحرية المتنوعة والطيور البحرية تجذب العديد من السياح في المنطقة ويقطن هذا الأرخبيل 3000/2500 ألف نسمة ويمتهنون صيد الأسماك والمرجان واللؤلؤ بالإضافة إلى تربية الماعز والجمال واللغات السائدة هي التغري والعفر ولغة الدهالكة ويمكن الوصول للجزر عن طريق ميناء مصوع. ونظرا لموقع جزيرة دهلك الإستراتيجي القريب من باب المندب ومن خطوط الملاحة الرئيسية في البحر الأحمر فقد حاولت القوى العالمية الكبرى التمرکز فيها وإنشاء قواعد عسكرية خاصة ان في الجزيرة مطارا ومهبطا للطائرات العمودية وارصفة عائمة ومحطات للإتصالات ومنارات للسفن إلى جانب ثروات إقتصادية، تقيم إسرائيل في الجزيرة أكبر قاعدة بحرية لها خارج حدودها في جزر دهلك وذلك بموجب إتفاقية بينها وبين اريتريا، وقد إستخدمت اريتريا زوارق حربية إسرائيلية ودعما لوجستيا كبيرا من تلك القاعدة البحرية أثناء إحتلالها لجزيرة حنيش اليمنية عام 1996، وتتخذ إسرائيل من الجزيرة مركزا لها للرصد والمراقبة في البحر الأحمر لمراقبة المملكة العربية السعودية واليمن والسودان وحركة ناقلات النفط، كما انها تعد أيضا محطة لتشغيل الغواصات الإسرائيلية المزودة بالصواريخ النووية التي تقوم بمراقبة حركة الملاحة عند مضيق باب المندب، وكانت روسيا قبل ذلك تتخذ الجزيرة كقاعدة للسيطرة على البحر الأحمر قبل خروجها منها في بداية التسعينات من القرن الماضي⁽⁶⁾.

جزر جيبوتي في البحر الأحمر

تحتوي جيبوتي على العديد من الجزر أهمها الجزر السبعة وهو أرخبيل في قطاع دكة المعيون بمضيق باب المندب وتتبع الجزر لمقاطعة ابخ في جيبوتي وهو موقع شهير للغطس، والأرخبيل في الأصل هو سلسلة من ستة جزر بركانية تمتد حوالي 10 كلم من الشرق للغرب، أيضا توجد الجزيرة الغربية او الحمراء، والجزيرة المزدوجة، الجزيرة السفلى، الجزيرة الكبرى، الجزيرة الشرقية، الجزيرة والجزيرة الجنوبية، اما الجزر السبعة فهي تل بركاني على الحافة الشمالية لشبه جزيرة رأس سيان والجزيرة الغربية تقع على بعد 4,5 كلم شرق شبه جزيرة سيان و ستة كلم شمال شرق الساحل الجيبوتي، جميع الجزر محاطة بشعاب مرجانية مائلة للون البني عدا الجزيرة الكبرى والتي تميل للون الأصفر وتوجد علامة بناء على قمة الجزيرة الكبرى، عندما وصل التنافس الفرنسي الإنجليزي على إحكام السيطرة على مناطق

النفوذ في العالم ونقاط التحكم الإستراتيجي، كلفت فرنسا قنصلها في عدن للبحث عن موطن قدم لها على سواحل البحر الأحمر وعليه إحتلت فرنسا تجورة في 1862، حيث وضعت يدها على ميناء ابخ من خلال إتفاقية أبرمتها مع شيوخ المنطقة. في العام 2008 برز خلاف حدودي حول بين اريتريا وجيبوتي على راس دميرة وجزيرة دميرة وقد توسط امير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثان اثناء زيارته للبلدين في ابريل 2008 وعليه انسحبت اريتريا من راس دميرة وقد اصدرت الأمم المتحدة بياناً لحل النزاع المسلح. تم الإعلان عن الوساطة القطرية بشكل رسمي في شهر يونيو 2010. هناك من ينظر إلى هذا النزاع بإعتباره نزاعاً حدودياً على راس دميرة الإستراتيجي بينما ينظر إليه البعض بأنه يأتي في إطار السباق بين اريتريا واثيوبيا للسيطرة على منطقة دميرة بكاملها أما جيبوتي فقد نسبت الأمر إلى مؤامرة إسرائيلية تهدف إلى السيطرة على باب المندب عن طريق اريتريا.

خلجان ومضائق البحر الأحمر

تعد المضائق البحرية ذات اهمية بالغة للعالم وللدول الموجودة على سواحلها، كما ان للمضائق ادوار متعددة منها الإقتصادية وتعد وسيلة هامة من وسائل الإتصال بين الشعوب والأمم، كما تعد المضائق البحرية كحبل النجاة والحياة للمجتمعات وذلك بسبب ان البحار هي الطريق الرئيسي للتجارة العالمية كما أن المضائق تعمل على تقصير المسافات بين الدول، وللبحر الأحمر بوابتين رئيسيتين هما باب المندب وقناة السويس.

مضيق باب المندب

يقع باب المندب بين اليمن وجيبوتي ويوجد فيه جزيرة بريم التي كانت تحت السيطرة البريطانية إلى عام 1967 وتبلغ مساحتها 12 كلم مربع ولا يعد الفاصل المائي بين اليمن وبريم صالح للملاحة بينما يعد الفاصل المائي بين بريم وجيبوتي هو الصالح للملاحة بعرض 27 كلم ويطلق عليه دقة ميون ويمر من خلاله 70% من تجارة النفط العالمي و56 باخرة عملاقة يوميا، ويعد مضيق باب المندب حلقة الوصل ما بين المحيط الهندي والبحر الأحمر⁽⁷⁾. ويقع مضيق باب المندب في المياه الإقليمية لكل من اليمن واريتريا وذلك كون مضيق باب المندب اصبح تحت السيادة اليمنية بعد الإنسحاب البريطاني من عدن عام 1967 فبإمكان اليمن رفض أي سفينة فيه من جهة اليمن.

قناة السويس

تعد قناة السويس بوابة رئيسية للتجارة العالمية من آسيا إلى اوروبا من خلال مرورها بالبحر الأحمر وتصل قناة السويس البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط حيث يمكن إيصال موارد الطاقة إلى اوروبا الواقعة على الشاطئ الشمالي للبحر الأبيض المتوسط، وتعتبر قناة السويس بمثابة ممر مائي صناعي تفصل قارة آسيا عن افريقيا، وتعتبر من اقصر طرق العبور من دول

أوروبا إلى البلدان الواقعة حول المحيط الهندي، ولقد دخلت مصر حروبا للحفاظ على هوية قناة السويس، فالعدوان الثلاثي عام 1956 كان يهدف لإبقاء السيطرة البريطانية الفرنسية على قناة السويس، كما شنت إسرائيل حربها في عام 1967 من أجل ذات الهدف ولقد تحقق لها ذلك فلقد سيطرت على كل شبه جزيرة سيناء المصرية ولقد قام الجيش المصري بتحرير شبه جزيرة سيناء وتطهير قناة السويس عام 1973. وإستمرت مصر في تطوير قناة السويس والتحكم بها كعنصر أساسي من عناصر أمنها القومي ومن أجل ذلك كانت فكرة حفر قناة جديدة مطروحة في عهد كل من أنور السادات وحسني مبارك ومحمد مرسي، وفي 5/أغسطس 2014 أعلن عبد الفتاح السيسي البدء في حفر القناة الجديدة⁽⁸⁾.

خليج العقبة

هو الفرع الشرقي للبحر الأحمر المحصور بين شرق شبه جزيرة سيناء وغرب شبه الجزيرة العربية وبالإضافة إلى سواحل مصر والسعودية على هذا الخليج فإنه المنفذ الوحيد لكل من إسرائيل والأردن على البحر الأحمر وتوجد به جزر تيران وصنافير وكما ذكرنا أنه المنفذ إلى كل من السعودية والأردن وإسرائيل ومصر وبإمكان الدولة المسيطرة على خليج العقبة التحكم بالعبور إلى خليج العقبة، وأكدت الحرب العربية الإسرائيلية على أهمية الجزر المتحكممة بخليج العقبة وتمثل جزيرتي تيران وصنافير أهمية كبرى لإسرائيل، ومن خلال العدوان الثلاثي على مصر (إسرائيل، فرنسا، بريطانيا) تمكنت إسرائيل من إحتلال جزيرتي تيران وصنافير وبالتالي التحكم في مدخل خليج العقبة وإستمر هذا الإحتلال إلى أن أجبرت الولايات المتحدة الأمريكية إسرائيل إخلاء الجزر بعد أشهر من العدوان الثلاثي لمنع وقوع حرب عالمية ثالثة. ولكنه تمكنت إسرائيل من إحتلال مضيق تيران مرة ثانية عام 1967 وإستمرت في الإحتلال إلى أن حررته مصر إثر إنتصارها في حرب أكتوبر 1973 وتمكنت إسرائيل من الحصول على ضمانات دولية بحرية بعد مرورها خلال مضيق تيران وفق المادة الخامسة من إتفاقية كامب ديفيد المبرمة بين مصر وإسرائيل عام 1979⁽⁹⁾.

خليج السويس

هو الفرع الغربي من شمال البحر الأحمر وتقع فيه جزر شدوان وابوطويلة وهو البوابة الواصلة من البحر الأحمر إلى قناة السويس ومنها للبحر الأبيض المتوسط وأوروبا وفي خليج السويس يكمن أغلب النفط والغاز المصري، ومن المضائق الأخرى الداخلية مضيق جوبال الذي يتحكم في مدخل خليج السويس.

ومن الجزر التي يمكن إلحاقها بجزر البحر الأحمر من الناحية الإستراتيجية جزيرة سوقطرة وهي جزيرة في غاية الأهمية تقع على بعد حوالي 400 كلم من سواحل عدن وتتوسط المحيط الهندي ومساحتها 3800 كم، تعد جزيرة سوقطرة مكانا إستراتيجيا بالغ الأهمية يحتوي على

مقدرات إقتصادية هائلة وكنوز سياحية وثروة سمكية، تسعى الإمارات لإستئجار جزيرة سوقطرة من اليمن لمدة 99 عاما بدعوى المحافظة على البيئة وفي حال إستأجرت الإمارات جزيرة سوقطرة تكون اليمن قد تخلت عن ما يمكن ان يعد عمقا إستراتيجيا وجغرافيا لليمن كان يجعلها في مصاف الدول الكبرى من حيث التحكم بجزر ذات اهمية امنية إقتصادية عظيمة⁽¹⁰⁾.

المحور الثاني

جزر إستراتيجية متنازع عليها

اولا: النزاع اليمني الإريتري على جزر حنيش:

لم تكن جزر البحر الأحمر ذات أهمية لدى اليمن وإريتريا لأسباب منها إنشغال كليهما بالحروب والصراعات الداخلية ومحاولتهما تثبيت النظم السياسية لكل منهما، كما ان إمكانيات اليمن وإريتريا الإقتصادية لم تكن لتمكنهما من إستثمار هذه الجزر لو ارادتا ذلك علاوة على ان إستئجار إسرائيل لجزر دهلك من إثيوبيا ومن إرتريا فيما بعد جعلت من قضية السيطرة على جزر البحر الأحمر امر سهل فلم يكن هناك دواعي لإسرائيل للتمدد جنوبا في البحر بشكل معلن وإنما بواسطة إريتريا، فالجزر كانت جرداء قاحلة لا تصلح في اغلبها للزراعة، ولقد كان لإكتشاف الغاز والنفط فيها تأثير على المطالبة بها وجاء عام 1995 والذي شنت فيه إريتريا هجوما بحريا وجويا مباغتاً على الجزر محل النزاع فحدث صدام مسلح في ديسمبر 1995 بين اليمن وإريتريا على مجموعة جزر حنيش وتعلق الصدام المسلح بالسيادة الإقليمية على مجموعة الجزر الغير مأهولة بالسكان وتحديد السيادة عليها لأريتريا او اليمن وحدثت وساطة اثيوبية مصرية فرنسية.

تعود جزور النزاع اليمني الإريتري على جزر حنيش إلى العام 1962 وإستمرت الأمور على ذلك إلى فترة السبعينات وذلك عندما دعم اليمن الثوار الإرتريين في وجه اثيوبيا، وفي ذات الوقت كانت اثيوبيا منشغلة في حربها مع الصومال حول إقليم اوغادين المتنازع عليه وقد إستمرت حرب اوغادين من 1975 إلى العام 1978⁽¹¹⁾. ارسلت اليمن بعضا من غواصي البحرية العسكرية اليمنية للعمل في الإرشاد السياحي، وإستمر الأمر إلى ان قام احد افراد قادة الزوارق العسكرية الإريترية بتسليم إنزار خطي إلى التواجد اليمني في الأرخبيل وكان ذلك في 11/ نوفمبر/ 1995، وفي اليوم التالي إحتجت صنعاء لدى السفير الإريتري في اليمن وفي 15/ نوفمبر/ 1995 جرى إتصال هاتفي بين الرئيس اليمني علي عبد الله صالح وقتها والرئيس الإريتري اسيااس افورقي، إقتراح خلاله الرئيس اليمني علي عبد الله صالح عقد إجتماع لوزراء خارجية اليمن وإريتريا لتسوية الخلاف وذلك بعد محاولات إريترية للسيطرة على الأرخبيل وقيام القوات اليمنية بعملية تمشيط الأرخبيل، رفضت اليمن الوساطة الاثيوبية لإعتقادها بإنحياز اثيوبيا إلى جانب إريتريا.

الوساطة المصرية

تدخلت مصر متوسطة بين الطرفين حيث نتج عن الوساطة المصرية الإفراج عن الجنود اليمنيين المعتقلين خلال الصدام المسلح، ولقد قام عمر سليمان مدير المخابرات المصرية السابق بزيارة الأطراف المتنازعة اليمن واريتريا من اجل التوسط لإنهاء النزاع⁽¹²⁾.

الوساطة الأثيوبية

طرح ااثيوبيا في 1995/12/24 ثلاثة نقاط للتفاوض حولها وهي كالآتي:

اولا: الموافقة الإريترية على إعتبار ان الأزمة جزء من المسألة الحدودية بين الطرفين.

ثانيا: موافقة اريتريا على عرض النزاع للتحكيم الدولي بدلا من عرضه امام محكمة العدل الدولية.

ثالثا: إخلاء اريتريا للجزر كافة وإفراجها عن الأسرى، شريطة إلتزام صنعاء عدم إستخدام القوة العسكرية ضد الإريترين.

وقاد الرئيس الأثيوبي ميليس زناوي جهود الوساطة الأثيوبية وتحرك في ذات الإتجاه وزير خارجية اثيوبيا ولم تنجح الوساطة الأثيوبية.

الوساطة الفرنسية

اخيرا تمكنت فرنسا من التوصل لإتفاق بين الطرفين اليمن واريتريا وتوصلت الوساطة الفرنسية ألى توقيع إتفاق مبدئي في تاريخ 1996/5/21 بين اليمن واريتريا، وافقت بموجبه الدولتان على التخلي عن إستخدام القوة الحربية والتوجه إلى اللجوء للحلول السلمية خاصة وسيلة التحكيم لحل ما يدور بينهما من نزاع، ويبدو ان فرنسا إستشعرت الصراع اليمني الإريترى قبل وقوعه ولقد نشرت مجلة وزارة الدفاع الفرنسية في ابريل 1995 أي قبل الهجوم الإريترى على جزيرة حنيش بسبعة اسابيع مقال بعنوان ارخبيل الزبير وحنيش بؤرة توتر في البحر الأحمر وكان كاتب المقال هو الأدميرال هنري لابروس قائد القوات الفرنسية السابق في جيبوتي⁽¹³⁾.

قرار هيئة التحكيم بخصوص جزر حنيش

بتاريخ 19/ اكتوبر/ 1998 اصدرت محكمة التحكيم الدائمة في قصر العدل بلاهاي في هولندا قرارها بخصوص النزاع المعروف عليها بين اليمن واريتريا ولقد منحت المحكمة اليمن حق السيادة على ارخبيل حنيش وزقر ومجموعة جزر الزباير، ومنحت اريتريا حق السيادة على مجموعات من الجزر الصغيرة تقع في الجنوب الغربي.

ثانيا: جزيرتي تيران وصنافير

الخلاف في هاتين الجزيرتين الإستراتيجيتين كان دائر بين المملكة العربية السعودية ومصر، اصدرت مصر قرار جمهوري رقم 27 لعام 1990 لتحديد نقاط الأساس المصرية لقياس البحر

الأحمر الإقليمي المصري والمنطقة الاقتصادية الخالصة لجمهورية مصر العربية، ولقد نشر هذا في الجريدة الرسمية العدد 3 في 18/ يناير سنة 1990. وايضا اصدرت السعودية قرارا ملكيا رقم 42 بتاريخ 1431/1/26 هجري (2010) ميلادي شمل تحديد خطوط الأساس للسواحل السعودية على البحر الأحمر وخليج العقبة والخليج العربي، وايضا صدر قرارا جمهوريا مصريا رقم 422 بإنشاء نقطة شرطة مستديمة بجزيرة تيران تتبع قسم سانت كاترين محافظة جنوب سيناء وتم نشر القرار في مجلة الوقائع المصرية في عددها 67 في 31/ مارس 1982، كما كانت هناك مخاطبات ولقاءات بين السعودية ومصر بخصوص الجزيرتين، وخلال زيارة الملك سلمان تم التوقيع على عدة إتفاقيات ومذكرات تعاون منها توقيع إتفاقية ترسيم الحدود البحرية بين مصر والسعودية، كما تم الإتفاق على إنشاء صندوق إستثماري سعودي مصري بقدرة مالية تعادل 16 مليون دولار أمريكي، كما تم توقيع إتفاقيات تتعلق بمشروعات إسكان في سيناء عدد تسعة تجمعات سكنية، وإنشاء جامعة باسم جامعة الملك سلمان، كما تم الإتفاق على بناء جسر فوق تيران وصنافير يربط السعودية بمصر، وفي 9/4/2016 اصدرت مصر بيانا يحدد جزيرتي تيران وصنافير في المياه الإقليمية السعودية⁽¹⁴⁾.

تنوعت مواقف السلطات المصرية الرسمية الثلاث فيما يتعلق بأمر الجزيرتين، فبينما أيدت السلطة التنفيذية منح الجزيرتين للسعودية عارضت السلطة القضائية المصرية وفي المنتصف وقفت السلطة التشريعية ما بين مؤيد لإجراءات السلطة التنفيذية ومعارض لها. قضت محكمة القاهرة للأمور المستعجلة يوم الأحد 2/4/2017 بتبعية جزيرتي تيران وصنافير للسعودية ليسقط كما تقول المحكمة قرارا سابقا صادر عن المحكمة الإدارية العليا بترسيم الحدود مع السعودية والإبقاء على الجزيرتين تحت السيادة المصرية واعتبرت محكمة الأمور المستعجلة حكم المحكمة الإدارية العليا منعدا⁽¹⁵⁾.

أثر الصراع حول الجزر الثلاثة (حنيش الكبرى وتوابعها، تيران، صنافير)

لقد تأثرت المنطقة سلبا بالصراعات حول الجزر المذكورة أعلاه من حيث المجهود الحربي المبذول من اجل الدخول في مواجهة للإستحواذ على الجزر أدى إلى إنهاك الإقتصاد للدول اطراف النزاع كمصر واليمن وكان من الممكن التركيز بتلك الجهود على التنمية عوضا عن شراء السلاح وإستنزاف الطاقات، كما أن الصراع حول الجزر الثلاث ادى إلى ظهور تحالفات عربية مع دول غير عربية نتج عنه تفكك للنسيج العربي. كما أن التواجد الإسرائيلي على جزر تيران وصنافير منذ 1956 إلى العام 1979 ادى إلى مساواة إسرائيل بالدول العربية في حقها في المرور في خليج تيران وفقا للمادة الخامسة من إتفاقية كامب ديفيد فأصبحت حرة في المرور من خلال هذا المضيق، اما جنوبا صوب باب المندب او شمالا باتجاه قناة السويس، وفي الحاليتين فأن إمتلاك إسرائيل للتقنية وعلى كافة المستويات كفيل بإضعاف التواجد العربي على

سواحل البحر الأحمر الغربية خاصة وان دول الساحل الغربي في امس الحاجة إلى التقنيات الحديثة من أجل النهوض.

ومن البديهي القول ان الصراع الذي دار حول جزيرتي تيران وصنافير تحديدا ومنذ العام 1956 كان نتيجته كما ذكر سابقا حرية مرور إسرائيل من خلاله للوصول إلى السواحل الغربية من البحر الأحمر، وبخصوص الصراع الذي دار حول جزيرة حنيش الكبرى وتوابعها فإن نتيجته كانت ومازالت تدخل الدول الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا في شؤون دول البحر الأحمر مما يؤدي إلى زعزعة الإستقرار في المنطقة، وما دام البحر الأحمر يزخر بالثروات ومادامت المنطقة العربية غنية بالموارد الأولية ولوجود اهم الممرات المائية العالمية فيها فأن الصراع على الجزر ذات الموقع الإستراتيجي سيبقى دائرا علنا وسرا، ولن تتخلى الدول العظمى والقوى الصاعدة من محاولاتها في الوجود في المنطقة بشتى الطرق مالم تكون دول البحر الأحمر واعية لما يحدث وتتصرف وفق ما تطلبه المصلحة العامة لدول المنطقة.

المحور الثالث

الأهمية الإستراتيجية لجزيرة سواكن السودانية وتنافس القوى الصاعدة عليها (دراسة حالة)

تعود الأهمية الإستراتيجية لجزيرة سواكن الملقبة بجزيرة الأساطير إلى القرن الخامس عشر تحديدا عام 1571 وذلك أبان غزو السلطان العثماني سليم الأول لمصر إذ اصبحت الجزيرة حينها جزءا من الأراضي العثمانية وذلك حتى القرن التاسع عشر حين تم تأجيرها إلى محمد علي باشا قبل ان تتنازل له الدولة العثمانية عنها مقابل جزية سنوية عام 1865، والآن تحولت إلى جزيرة مدمرة، ومنذ عام 1429 وصولا لإنشاء السودان مينائه الجديد بورتسودان كانت الجزيرة هي الميناء الأكثر اهمية وامانا في افريقيا والبحر الأحمر.

كشفت المديرية العامة للإرشيف العثماني عن وثائق تتضمن ابرز أنشطة البعثات العثمانيين في جزيرة سواكن السودانية في الفترة ما بين 1527/1882 واهمية موقع الجزيرة الإستراتيجي على الطريق الواصل بين الدولة العثمانية واثيوبيا، وتقع جزيرة سواكن على الساحل الغربي للبحر الأحمر شرقي السودان عند خطي عرض 19,5 درجة شمالا وطول 37,5 درجة شرق وترتفع عن البحر 66 متر وتبعد عن الخرطوم بحوالي 560 كلم وتبعد عن مدينة بورتسودان الميناء الحالي الرئيسي 70 كلم، وتظهر الوثيقة العثمانية المقدمة إلى الصدر الأعظم رئيس الوزراء العثماني صوقل محمد علي باشا والمضمونة باحكام بكرلك الحبشة والعائدة للقرن السادس عشر. ان القبائل المحلية هاجمت عام 1571 جزيرة سواكن، إلا ان قوات الأمن إتخذت الإجراءات الكفيلة بضبط الأمن، فيما اظهرت الوثائق اللاحقة اهم الإجراءات التي إتخذتها قوات الأمن لضمان أمن وسلامة المنطقة طوال فترة الحكم العثماني، من ناحية اخرى تعرض بعض الوثائق

المحررة عام 1854 معلومات عن اعمال الترميم التي أجريت على منطقة سواكن حول ضرورة تعزيز التحصينات العسكرية لصد أي هجمات خارجية محتملة في المستقبل وضرورة إرسال كميات من الزخيرة، فيما تشير الوثائق إلى ان ضعف الإمكانيات الاقتصادية منعت السلطات المحلية في سواكن من القيام ببعض تلك الإنشاءات والتحصينات اللازمة، ويتضح من خلال الوثيقة المشار إليها ان الدولة العثمانية لم تهمل جزيرة سواكن رغم الأزمات الاقتصادية التي كانت تعاني منها بسبب حرب القرم التي كانت تخوضها ضد روسيا، وفي حديث مع الأناضول قال المؤرخ التركي البروفيسور الدكتور عثمان كوسة ان جزيرة سواكن دخلت الحكم العثماني بعد فترة وجيزة من فتح السلطان ياوز سليم (سليم الأول) مصر 1517، إضافة إلى ان السيطرة على سواكن وبناء قلعة هناك كانت تهدف الى منع تنامي النفوذ البرتغالي في المنطقة، حيث كانت البرتغال وقتها واحدة من القوى الإستعمارية الكبرى التي تهدف للتوسع في المنطقة، وإشارة إلى ان السيطرة على سواكن اتاحت للإدارة العثمانية ضمان سلامة التجارة ووقف التقدم البرتغالي في المنطقة، ولقد نجح العثمانيون في تحويل جزيرة سواكن إلى ميناء يستقبل التجار القادمين من الهند والداخل الأفريقي والباشوات المسافرين إلى اليمن والحبشة لتأدية مهامهم والحجاج الذاهبين لتأدية فريضة الحج في الأراضي المقدسة، اضاف المؤرخ التركي البروفيسور عثمان كوسة ان اوليا جيل اشهر الرحالة والمؤرخين في القرن السابع عشر زار جزيرة سواكن و اشار في المعلومات التي قدمها عن الجزيرة في ذلك العصر ان معظم منازلها كانت مبنية من الحجر مع وجود نحو 26 منزلا مبنيا من القش، وان في الجزيرة مسجدا بني من الحجر من قبل الوالي اوزمير اوغلو عثمان باشا، و اشار ايضا إلى أن الجزيرة تحتوي على عشرين محلا تجاريا وعدة مساجد ومخازن كبيرة، كما ان وجود الميناء وفر لسواكن مختلف انواع البضائع وباسعار رخيصة وكميات وفيرة. و اشار كوسة إلى ان الأنشطة البريطانية في السودان ومصر آثارت مخاوف وغضب الإدارة العثمانية إلا انها لم تكن تستطيع فعل الكثير بسبب الهزيمة الكبيرة التي لحقت بها اثناء الحرب مع روسيا 1877-1878. وختم قائلاً لطالما شكلت جزيرة سواكن في البحر الأحمر بوابة لأفريقيا ما اكسبها اهمية كبيرة بالنسبة للدولة العثمانية في جميع الفترات التاريخية فضلا عن الأهمية التي شغلتها المنطقة ضمن إستراتيجية العثمانيين المتعلقة بالدفاع عن الحجاز ومنطقة البحر الأحمر⁽¹⁶⁾.

ورغم صغر سواكن 20 كلم ووصفها التاريخي بانها ارض الأساطير والقصص الخيالية إلا ان السعي التركي للتواجد فيها لم يتوقف، حيث ان هناك اهمية إستراتيجية اخرى لجزيرة سواكن تكمن في كونها اقرب الموانئ السودانية إلى ميناء جدة الإستراتيجي السعودي على البحر الأحمر، فالموقع الإستراتيجي لمدينة سواكن وما تضمنه من ميناء وساحل يمثل قيمة ملاحية قادرة على منافسة العديد من الموانئ الإقليمية الموجودة هذا في حال إعادة تشغيله وفق

التصور المطروح لأحياء تاريخ هذا الميناء الأقدم في تاريخ السودان الذي كان معبرا للرحلات المتوجهة إلى أو القادمة من موانئ مصر والسعودية، الكثير من الخبراء اشارو إلى ان هذا الميناء حال تطويره سوف يسحب البساط من تحت اقدام ميناء جبل علي ودبي الإماراتيين التي حاولت الإمارات طيلة السنوات الماضية الزود عنها بشتى السبل وصلت في بعض الأحيان الإطاحة ببعض الموانئ الأخيرة لضمان عدم تفوقها، كما انه سيربط بشكل كبير بين حركة التجارة والملاحة بين افريقيا وآسيا خاصة في حال توظيف السودان وحلفائه على رأسهم اثيوبيا وجنوب افريقيا علاقاتهم القارية لدعمه وتحويله في اقصر وقت إلى اكبر ميناء على البحر الأحمر، ويضاعف من تأثير وقوة هذا الميناء الإتفاق الذي ابرمته الخرطوم مع قطر لإنشاء ميناء بمدينة بورتسودان ليكون اكبر ميناء للحاويات على ساحل البحر الأحمر الذي يسيطر على معظم صادرات السودان ودول العمق الإفريقي، وفي حالة تعاون قطر وتركيا من اجل تطوير مينائي بورتسودان وسواكن فأنه بذلك سيتم السيطرة على الممر الأكثر محورية في منطقة البحر الأحمر من الحدود المصرية إلى باب المندب، اثار هذا التقارب التركي مع السودان حفيظة مسؤوليين إماراتيين وانهم إنتقدوا تقارب الخرطوم مع انقرة حيث توالت عدة تصريحات تحذر من هذه الخطوة. فكان تصريح لوزير الشؤون الخارجية انور قرقاش حزر فيها ما وصفه بالأطماع التركية الإيرانية في المنطقة. فرط السودان في الجزيرة الإستراتيجية التي تكتسب اهمية تاريخية ورمزية للأتراك كونها كانت تدار مباشرة من السلطان العثماني في الوقت الذي يمثل فيه التمدد التركي في المنطقة خطرا على الأمن القومي العربي حيث يشكل البحر الأحمر مجالا حيويا لأمن كل من مصر والسعودية، وإتفاقية جزيرة سواكن تدخل ضمن شبكة معقدة تتداخل فيها المصالح الإقتصادية مع الأجندة الجيوسياسية لتركيا الطامعة في فتح المزيد من المنافذ في المناطق التي تعتبر مجالا حيويا لأمن عدد من الدول العربية. وكان السودان قد قلص إلى حد كبير من تغلغل إيران في مفاصله فيما عزز علاقاته مع دول الخليج العربي لكنه سرعان ما إرتدى في احضان تركيا وهو امر من شأنه ان يؤثر على مستوى العلاقات السياسية والتجارية مع دول المنطقة التي تنظر لأي تحرك قطري وتركي بعين الريبة على خلفية سجلهما في دعم جماعات الإسلام السياسي والفكر المتطرف، وعلى هامش زيارة الرئيس اردوغان إلى السودان في ديسمبر 2017 تعهد الرئيس التركي رجب طيب اردوغان بإعادة بناء سواكن واربك سقوط البشير الرئيس السوداني سابقا الحسابات التركية وخطط اردوغان للتمدد في افريقيا من بوابة السودان وتمير اجندة جماعات الإسلام السياسي في المنطقة.

بعد قيام الثورة السودانية في ديسمبر 2018 دخلت العلاقات بين السودان وتركيا منعطفًا إرتفعت فيه الأصوات مطالبة بإعادة النظر في إتفاقية ميناء وجزيرة سواكن على البحر الأحمر وقد ظلت محل إعتراض واسع ابان توقيعها بالأحرف الأولى في عهد الرئيس السوداني السابق

عمر البشير، إذ ترى الحكومة الإنتقالية ان الوجود التركي هو تمثيل لجناح الأخوان المسلمين ودعم الحكومة السابقة السودانية⁽¹⁷⁾.

يبقى التأكيد على ان السودان بقياداته وتوجهاته الجديدة يواجه تحديات كبيرة وخطيرة من بقايا تنظيم الأخوان المسلمين المدعوم من تركيا وقطر هذا من ناحية، على الجانب الإيراني ستستمر المساعي التخريبية الإيرانية للالتفات على الثورة المدنية السودانية، وان الإعلان الذي تم في مطلع 2020 عن إنشاء مجلس للدول العربية والإفريقية المطلة على البحر الأحمر وخليج عدن تصب في حفظ هذه المنطقة الإستراتيجية من الأطماع والتدخلات التركية والإيرانية.

المحور الرابع

رؤية مستقبلية لما تسهم به الجزر بالبحر الأحمر في إستقرار المنطقة

خير مثال ما قامت به المملكة العربية السعودية في الإستفادة من الجزر من كل النواحي وبالذات من الناحية السياحية من خلال إطلاق مشروع سياحي عالمي في المملكة العربية السعودية تحت مسمى مشروع البحر الأحمر يقام على إحدى أكثر المواقع الطبيعية جمالا وتنوعا بالتعاون مع أكبر وأهم الشركات العالمية في إطار الفندقة والسياحة لتطوير منتجات سياحية إستثنائية على أكثر من 50 جزيرة طبيعية بين مدينتي املج والوجه، وذلك على بعد مسافات قليلة من إحدى المحميات الطبيعية في المملكة والبراكين الخاملة في منطقة حرة الرهاة وسيشكل المشروع وجهة ساحلية دائرية تتربع على عدد من الجزر البكر في البحر الأحمر وعلى جانب المشروع تقع آثار مدائن صالح التي تمتاز بجمالها العمراني وأهميتها التاريخية الكبيرة وسيتم تطوير مشروع البحر الأحمر كمنطقة خاصة تطبق فيها الأنظمة وفقا لأفضل الممارسات والخبرات العالمية لتمكين تحقيق اهداف المشروع حيث يتم الإنتهاء من المرحلة الأولى في الربع الأخير من عام 2022 وهي مرحلة ستشهد تطوير المطار والميناء وغيره من البنى التحتية. وعليه إذا فكرت معظم دول حوض البحر الأحمر في الإستفادة من ما تمتلكه من جزر إستراتيجية على طريقة المملكة العربية السعودية تكون قد أسهمت في دفع عجلة الإقتصاد والإنتاج وذاادت من قوتها وابتعدت عنها الطامعين كما انه لو تكاثفت هذه الدول في عمل مشروع مشترك أكبر سوف تكون ذاادت من قوتها وتمكينها واذهبت عيون الطامعين. لأنه بما تحمله هذه الجزر من اهمية إستراتيجية دون العمل على الإستفادة منها بشكل منفرد او تحالف دول متجاورة ستكون المنطقة منطقة صراع بين الدول الطامعة والقوى الصاعدة سرا وعلنا.

الخاتمة

تناولت الدراسة الأهمية الإستراتيجية لجزر البحر الأحمر، حيث يتمتع البحر الأحمر بعدد زاهر من الجزر ذات الموقع الإستراتيجي والجغرافي المؤثر في السياسات العالمية لكون البحر الأحمر ممر مائي هام يربط بين ثلاث قارات، عليه ظل التنافس والصراع على التواجد في هذه الجزر من اساسيات القوى العظمى بشتى الطرق، او التنازع بين دول مجاورة للإستحواذ على الجزر ذات المواقع القريبة وهذا يكون بمساعدة دولة عظمى تعمل جاهدة لتكريس وجودها في المنطقة، ومن الملاحظ ان بعض الدول إستأجرت موانئها وجزرها لدول عظمى ذات مصالح في المنطقة وذلك لعدم او ضعف إمكانيات الدولة المؤجرة.

النتائج

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. وجود حالة من الأطماع العربية تجاه اقاليم بعضها البعض تحديدا الجزر.
2. وهن الوحدة العربية الناجمة عن ضعف مستوى العمل العربي المشترك مما اضعف حمايتها للجزر.
3. يشكل التغلغل الإسرائيلي في البحر الأحمر وجزره إختراقا كبيرا لسيادة دوله.
4. تركيز الدول العربية على الطابع العسكري الذي يستنفذ الإقتصاد دون تطوير الجوانب السياحية بخلاف تجربة السعودية الأخيرة.
5. ستظل القوى العظمى تجتهد لتعمق وجودها وتكرث منه مالم تفعل دول البحر الأحمر شيئا.

التوصيات

توصي الدراسة بالآتي:

1. العمل على شراكة تجمع دول حوض البحر الأحمر في كيان واحد قوي من خلال آليات مدركة تماما لأهمية المنطقة إستراتيجيا ولإستثمار الجزر إقتصاديا.
2. إيجاد آلية لحفظ الأمن في جزر البحر الأحمر ومضائقه تضمن قوات الدول العربية البرية والبحرية عمل مشترك.
3. العمل على إنشاء منظومة عسكرية عربية موحدة لحفظ امن جزر البحر الأحمر ومضائقه.
4. تشجيع دول حوض البحر الأحمر على توقيع الإتفاقيات والقوانين والمعاهدات الإقليمية والدولية الخاصة بالبحار.

الإحالات المرجعية

1. عمر خليل علي موسى، الجزر والمراسي البحرية السودانية، سودانيال، صحيفة إلكترونية، رئيس التحرير طارق الجزولي، تاريخ النشر 15/سبتمبر 2010 م.
2. تقرير خاص بفريق التحرير، اليمن 184 جزيرة (ثروات هائلة)، حلم اخضر، صنعاء اليمن، تاريخ النشر 2/نوفمبر/ 2019.
3. د/ شهاب محسن عباس، الجزر اليمنية، مركز العبادي للدراسات والنشر، صنعاء اليمن، 1996 ط1، ص15.
4. كفاية العبادي، جزر سعودية في البحر الأحمر، موضوع، صحيفة، تاريخ النشر 2018/9/20 م.
5. محسن الحديدي، جزيرة الأخوين هي إحدى جزر البحر الأحمر، صحيفة بلدي السويس، القاهرة، تاريخ الإصدار 21/نوفمبر/2019.
6. جريدة الخليج، دهلك جزيرة اريتريه تحمي إسرائيل وتهلك السودان، تاريخ النشر 2012/11/19.
7. سهيل حسين الفتلاوي، القانون الدولي للبحار، دار الثقافة للنشر، عمان، 2008، ط1، ص162.
8. خالد حماد احمد عياد، اهمية جزر البحر الأحمر في الأمن القومي العربي، اطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة مؤتة العراق، 2017، ص 73-74.
9. المرجع السابق، ص74-75.
10. ذات المصدر ص76.
11. جلال الدين محمد صالح، القرن الأفريقي اهميته الإستراتيجية وصراعاته الداخلية، 2016.
12. خالد حماد احمد عياد، مصدر سبق ذكره، ص 151.
13. برجا وآخرون، اليمن والعالم: تفاعل اليمن والعالم في العقد الأخير من القرن العشرين، مكتبة المدبولي للنشر، 2002، ص313-314.
14. اشرف عبد الحميد، جزيرتا تيران وصنافير تابعتان للسعودية، العربية، مصر، 2016.
15. محمود خليل، حكم تيران وصنافير عنوان الحقيقة، العربية نيوز، 2017.
16. بلديز كوندغمش، وثائق الأرشيف التركي تؤكد الأهمية الإستراتيجية لجزيرة سواكن السودانية، الأناضول، انقره، 2018/11/15.
17. منى عبد الفتاح، الحكومة الإنتقالية في السودان تبدد أحلام العثمانية، اندبيندنت، صحيفة عربية، تاريخ النشر 24/مارس/ 2020 م.

إدارة سواكن في العهد العثماني (1866-1520)

د. حاتم الصديق محمد حمد

استاذ مشارك - قسم التاريخ - جامعة الزعيم الأزهرى

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى تتبع تاريخ مدينة سواكن في العهد العثماني، وكيفية نجاح العثمانيين في السيطرة على هذه المدينة الاستراتيجية التاريخية المهمة، وما تم إنجازه من قبل العثمانيين في مدينة سواكن خلال فترة حكمهم وإدارتهم، وشرح العلاقة التي ربطتها بمحيطها المحلي والإقليمي والدولي، كما عمدت الدراسة إلى شرح علاقة العثمانيين في سواكن بالفونج أولاً، ثم بمحمد على باشا ثانياً ثم بعد ذلك إبراز مشاهدات وانطباعات بعض الرحالة الذين زاروا المدينة في فترات مختلفة؛ الأمر الذي ساعد في تتبع مراحل تطور مدينة سواكن، كما تنبع أهمية الدراسة من كونها تسعى بصورة كبيرة لمعرفة الوجود العثماني في سواكن، وشرح طبيعة هذا الوجود وأثره على المدينة ومنطقة البحر الأحمر بصورة عامة في ظل صراع محموم للسيطرة على موانئ البحر الأحمر. اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي للوصول إلى عدد من النتائج والتي منها أن مدينة سواكن كانت ومازالت قبله أنظار جميع القوي العالمية للسيطرة عليها وذلك لأهميتها التاريخية والجغرافية والاستراتيجية، كما أن مدينة سواكن مرت بفترات من التطور والازدهار وأخرى من الضعف والإهمال، ولكن رغم كل ذلك حافظت المدينة على بريقها وجاذبيتها على مر العصور؛ لأنها تمثل حلقة الوصل بين الشرق والغرب وميناء لا غنى عنه في حركة الملاحة الإقليمية والدولية؛ كما تمثل محوراً مهماً و استراتيجياً في المحافظة على أمن البحر الأحمر واستقراره في عالم يشهد بقوة صراع الموانئ والمدن الساحلية

Abstract

This study aims at tracing the history of Suakin at the Ottoman era. Second, it aims at understanding the success of the Ottomans in controlling this important strategic historical city. Third, it tries to explore their achievements during their administration as well as the relation that relates with its local, regional and international levels. This study also scrutinizes the relations of the ottomans with the Funj in Suakin, Mohammad Ali Pasha as well as exploring the witnesses of explorers visited Suakin. The significance of this study emerges from the its endeavor to understanding the Ottoman existence in Suakin, its nature and its impact on the city on the one hand and the Red sea on the other amidst hot conflicts to control the city. This study followed the descriptive –analytic approach. The study achieved several findings the most important of these were; Suakin was and still attracting the attention of

international powers due to its historical, strategic and geographical importance. Suakin also undergoes different periods of prosperity and weakness respectively. However, this historical city has preserved its glamour through ages. The city represent a bridge of communication between the east and the west as well as being an indispensable port in the regional and the international navy. Last but not least, Suakin an important and strategic part in the security of the Red Sea and the state of order in a world severely conflict over controlof ports and coastal cities.

المقدمة:

تعد مدينة سواكن من المدن السودانية المهمة، وهي صاحبة ماضٍ تليد وتاريخ عريق على مر العصور في البحر الأحمر، ولموقعها الجغرافي المميز كان لها دورٌ كبير في خدمة الملاحة البحرية وحركة التجارة بين جانبي ساحل البحر الأحمر مثل الصين والهند والملايو شرقاً وإيطاليا والبرتغال وإسبانيا غرباً، وقد ساعد موقع المدينة الجغرافي في أن تلعب دور الوسيط الناجح في تطوير حركة التجارة البحرية بين مناطق الشرق والغرب. كما أنها شكلت الرابط الحقيقي للعمق السوداني نحو الساحل وذلك عبر السلع والبضائع التي كانت تأتي من داخل العمق السوداني مثل مناطق دارفور وكردفان والشمالية وسنار إلى سواكن ليتم شحنها إلى الأسواق التجارية العالمية، كما أسهمت سواكن في تنشيط حركة التجارة الداخلية وذلك من خلال تسهيل دخول السلع الخارجية عبر الميناء، لذلك وفد التجار من مختلف بقاع العالم القديم لسواكن بغرض التجارة. كما وفدت مجموعات من الرحالة والمغامرين الذين كتبوا مشاهداتهم عن المدينة.

سواكن الموقع:

تقع سواكن في شرق السودان على ساحل البحر الأحمر، بين مينائي باضع وعيذاب، وعلى مسافة 40 ميلاً جنوب ميناء بورتسودان، وهي عبارة عن جزيرة صغيرة دائرية الشكل يربطها بالساحل ممر ضيق في شكل زراع يسمح بمرور السفن إليه من البحر وبنى عليه جسر في عهد ممتاز باشا. ويسكن في منطقة الساحل قبائل البجا التي تعد من أقدم العناصر السكانية في السودان.

تعد سواكن من أقدم المدن والموانئ السودانية، ويرجع تاريخها حسب بعض الروايات إلى عهد سيدنا سليمان بن داود (عليهما السلام)، أي القرن العاشر ق.م، وذكر أن اسم سواكن تحريف للفظ (سواجن) نسبة إلى السجن قيل أن سيدنا سليمان عليه السلام أخذها سجنًا للجن، ويقال إن ملك الفرس (خسرو) أرسل في طلب جوار من الحبشة، ومرت سفن الجوارى بسواكن، ولما وصلت الجوارى إلى فارس تبين أنهن حوامل، وعند السؤال عن الفاعل قيل له: - (سواهن جن)، (أي فعل ذلك بهن الجن) وقيل إن لفظ سواكن في اللغة الهندية تعني المدينة البيضاء.⁽²⁾

كانت سواكن منذ القدم محطة لخدمة السفن التجارية العابرة للبحر الأحمر، حيث يتم تزويد هذه السفن بالمياه وبعض المواد الغذائية، كما أنها كانت تعد من أفضل المراسي في البحر الأحمر للحماية من العواصف البحرية، ورد ذكر سواكن في العديد من المصادر والحقب التاريخية، فقد ورد ذكرها عند قدماء المصريين، والاعريق، والرومان، والعرب، والأتراك العثمانيين⁽¹⁾. وصف المسعودي سواكن بأنها جزيرة صغيرة، من أهم الموانئ والمراكز التجارية العالمية، إذ تعتبر البوابة الأولى لعبور البضائع القادمة من الشرق نحو مصر وحوض البحر المتوسط والمدن الأوروبية⁽²⁾.

سواكن تشبه عيذاب في نشأتها وطبيعتها، والمكانة التي وصلت إليها، ثم خرابها بعد ذلك، ثم ظهرت بورتسودان وتطورت على حساب سواكن⁽³⁾.

استفادت سواكن من الخراب الذي لحق بميناء عيذاب، على يد المماليك في حوالي عام (1426م)، كما أن سكان عيذاب هجروا إلى سواكن واستقروا فيها وعملوا بالتجارة والملاحة، كما أن خراب عيذاب أدى إلى ازدياد نشاط حركة السفن نحو سواكن من الهند والصين وغيرها من مناطق التجارة في ذلك الوقت، وقد كُتب تاريخ جديد لسواكن في مجال التجارة والملاحة في البحر الأحمر⁽⁴⁾.

وبعد تطور سواكن وزيادة مكانتها داخليا وخارجيا انتكست وأصبحت المدينة مجموعة من الخرائب، وذلك يرجع لنشأة وتطور مدينة بورتسودان، ومحاولة الحكم الانجليزي-المصري من جعل بورتسودان ميناءً بديلاً لسواكن، وذلك من خلال تضئق الخناق على المدينة وتحويل حركة التجارة الخارجية إلى بورتسودان.

تميزت مدينة سواكن بعدد من المميزات منها:

1. ميناء سواكن من أقدم الموانئ التي عرفت في ساحل البحر الأحمر.
 2. تربط سواكن بعدد من الطرق الداخلية بين الساحل والعمق السوداني والتي منها:
- طريق سواكن سنار وهو من الطرق المفضلة للحجاج القادمين من كردفان.
 - طريق يربط سواكن بمروي.
 - طريق يربط سواكن بأكسوم.
 - طريق سواكن -شندي والذي يمر عبر التاكا والفاش.
 - طريق يربط سواكن بمدينة كسلا.
 - طريق يربط سواكن بمدينة بربر.
 - طريق يربط سواكن بمصر وهو طريق بري يمر عبر مناطق قبيلة البشاريين.
 - طريق يربط سواكن بمدينة الدامر.
- طريق يربط سواكن بمدينة شندي يمر عبر مدينة عطبرة⁽⁵⁾.

التركيبة السكانية:

يسكن مدينة سواكن خليط من الناس، البجة الهدندوة والأمرار والبشاريين والحضارمة (أهل حزموت)، وخليط من المجموعات العربية والأترك الذين تناسلوا من الحامية التركية التي وفدت للمدينة في عهد السلطان سليم الأول⁽⁶⁾. يعتبر البجة السكان الأصليين في سواكن، وهم من أهم المجموعات السكانية في المدينة، وكانوا يقومون بفرض الضرائب على القادمين إلى المدينة⁽⁷⁾.

أهمية سواكن:

سواكن من المدن السودانية المهمة عبر العصور، والدليل على ذلك أن كل الحضارات التي قامت في السودان أو خارج محيطه سعت إلى السيطرة على هذه المدينة الاستراتيجية المهمة وقد نجحت مجموعات وفشلت أخرى، فقد حاول الفراعنة في مصر السيطرة على الميناء، وكذلك الحضارة المروية، والبطالمة، والفاطميون، والمماليك، والفونج، والعثمانيون، الأمر الذي يشير وبصورة واضحة إلى أهمية هذه المدينة في الماضي والحاضر.

الأهمية الأثرية لمدينة سواكن:

تعد سواكن أحد المعالم الأثرية في السودان عموماً وشرق السودان على وجه الخصوص، وقد أولت الحكومات المتعاقبة عناية كبيرة لهذه المدينة الاستراتيجية من خلال البعثات الأثرية وفرق ترميم المدينة، ولكن هناك بعض الصعوبات التي تواجه المدينة وتعيق عملية المحافظة عليها ففي العام (1988م) طالبت مصلحة الآثار من محافظ مديرية البحر الأحمر الاهتمام بالمدينة من خلال.

- منع دخول العربات للمدينة لأنها تؤدي إلى تصدع المباني، والدخان المتصاعد من هذه العربات يخلف ثاني أوكسيد الكربون على المباني البيضاء.
- ضيق شوارع المدينة لا يسمح بمرور العربات لذلك يجب منعها من الدخول⁽⁸⁾.

سواكن في العهد المملوكي:

تطلع أوسعي المماليك في مصر للسيطرة على ميناء سواكن، وذلك بعد استخدام ميناء سواكن من قبل الممالك النوبية المسيحية، ومساعدة ممالك النوبة المسيحية للصليبيين لشن هجوم كبير على ميناء عيذاب شمال سواكن، حيث تمكن الصليبيون من تدمير عدد من السفن التي كانت رأسية في الميناء، ولخوف المماليك من تكرار الهجوم، قام السلطان الظاهر بيبرس بإرسال حملة حربية في العام (664هـ / 1071م)، مما أدى إلى فرار حاكم المدينة وتمكنت القوات المملوكية من السيطرة عليها⁽⁹⁾.

رغم السيطرة المملوكية على سواكن إلا أن الميناء واصل دوره في خدمة التجارة الداخلية بين الممالك المسيحية والساحل السوداني، والتجارة الخارجية بين سواكن والموانئ الخارجية،

رأت الممالك المسيحية أن السيطرة المملوكية لها ولمصالحها الاقتصادية، وهذه السيطرة سوف تعمل على عزلهم من العالم الخارجي، ولذلك هاجم الملك داود ملك نوباتيا المسيحية مدينة عيذاب، وقام بتخريبها ونهبها وقتل عدداً كبيراً من أهلها⁽¹⁰⁾.

وَفَرَّ المماليك الأمن للساحل السوداني عموماً وسواكن على وجه الخصوص، الأمر الذي انعكس إيجاباً على حركة السفن التجارية وانسيابها بصورة جيدة إلى الميناء، وتواصلت الرحلات بين سواكن وجدة ومواني اليمن⁽¹¹⁾.

بعد عملية التخريب التي صاحبت ميناء عيذاب تحول النشاط التجاري وحركة السفن إلى ميناء سواكن، وازدهرت حركة السفن بصورة كبيرة، تحديداً تلك السفن القادمة من المحيط الهندي، كما وفد إليها التجار من الهند وحضرموت، وعدن، والصين، ومما ساعد على تطور ونمو مدينة سواكن، توفر الأمن في ساحل البحر الأحمر، وتدفق التجارة بصورة كبيرة بين سواكن والبلاد العربية، وكذلك ارتفاع قيمة الضرائب المفروضة على البضائع التي ترد إلى ميناء عدن، الأمر الذي دفع التجار إلى مواصلة المسير من باب المندب حتى سواكن تفادياً للرسو في ميناء عدن عالي الضرائب⁽¹²⁾.

توسعت سواكن وزادت أهميتها التجارية والاقتصادية والعسكرية بعد السيطرة المملوكية عليها، وتحسنت نظم الإدارة فيها وبلغت قمة مجدها وازدهارها الاقتصادي في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي⁽¹³⁾.

بعد انتعاش التجارة بين الدولة المملوكية في مصر، اهتم المماليك بميناء سواكن وعيذاب، كما عملوا على اخضاع قبائل البجة بغرض تأمين الطرق التجارية وهذه الموانئ⁽¹⁴⁾.

البرتغاليون في سواكن:

في العام (922هـ / 1516م) وصل الأسطول البرتغالي إلى ميناء سواكن وتمت محاصرتها من قبل الأميرال البرتغالي (ستيفانو دي جاما) أميرال الأسطول البرتغالي في البحر الأحمر، واستقر فيها عدداً من الأيام وقد كان الغرض من هذه الزيارة استطلاع الميناء، وهو يعد لمواجهة الأسطول المملوكي، وقد كانت القوات العثمانية في ذلك الوقت تتقدم ناحية الشام للسيطرة على القدس ومصر⁽¹⁵⁾.

كما أن البرتغاليين سعوا للسيطرة على سواكن لكي تصبح قاعدة انطلاق نحو مكة وأرض الحرمين من جانب، والأراضي المصرية من جانب آخر، ولتحقيق الغرض نفسه وشن حملة صليبية جديدة على الممتلكات الإسلامية لجأت البرتغال إلى عقد اتفاق مع كل من الحبشة التي كانت تطمح في التخلص من الدولة العثمانية في سواكن ومصوع. للقيام بالآتي:

- سيطرة القوات الفرنسية على ميناء سواكن
- احتلال إسبانيا لميناء زيلع الذي يقع في الصومال.

- تقوم البرتغال باحتلال ميناء مصوع الذي يقع حالياً في أريتريا وقديماً في أثيوبيا. لكن هذا الاتفاق قد مُني بالفشل أمام قوة الدولة العثمانية وتبددت الآمال الحبشية والأوربية، وكإجراء عقابي حرمت الدولة العثمانية على الدول الأوربية الملاحة شمال جدة؛ الأمر الذي انعكس إيجاباً على ميناء سواكن حيث تحولت معظم السفن للرسو فيه وتلقي الخدمات بكل سهولة ويسر⁽¹⁶⁾.

سواكن في عهد الفونج:

خضعت سواكن لسيطرة الفونج في عهد السلطان عمارة دنقس، بعدان اشتبكت قوات الفونج مع أمير سواكن من قبيلة (الحدراب)، وقد انضمت قبيلة (الارتيقة) لقوات الفونج، وقد استطاعت قوات الفونج هزيمة الحدراب الذين رحلوا عن سواكن، وقام قائد جيش الفونج من العبدلاب بتعيين الأمير عبدالله بوش الارتقي أميراً على سواكن، وتطورت سواكن في عهده بصورة كبيرة كما بدأ العمران والحياة الاقتصادية يعمان المدينة⁽¹⁷⁾.

كانت سواكن محل اهتمام الفونج الذين قاموا بحفر حفير لتجميع مياه الأمطار عرف باسم (حفير الفلاح) بالقرب من سواكن، بغرض تسهيل مهمة الحصول على المياه الصالحة للشرب، ويرجع اهتمام الفونج بسواكن إلى أهميتها التجارية والاستراتيجية والاقتصادية، إذ تمثل المنفذ المهم للسلطنة وافتتاحها على العالم الخارجي، ولأن سنار كانت ملتقى طرق للقوافل الوافدة من غرب السودان وبلاد المغرب، ومصر، والحبشة، لذلك وجدت هذه المدينة الاهتمام الواضح من قبل سلاطين الفونج، كما أن الفونج قد قاموا بتوقيع المعاهدات والاتفاقيات مع القبائل التي تمر عبر أراضيها القوافل التي تقصد سواكن⁽¹⁸⁾.

ومما يدل على مكانة المدينة عند ملوك الفونج والعبدلاب الزيارة التي قام بها الشيخ عجيب المانجلك بن الشيخ عبدالله جماع في حوالي (970هـ / 1560م) وهو في طريقه للحج، وتظاهر مع أبناء عمار بن محمد كاهل، وبعد ذلك تفقد المدينة وأمر بحفر بئر بسواكن جنوب المدينة للمساهمة في حل مشكلة المياه التي كانت تشكل هاجساً للسكان⁽¹⁹⁾.

على الرغم من سيطرة الفونج على سواكن إلا أن المدينة وقعت تحت سيطرة العثمانيين بعد وقت قليل من سيادة الفونج عليها، مما أوجد وضعاً جديداً في المدينة. وقد كانت لسلطنة الفونج علاقات جيدة مع نائب السلطان العثماني في سواكن، بعد السيطرة العثمانية على المدينة، وتحكم هذه العلاقات المصالح التجارية المشتركة حيث كانت سنار مركزاً تجارياً مهماً يتعامل مع البحر الأحمر، ومصر، والحجاز، وأثيوبيا⁽²⁰⁾.

بعد السيطرة العثمانية على سواكن في العام (910 هـ / 1504م) تخوف سلطان الفونج عمارة دنقس من غزو السلطان سليم للدولة السنارية، فقام بإرسال خطاب وكتاب للسلطان سليم تحصل محمد صالح ضرار على نسخة منه⁽²¹⁾.

تضمن قائمة بأنساب قبائل السودان وأنهم عرب ويدينون بالإسلام، ولا يوجد مبرر لغزوهم والسيطرة على بلادهم. ولذلك لم يفكر السلطان سليم في غزو سنار واكتفى بانسياب التجارة بين سواكن والمناطق الداخلية، كما ان إمكانيات الاقتصادية للدولة السنارية في ذلك الوقت لم تشجع السلطان على التدخل في مغامرة عالية التكاليف المادية⁽²²⁾.

سواكن في العهد العثماني:

بعد القضاء على الدولة المملوكية وهزيمتها في معركة مرج دابق قرب حلب في العام (1516/922م)، ثم معركة الريدانية في العام (1517/922هـ)م، و تحولت بعد ذلك السيادة في البحر الأحمر إلى العثمانيون، كما تحولت الخلافة الاسلامية إليهم، وذلك بعد تنازل الخليفة المتوكل على الله عن الخلافة للسلطان سليم الأول، وقد ورث العثمانيين حماية الموانئ البحرية المطلة على البحر الأحمر مثل سواكن، وجدة، ومصوع، وغيرها من الموانئ، وقد تزايد اهتمام العثمانيين بسواكن بعد السيطرة عليها من قبل السلطان سليم الأول في الفترة من (1512- 1520م) وعملوا على تعميرها وتخطيط مرساها، كما أسهم عدد من التجار والأعيان من سكان المدينة بإقامة القصور والوكالات الضخمة مثل قصر الشناوي، الذي بني في ثلاثة طوابق بعدد 356 غرفة بعدد ايام السنة الهجرية⁽²³⁾. وصل الأتراك العثمانيون لساحل البحر الأحمر، ورغم وصولهم المتأخر إلا أنهم نجحوا في السيطرة على عدد من الموانئ الأفريقية الآسيوية مثل جدة وسواكن، ومصوع، وزيلع، وبربرة، وعدن⁽²⁴⁾.

لتأكيد السيطرة العثمانية على البحر الأحمر لجأ العثمانيون إلى إقامة عدد من الحاميات العسكرية في الموانئ الرئيسية مثل جدة وسواكن ومصوع والسويس وقد تمت إقامة (سناجق) في هذه المدن، ويعد السناجق واللواء من أهم الوحدات الادارية العسكرية في النظم العثمانية، وقد تطورت السناجقية أو اللواء ليصبح (إيالة) وهي تشكل المستوى الاداري الاول بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر، ويرأس الإيالة بيكربكي او أمير الأمراء وتضم عدداً من السناجق⁽²⁵⁾.

سواكن وولاية الحبشة:

أسس العثمانيون في أول الأمر لواء باسم لواء سواكن في العام (1553/960هـ)م وعينت عليه عبد الباقي بك، وقد كان أمير لواء سواكن وجدة على درجة وظيفية واحدة، وتم إلحاقه بإيالة مصر، وقد يتبع لمصر من الناحية الادارية ولم يستمر الأمر طويلا حيث إنه وبعد عامين تم تأسيس إيالة الحبشة أو ولاية الحبشة⁽²⁶⁾.

ثم بعد ذلك تم تأسيس ولاية الحبشة في منتصف القرن السادس عشر الميلادي عام (1555/962م) التي ضمت سواكن، وجدة، ومصوع، ويرجع الفضل في تأسيس هذه الولاية إلى القائد (اوزدمير باشا) الذي قدم معلومات جيدة من الناحية الجغرافية والتاريخية والسكانية

عن المنطقة مما شجع الإدارة العثمانية على تأسيس هذه الولاية وحاضرتها سواكن، كما لعب الصدر الاعظم كره أحمد باشا دوراً مهماً في صدور الأمر السلطاني بتأسيس ولاية الحبشة، وقد نجح اوزدمير باشا في أن يحدث نقله كبيرة في سواكن من حيث التطور الإداري والخدمي، وقد أصبحت سواكن عاصمة للولاية العثمانية الوليدة، كما عين اوزدمير باشا الشيخ عبدالوهاب أفندي قاضياً على الولاية، وكان مقره في سواكن وقد ظل أمر القضاء في المدينة حتى بعد تحول مقر ادارة الولاية إلى مصوع⁽²⁷⁾.

بعد المجهودات الإدارية التي قام بها اوزدمير باشا في سواكن، تحولت سواكن من مجرد مركز لواء إلى مركز إيالة وأصبح هذا اللواء يعرف باسم (لواء الباشا) وذلك لأن العثمانيين يطلقون هذا الاسم على اللواء الذي يقيم فيه أمير أمراء الإيالة (بلكر بك)⁽²⁸⁾.

بعد وفاة القائد اوزدمير باشا تعاقب على الإيالة عدد من الحكام، منهم عثمان بن اوزدمير في العام (1516م)، وحسين باشا (1567م)، وأحمد بن اسكندر باشا (1570م)، ورضوان باشا (1573م)، وقد تمتعت الإيالة بعلاقات جيدة بمحيطها الداخلي الذي يتمثل في الإمارات الداخلية مثل، إمارة هرر، وسلطنة الفونج، وسلطنة الفور وغيرها من الإمارات والسلطنات الإسلامية في شرق أفريقيا، بعد تدهور الدولة العثمانية تم ضم إيالة الحبشة إلى إيالة جدة، وتم الاكتفاء بتعيين قائمقام في المدن الساحلية المهمة مثل مصوع وسواكن⁽²⁹⁾.

شكل وصول العثمانيين لساحل البحر الأحمر نقطة تحول مهمة في تاريخ الصراع العثماني البرتغالي في منطقة البحر الأحمر وشرق أفريقيا، وقد نجح العثمانيون في كسب من خلال هزيمتهم للأسطول البرتغالي ثم السيطرة على الموانئ العربية الأفريقية المطلة على الساحل.

العلاقات السنارية العثمانية في سواكن:

تعرضت سواكن في عام (971هـ/1569م) لهجوم من قبل الفونج، وقد قتل في هذا الهجوم عدد كبير من الأشخاص، كما قاموا بمنع الأهالي من الوصول إلى مصادر المياه، وتطور الأمر إلى بيع المياه من قبل الفونج للسكان، لذلك كتب أمير الأمراء الذي كان يقيم بالمدينة في ذلك الوقت إلى السلطان العثماني يطلب منه، القيام بعمل قلعة لتأمين مصادر المياه، وتعيين أمير جديد للواء سواكن يمكنه وقف الهجمات المتكررة من قبل الفونج على المدينة، وبعد ذلك صدر الأمر السلطاني بتعيين يعقوب بك أميراً على لواء سواكن⁽³⁰⁾.

تطورت بعد ذلك العلاقات العثمانية السنارية، نتيجة للاتفاق بين الطرفين مع تنظيم التجاره والازدهار عبر سواكن الى الأسواق العالمية، وقد كان نصيب الفونج من الاتفاق العمل على تسيير القوافل إلى سنار وحمياتها، ويقوم العثمانيون بتسويق وترحيل السلع التي ترد إلى سواكن من داخل العمق السناري، ساعد التعاون الإيجابي بين العثمانيين والدولة السنارية في تطور سواكن وارتفاع مكانتها، وسهل انسياب التجارة من داخل الأراضي السودانية في

رغد الميناء بالعديد من السلع المهمة مثل الذرة، والجلود، والمنسوجات القطنية، والسلال، والسيات السنارية.

وما يميز العلاقة بين الطرفين في سواكن أنه لم تشهد المدينة أي صراع بين الطرفين العثماني والسناري طوال القرن السادس عشر، كما أن الوجود العثماني في البحر الأحمر ساعد على تطور المدينة من الناحية التجارية والاقتصادية⁽³¹⁾.

علاقة سواكن بمواني البحر الأحمر:

ميناء جدة:

أ. العلاقات الادارية:

تمت تبعية سواكن لإيالة جدة بعد التدهور الذي صاحب الدولة العثمانية، ثم استقلت عنها في عهد محمد علي باشا الذي نجح أن يتحصل على سواكن ومصوع طوال فترة حياته، ثم رجعت مرة أخرى إلى السيادة العثمانية وتحولت إدارتها إلى إيالة جدة، وقد تم ترتيب الإدارة الداخلية فيها على النحو التالي:

- بعد عودة سواكن لإيالة جدة أصبح يعين عليها قائمقام من العاصمة الاستانة وكان يراعي في هذا التعيين اجادة اللغة العربية لمن يتولى أمر سواكن.
 - اعتمدت سواكن في نظامها المالي على الأموال المرسله من الاستانة والرسوم التي تفرض على بضائع الصادر أو الوارد في الميناء
- تميزت سواكن بنظام القضاء والدفتريه، والنظم العسكرية⁽³²⁾.

ب. العلاقات التجارية

كان لتجار سواكن علاقات تجارية جيدة مع مدينة جدة، وقد كانوا يشترون من جدة كل احتياجات المدن الأفريقية، التي تتمثل في البضائع الهندية مثل الثياب والبخور، والأواني المنزلية، والبصل والبن والبلح ومختلف الأطعمة والسكر الهندي، والحراب ومعدات الحرب التي كانت ترد من الهند إلى جدة⁽³³⁾.

ذكر الرحالة ابن بطوطة الذي زار المدينة في القرن الرابع عشر الميلادي قادماً من جدة، أن سواكن تشتهر بالألبان والسمن والذرة ولا تغادر سفينة ميناء سواكن إلا وبها قدر من محصول الذرة التي كانت تزرع في منطقة التاكا، وأن أهلها يقومون بتصدير هذه المنتجات إلى مكة عبر ميناء جدة⁽³⁴⁾.

كما ذكر ابن بطوطة أن (الحصر) المصنوعة من شجر الدوم تصدر إلى جدة وجميع مناطق الحجاز، واليمن، وقد كانت المساجد في تلك المناطق تفرش بهذا الحصر، ويذكر أنه ما من حاج يغادر مكة إلا ومعه حصيرة سواكنية صغيرة، مصنوعة في هيئة سجادة صغيرة للصلاة⁽³⁵⁾.

علاقة سواكن بمصوع:

أصبح تحول ميناء مصوع محلاً للصراع بين الدولة العثمانية والحبشة المدعومة من قبل الدول الأوروبية، ونتيجة لهذا الصراع الذي أثر على حركة التجارة انتقل عدد من التجار من مصوع للعمل في سواكن، وأصبحت سواكن بعد ذلك تقوم باحتكار الخدمات المقدمة للسفن، كما أصبحت عروس موانئ البحر الأحمر، ثم قفزت في القرن السادس عشر إلى صدارة الموانئ العثمانية في البحر الأحمر⁽³⁶⁾.

انطباعات ومشاهدات الرحالة عن سواكن:

ذكر ابن بطوطة أنه عندما زار سواكن وجد جزيرة كبيرة، بها لحوم النعام وحمر الوحش والماعز، يكثر عندهم الكثير من الألبان والسمن الذي يرد منه الكثير إلى مكة، وكان على سواكن عند زيارته لها الشريف زيد بن أبي بكر وأبوه أمير مكة، وأهل سواكن لهم معرفة كبيرة بالبحر والسفن منذ أقدم العصور⁽³⁷⁾.

زار الرحالة اليهودي داود رويني مدينة سواكن التي وصل إليها من مدينة جدة، ومكث بها بعض الأيام ثم واصل مسيره نحو سنار⁽³⁸⁾.

وفي عام (1672م) زار سواكن الرحالة التركي أوليا جلبي الذي نشرت رحلته باللغة التركية تحت عنوان (سياحة عالم) في عشرة أجزاء في إسطنبول عام (1938م)، وفي الجزء العاشر تحدث عن سواكن وسنار. كما زار سواكن صموئيل بيكر عام (1865م) في طريقه لخط الاستواء، وزارها مرة أخرى في العام (1869م) في طريقه لصيد الفيل في نهر عطبرة وسهل البطانة، وزارها أيضاً المستر (دي كسون)، الذي ذكر أن سواكن مدينة تجارية تفد إليها السفن بغرض شحن القطن الذي شاهده بكميات كبيرة، لي شحن إلى السويس⁽³⁹⁾.

وصفها الرحالة البرتغالي (دي كسترو - Decastro)، عند مروره بسواكن في العام (1541م) بأنها من أغنى المدن وذلك بعد سيطرة العثمانيين عليها وإدارتهم لها، وقد كان دي كسترو عند مروره بسواكن برفقة إحدى الحملات البرتغالية في البحر الأحمر، وقد وصف سواكن بأنها تشبه مدينة لشبونة البرتغالية، وعند وصفه لكيفية الدخول للميناء قال: أنها عملية تحتاج إلى قدر من المهارة والتدريب ودراية عالية بالبحار وتوجيه السفن، وأما مرفئ المدينة فقد ذكر بأنه يمتاز بالاتساع ويمكنه أن يستقبل (200 سفينة)، وعدد لا يحصى من القوارب الصغيرة، وذكر أن سواكن اكتسبت شهرتها من خلال عدد من العوامل والتي تتمثل في:

1. وجود مرفأً طبيعياً لرسو السفن وحمايتها من الأعاصير البحرية.
2. سهولة عملية الشحن والتفريغ من السفن؛ لأن المربط لا يبعد كثيراً عن مواقع السكن والتخزين.
3. اتصالها بالمناطق البعيدة مثل: الهند، والصين، وملقا، ومواني البحر الأحمر الأخرى.

4. التحصينات الطبيعية لموقعها والتي تعيق عملية السيطرة عليها من البحر.
5. سهولة وصول البضائع عليها من داخل السودان.
6. تنوع وتعدد السلع والموارد السودانية مما يوفر استمرارية وصول المنتجات المختلفة إلى الميناء على مدار العام.⁽⁴⁰⁾

وعندما زار الرحالة الأوربي (فلانشيا) مدينة سواكن في بدايات ضعفها وانهارها في العام (1805م)، ذكر أن هناك اضطراباً واضحاً في وصول التجارة والتجار إلى سواكن من داخل العمق السوداني، وأنه لم يجد عند زيارته للمدينة تلك السفن الكبيرة التي كانت ترسو داخل الميناء⁽⁴¹⁾.

وقد زار سواكن الرحالة جون لويس بوركهارت، الذي ذكر أن المدينة مبنية على نسق الطراز المعماري في جدة، والمباني رغم جمالها بدأت آثار الزمن تظهر عليها، والمباني بدأت في الازدهار بالقرب من شاطئ المدينة، كما توجد بالمدينة العديد من الحصون، وقد حدد بوركهارت عدد المنازل عند زيارته لها بـ 600 منزل تهدم ثلثها بسبب عدم الترميم والعناية بها، وعلى بعد مسافة نصف ساعة من الشاطئ يوجد عدد اثنتا عشر بئراً لري المدينة، كما أقيمت عدد من الصهاريج داخل المدينة لحفظ ماء المطر لأن الصهاريج القديمة تهدمت ولم تجد حظها من الاهتمام⁽⁴²⁾.

الأهمية الاستراتيجية لمدينة سواكن:

كان عدد الجنود الأتراك الموجودين في حامية سواكن يبلغ مائة جندي، بغرض حفظ الأمن وتأمين البحر، وأما تأمين المناطق الداخلية من سواكن فقد كانت مهمة زعيم الارتيقة حيث صدر فرمان من السلطان العثماني يوضح فيه مهام كل طرف، وتم الاتفاق بين الأمير والمحافظ على أن تكون إقامة الأمير والحامية داخل الجزيرة، وأما الأمير فيقيم في المدينة وهو المسؤول عنها وضواحيها، وأول من تولى مهمة الإمارة من الارتيقة الشريف علم الدين ثم البوشاب ثم الديشاب ثم الكرباب، وهم أمراء سواكن، وأول محافظ تركي اشتهر بالعدل والتقوي نورالدين باشا⁽⁴³⁾.

أصبحت سواكن قاعدة حربية في العهد العثماني، وتم إهمال المدينة من الناحية التجارية والعمرانية، كما كانت تتبع للسلطان العثماني مباشرة، كما أن العلم العثماني كان يخفق فوق سماء سواكن وبقيت على هذا الوضع حتى اندلاع الحرب بين اليمنيين والأتراك، وتحولت سواكن إلى استراحة للجنود الأتراك القادمين أو الذاهبين للقتال في اليمن، كما أن نظام التجنيد الجندرية (البوليس) في تركيا اعتمد على إرسال الشباب الأتراك وإرسالهم للمناطق التي يسيطر عليها العثمانيون، فوصلت أعداد منهم لسواكن واستقروا فيها بصورة نهائية، وكان كل واحد منهم يدعو صاحبه بكلمة (همشري) التي تعني ابن بلدي أو بلدنا⁽⁴⁵⁾.

كان الغرض من السيطرة على سواكن وغيرها من موانئ البحر الأحمر من قبل الأتراك،

هو منع وقوع تلك الموانئ في يد الأوربيين ليتخذوها قواعد لغزو البلاد العربية عموماً وبلاد الحرمين على وجه التحديد⁽⁴⁶⁾.

والمتتبع للحامية التركية التي وصلت إلى سواكن يجد أن عناصر هذه الحامية قد تزاجوا مع العناصر المحلية بالجزيرة، ونشأ بعد ذلك عدد من الأسر ذات الأصول التركية والسودانية في نفس الوقت، ومن الأسر السودانية ذات الأصول التركية في سواكن أسرة ميشلى نسبة لمدينة ميش، وموصلي نسبة للموصل، واسطنبولي نسبة لمدينة اسطنبول، وكور كتلي نسبة لمدينة كركوت⁽⁴⁷⁾.

شهدت سواكن خلال الفترة من القرن الخامس عشر الميلادي وحتى القرن التاسع عشر الميلادي تذبذباً في مكانتها كميناء بين الصعود والهبوط، فهي تارة ميناء ضخم يمتلئ بالسفن من شتى بقاع المعمورة، وتارة يتقلص دور الميناء ليصبح مرفأً للسفن الصغيرة؛ الأمر الذي انطبق على معظم موانئ البحر الأحمر⁽⁴⁸⁾.

تحكمت مجموعه من العوامل في عملية الصعود والهبوط لمدينة سواكن، حيث كان بالنسبة لسواكن يتأثر بعوامل القوة والضعف الاقتصادي والعوامل السياسية. ومما أثر بصورة كبيرة في ضعف ميناء سواكن.

- اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي.
- ضعف الوجود المملوكي في ساحل البحر الأحمر بسبب تدهور هذه لدولة؟! ضعف ثم انهيار مملكة علوة المسيحية؛ مما كان له الأثر السلبي على عملية تدفق التجارة عبر سواكن والبحر الأحمر⁽⁴⁹⁾.

المتتبع للدولتين المملوكية والعثمانية يجد أن الدولة المملوكية فضلت الحصول على اليابسة لتوسيع سلطانها بينما الدولة العثمانية سعت إلى السيطرة البحرية لتحقيق أكبر قدر من السيادة البحرية وقد نجحت في ذلك بصورة كبيرة، وهي بذلك تشبه دولة البطالمة التي سعت أيضاً للحصول على قدر من الموانئ البحرية⁽⁵⁰⁾.

أسباب تدهور المدينة في العهد العثماني:

بعد الازدهار والتطور الذي عاشته سواكن تراجعت، وأصبحت ميناءً صغيراً وذلك بسبب محاربة العثمانيين للتجار الأوربيين عبر البحر الأحمر، ونتيجة للضرائب الباهظة التي فرضت من قبل العثمانيين على المراكز التجارية على البحر الأحمر، ثم تحويل التجارة عبر رأس الرجاء الصالح بواسطة الأوربيين، فبدأت سواكن في فقدان مكانتها التجارية وأهميتها بسبب تزايد الهجمات من قبل قطاع الطرق الذين استهدفوا القوافل التي ترد إلى المدينة من داخل العمق السوداني وهي محملة بالبضائع⁽⁵¹⁾.

كما ساعد ضعف الدولة العثمانية في أن تفقد السيطرة على موانئها، وأصبحت بعد ذلك

السيطرة العثمانية سيطرة اسميه، كما أن اتساع الدولة العثمانية أدى إلى اهتمامها ببعض المناطق على حساب مناطق أخرى بعيدة، أما على المستوى الداخلي فقد أدى ضعف دولة الفونج والصراعات الداخلية إلى اضطراب حركة التجارة وكثرة عمليات السلب والنهب وقطع طرق القوافل التجارية⁽⁵²⁾.

على الرغم من حالة الخراب التي ظهرت على سواكن في القرن التاسع عشر إلا أن هناك من العوامل التي ساعدت على بقائها واستمراريتها منها:

- استمرار وصول القوافل التجارية إليها من داخل العمق السوداني رغم قتلها.
 - وصول قوافل الحجاج من غرب افريقيا ومناطق السودان المختلفة كل عام في مواعيدها.
- ولما سبق يمكن القول إن تدهور سواكن بدأ منذ القرن الثامن عشر الميلادي وذلك بعد أن تم منع السفن الأوربية من الرسو في الميناء.⁽⁵³⁾

سواكن في عهد محمد علي باشا وخلفاءه:

طلب محمد علي باشا من السلطان العثماني في العام (1263هـ/ 1846م) أن يضم سواكن ومصوع إلى أملاكه فوافق السلطان العثماني على شرط أن تعود إلى الحجاز بعد وفاة محمد علي باشا، وقد عادت المدينة إلى ولاية الحجاز بعد وفاة محمد علي في العام (1849م)، وقد اتخذ محمد علي باشا من سواكن قاعدة حربية واقتصادية لتصدير المنتجات السودانية، كما قام بتعيين محافظ من قبله على سواكن⁽⁵⁴⁾.

استعادت سواكن قدراً من بريقها ولمعانها في عهد محمد علي باشا، وقد عمل الخديوي اسماعيل في العام (1836م) على ضم سواكن بصورة نهائية إلى إدارة السودان من السلطان العثماني مقابل جزية سنوية تدفع للباب العالي في تركيا، فشهدت سواكن بعد ذلك تطوراً ملحوظاً في المرافق والخدمات؛ فظهرت الإدارات المهمة مثل الشرطة، والجمارك، والقضاء، والبريد، كما أقيمت المخازن لحفظ السلع، وتمت إقامة سكنات للجيش، وقام السكان ببناء منازلهم من الحجارة البيضاء، ورصفت الطرق، وتم ربط الميناء بالساحل من خلال كبري خشبي، وتم بناء رصيف حول الميناء لرسو السفن، وزادت أهمية المدينة بعد انشاء قناة السويس وتزايدت أعداد السفن القاصدة للميناء، وتطورت الخدمات المقدمة لهذه السفن، وأصبحت بعد ذلك مركزاً هاماً للقوافل التجارية وقوافل الحجاج، وهكذا حجزت المدينة والميناء بين الموانئ المهمة على ساحل البحر الأحمر وأصبحت من أفضل الموانئ في المنطقة حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي⁽⁵⁵⁾.

محاولة ربط سواكن بنهر عطبرة:

لمد سواكن بالمياه الصالحة للشرب قام محمد علي باشا بإرسال المسيو (لينان) وذلك بغرض تحديد أفضل مسار لوصول مياه نهر عطبرة لسواكن، كان المسيو يرى أنه من السهل

القيام بهذه المهمة، وتحويل مجرى نهر عطبرة ليصب في البحر الأحمر وقد برر ذلك أن نهر عطبرة يمر عبر سهول وأراضي رملية، وقد دلت الآثار على شواهد تؤكد أن هناك محاولات لربط سواكن بنهر النيل عطبرة⁽⁵⁶⁾.

بعد تولية الخديوي إسماعيل للسلطة في مصر، طلب من السلطان العثماني تأجير مصوع وسواكن وقد صدر الفرمان السلطاني في يوم 17 مايو (1866م)، وذلك مقابل دفع سبعة آلاف كيساً وهي تعادل سبعة وثلاثين ألفاً وخمسمائة جنيه مصري في ذلك الوقت. وقد كانت هذه الأموال تدفع لصندوق ولاية جدة بغرض تعمير طريق بيت الله الحرام والقيام بشئونه. بالإضافة للجزية التي كانت تدفعها مصر للسلطان العثماني، واستلم أحمد ممتاز باشا زمام الأمور في سواكن من الحاكم التركي، وقد خیر ممتاز باشا الموظفين بين العمل تحت الإدارة المصرية أو تقديم الاستقالة واستلام معاشهم ومكافأاتهم، فاستقال كل الاتراك وبعض العمانيين من، وتم استبدالهم بسودانيين ومصريين، وبعد ذلك عمل ممتاز باشا على تحديث المدينة من خلال بناء المنازل الجديدة، ومبنى المحافظة، والجمارك، والكرنيتية (الحجر الصحي)، والبريد والبرق، ومبنى الشرطة، وثكنات الجيش، كما قام ممتاز باشا ببناء محلجين في سواكن⁽⁵⁷⁾.

في مجال التجارة عمل ممتاز باشا على جلب التجار المصريين للمدينة، كما قام بالاتفاق مع شركة بواخر ابراهيم بك فهمي على تسيير بواخرها في البحر الأحمر، وكذلك الشركة الخديوية، وشركة روباتينو الإيطالية، كما أمرهم بشراء الأراضي الفضاء بغرض إقامة مبانيهم ومكاتبهم التجارية، ونتيجة لهذا الاهتمام من قبل ممتاز باشا بسواكن وفد إليها التجار والموظفين من مصر والحجاز، كما وصلت السفن البريطانية إلى سواكن بعد افتتاح قناة السويس في العام (1869م)⁽⁵⁸⁾. قام ممتاز باشا بإقامة رصيف حول الجزيرة لتسهيل عملية رسو السفن الشراعية والبخارية الصغيرة، وتميز الطراز المعماري داخل الجزيرة بالطابع الشرقي، وقد كانت المباني داخل الجزيرة لا تقل عن ثلاث طوابق بنيت بالحجارة البحرية المرجانية، ومن أجمل المباني التي بنيت في سواكن منزل محمد بك الشناوي الذي قام ببنائه للفقراء، كما قام ببناء منزله الخاص على أحدث طراز معماري في ذلك العصر، وقام أيضاً ببناء مبنى يتألف من أربعة طوابق لضباط الحامية الإنجليزية في المدينة، وللشناوي منزل يطلق عليه دار الضيافة أو (قصر الشناوي) كان ينزل فيه التجار الأجانب للمدينة، وهناك منازل السيد عمر الصافي، والدروبي، وبآ حيدر، والسيد الحضري وغيرهم من أعيان مدينة سواكن⁽⁵⁹⁾.

اهتم الخديوي اسماعيل بأمر التعليم في السودان، وقد قام بإنشاء خمس مدارس في كل من بربر، ودنقلا، وكردفان، و التاكا، والخرطوم، وإلى جانب هذه المدارس تم إنشاء مدرسة في سواكن، وقد كانت هذه المدارس تقوم بتدريس اللغة التركية والعربية، والهندسة، والرياضيات، والخط⁽⁶⁰⁾.

و بعد سيطرة الإنجليز على مصر في العام (1882م)، عملوا على إنشاء قنصلية انجليزية في مدينة سواكن، وأمرت أحد مهندسيها الملازم في ذلك الوقت غردون ثم الجنرال بعد ذلك أن يبني سوراً حول المدينة، وذلك خوفاً عليها من الهجوم من قبل القبائل المقيمة حولها، وقد تمكن من بناء هذا السور الذي يحيط بالمدينة بارتفاع أربعة أمتار وسمكه ثلاثة أمتار، وفي العام 1886م تم إنشاء خمس بوابات على هذا السور لمراقبة الداخلين والخارجين، كما تم وضع قوات لحراسة هذه البوابات⁽⁶¹⁾.

نجد أن سواكن شهدت فترة ازدهار وتطور في فترة حكم محمد علي باشا، وذلك من خلال إنشاء المدارس، والسور المحيط بالمدينة والاهتمام بالميناء والمرافق الأخرى التي تحتويها المدينة.

الخاتمة

اعتمد السودان وعبر العصور التاريخية على ميناء سواكن في حركة الصادر والوارد من ناحية البحر، وقد لعبت سواكن دورها الرائد في خدمة التجارة السودانية على أكمل وجه، فقد كانت القوافل التجارية تفد إلى المدينة عبر طرق منتظمة طوال العام، ولتسهيل حياة السكان بالمدينة كان هناك اهتمام واضح بالمياه وتوفيرها طوال تاريخ المدينة فكانت المحاولات لمد المدينة بالمياه من عطبرة في عهد البطالمة ومحمد علي، ثم حفر الآبار حول المدينة في عهد الفونج والعثمانيين وكل هذه المحاولات لم تنجح في إيجاد حل جزري لمشكلة المياه في مناطق البحر الأحمر حتى اليوم، ويبقى مد مدن الشرق عموماً بمياه النيل الحل الأمثل لهذه المشكلة المهمة. رغم المشاكل التي تحيط بالمدينة إلا أنها حافظت على مكانتها وقوتها ويمكن أن ترجع إلى سابق عهدها بالقليل من الاهتمام والشركات الدولية ولذلك يمكن القول إن الشراكة السودانية التركية الأخيرة يمكنها أن تجعل من المدينة واحدة من نقاط الجذب السياحي والتجاري المهمة عبر البحر الأحمر.

النتائج:

- خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات والتي منها:
- محافظة سواكن على مكانتها الجغرافية والتاريخية والاستراتيجية عبر العصور.
- سواكن تحمل في داخلها عوامل البقاء والتطور وذلك من خلال موقعها الجغرافي وحاجة العالم للموانئ الداعمة لحركة الملاحة والتجارة العالمية.
- يمكن لسواكن أن تنجح في جذب حركة الملاحة من خلال الخدمات اللوجستية التي تقدم للسفن العابرة للبحر الأحمر.
- يمكن لسواكن أن تكون أهم مدينة سياحية في البح الأحمر إذا وجدت الاهتمام والرعاية من قبل الدولة السودانية.

التوصيات:

من التوصيات التي خرجت بها الدراسة:

- العمل على الاهتمام بالموانئ السودانية عموماً وسواكن على وجه الخصوص.
- استثمار الشراكة السودانية التركية في تطوير المدينة وإعادة اعمارها بالصورة التي تحافظ على شكلها التاريخي الجمالي.
- جعل سواكن نقطة جذب سياحي تجاري خدمي في البحر الاحمر لخدمة الملاحة البحرية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً:

المصادر:

- جون لويس بوركهارت، رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، (1784-1817)، دار كنوز للطباعة والنشر القاهرة، 2012م.
- نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، (تقديم) فدوى عبدالرحمن على طه، دار عزة للطباعة والنشر، الخرطوم، 2007م.

ثانياً:

المراجع:

1. السيد يوسف نصر، الدور الحضاري للجيش المصري في القرن التاسع عشر - في آسيا وأفريقيا، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1983م
2. جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م
3. حسن الشيخ الفاتح قريب الله، السودان دار الهجرتين الأولى والثانية للصحابة، سلسلة انتشار، الكتاب السوداني، (3)، الخرطوم، (ب.ت).
4. خضر آدم عيسى، تاريخ السودان الوسيط وآثاره، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم، 2011م
5. صلاح الدين الشامي، الموائئ السودانية (دراسة تاريخية جغرافية)، اشراف الادارة العامة للثقافة والتربية والتعليم، الإقليم الجنوبي، مكتبة مصر، القاهرة، 1961م
6. صلاح عمر الصادق، المواقع الأثرية بالسودان، مكتبة الشريف الاكاديمية، الخرطوم، 2006م.
7. عبد الرحمن حسب الله الحاج، العلاقات بين بلاد العرب وشرق السودان، منذ ظهور الاسلام وحتى ظهور الفونج (911هـ/1505م)، المطبعة العسكرية، أم درمان، 2005م
8. طارق محمد نور، إضاءة على جانب من تاريخ السودان على ضوء الوثائق العثمانية (1840-1864م)، المؤتمر السنوي للدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الخرطوم، فبراير 2013م، مج2
9. محمد سليمان صالح ضرار، أمير الشرق (عثمان دقنة)، ط1، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، (ب.ت).
10. محمد صالح ضرار، تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 1991م

-
11. مكي شبيكة، مملكة الفونج الاسلامية، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1963م
12. نعيمة شديد محمد زين، أهمية الموانئ السودانية عبر البحر الأحمر خلال العصر الاسلامي، كتابات سودانية، كتاب غير دوري، مركز الدراسات السودانية، القاهرة العدد 46، 2009م

ثانياً:

المجلات العلمية:

1. انعم محمد عثمان، تأسيس لواء سواكن في العهد العثماني، مجلة الدارة، مجلة فصلية محكمة، جامعة الملك عبد العزيز، السنة الثامنة والثلاثون، العدد الرابع، شوال 1433هـ.

جهود هاشم النعمي في الكتابة التاريخية

د. أحمد بن يحيى آل فائع
أ. فاطمة بنت حسن شريفان
جامعة الملك خالد - السعودية

المستخلص:

تناول الدراسة جهود هاشم النعمي في الكتابة التاريخية؛ حيث يُعد من أبرز مؤرخي منطقة عسير المتخصصين في التاريخ الحديث والمعاصر، ومن بين الذين اعتنوا بتدوين جغرافية المنطقة وكتابة تاريخها المحلي، والترجمة لأمرائها وأعيانها وعلمائها. وذلك من خلال دراسة مؤلفاته المنشورة مع الإفادة من المؤلفات والوثائق غير المنشورة بغية تقديم دراسة نقدية تركز على المادة التاريخية التي كتب عنها في مؤلفاته المطبوعة من حيث الزمان والمكان. الكلمات المفتاحية: هاشم النعمي، عسير، أبها، جرش، رجال ألمع.

Abstract:

This research deals with the efforts of Hashim al-Nimii in historical writing, as he is one of the most prominent historians of the □Asir region who specialize in modern and contemporary history, and among those who are interested in writing about the geography and local history of the region, and in writing biographies of its princes, notables and scholars. Therefore, the research seeks to study his published works, as well as to take advantage of unpublished works and documents, with the aim of providing a critical approach that analyzes the historical material contained in his printed publications, taking into account the dimensions of time and place..

Key words: Hashem AlN>ami. Aseer. Abha , Jerash, Rejal Almaa.

المقدمة:

تتجه بعض الدراسات الحديثة إلى دراسة المنهج التاريخي لعَلَم من أعلام التاريخ الذين أثروا الساحة التاريخية بمؤلفاتهم وكتاباتهم، وكانوا علامة بارزة في هذا المجال، وذلك عن طريق إلقاء الضوء على كتابته التاريخية وإخضاعها لمنهج البحث العلمي التحليلي والنقدي؛ بهدف إبراز جهود هاشم النعمي، وفهم الفترة الزمنية التي يكتب عنها، ومن ثم الخروج بنتائج علمية تساعد على فهم المرحلة التي دونها والعوامل المؤثرة على كتابته، من خلال إخضاعها لعملية النقد التاريخي الهادف والبناء.

ويعد هاشم النعمي 1340هـ/1921م/1431هـ/2010م⁽¹⁾ واحدًا من الكتّاب الذين شاركوا في كتابة تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث والمعاصر⁽²⁾، وأوقف قلمه على كتابة التاريخ المحلي العسيري⁽³⁾ فقد كان من أوائل الذين تولوا مهمة كتابة تاريخ منطقة عسير⁽⁴⁾؛ حيث ركزت مؤلفاته على العديد من السمات المختلفة ما بين سياسي وحضاري وجغرافي، ومن تتبع مؤلفاته المنشورة وغير المنشورة منها يرى تنوعًا واضحًا في مجال اختصاصها بالمنطقة، وقد ساعده في ذلك أنه قضى أكثر عمره في منطقته، وزاول مهنته والعمل الوظيفي فيها؛ فتعامل مع النزاعات القبلية، ومارس الحياة العامة، فتطورت لديه الاهتمامات الكتابية عن طريق معرفة الشؤون المحلية الدقيقة والخوض فيها بصفة رسمية أثناء عمله في القضاء الذي مكنه من الوصول لمعلومات فريدة ومخطوطات نادرة كَوّن بها مكتبته⁽⁵⁾.

وتكمن أهمية الدراسة في كونها من أولى الدراسات التي تناولت جهود هاشم النعمي في الكتابة التاريخية - حسب معرفة الباحثين - وتم تقسيم الدراسة إلى قسمين رئيسيين. الأول: تم تغطيته بكتابات المنشورة وغير المنشورة، في حين يغطي القسم الثاني التغطية الزمنية والمكانية لكتابات المطبوعة.

وسوف تتبع هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، القائم على جمع المعلومات من مصادرها الأصلية، ومن ثم العمل على دراستها، وإخضاعها للتحليل والنقد التاريخي المبني على الأسس العلمية المتبعة في منهج البحث التاريخي.

أولاً/ المؤلفات المطبوعة:

1/ تاريخ عسير بين الماضي والحاضر:

يُصنف الكتاب ضمن التاريخ المحلي المعني بالحديث عن الأحداث السياسية والإدارية والعسكرية بالدرجة الأولى على الرغم من احتوائه على مادة حضارية، وذلك لكثرة المادة السياسية التي شغلت ثلثي حجم الكتاب، وكتب النسخة المخطوطة من هذا الكتاب الأستاذ الحسن الحفظي⁽⁶⁾، وقد بدأ هاشم النعمي جمع مادته في أول السبعينيات من القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي⁽⁷⁾، ويؤكد هذا القول قدم الروايات الشفهية المدونة في هامش كتاب تاريخ عسير بين الماضي والحاضر؛ حيث يعود أقدمها إلى سنة 1371هـ/1951م⁽⁸⁾، كما أن هناك روايتين سجلت في الكتاب أقدم من التاريخ السابق بفترة طويلة إحداهما بتاريخ 1348هـ/1929م⁽⁹⁾، والأخرى بتاريخ 1361هـ/1942م⁽¹⁰⁾؛ ولكن يستبعد أن يكون هاشم النعمي بدأ جمع مادة الكتاب من تلك الفترة، وذلك لعدة أسباب:

أولاً/ الرواية الأولى المسجلة بتاريخ 1348هـ/1929م، هاشم النعمي مولود سنة 1340هـ/1921م⁽¹¹⁾، وإن كان ولد قبل ذلك فلا يزال صغير السن ليس بمرحلة تمكنه من تأليف الكتب وجمع مادتها العلمية، وخاصة أنه لم يتجاوز مرحلة تلقي العلوم من شيوخه.

ثانيًا/ الرواية الثانية المسجلة بتاريخ 1361هـ/1942م، فلم يكن هاشم النعمي في هذه الفترة في منطقة عسير؛ بل كان في مكة أثناء رحلته لطلب العلم؛ حيث سافر إليها سنة 1360هـ/1941م⁽¹²⁾، وبقي بها أربع سنوات⁽¹³⁾، كما يقول في رواية أخرى بأنه رحل إلى مكة لطلب العلم سنة 1359هـ/1940م، وظل بها سنة ونصف⁽¹⁴⁾، وإن كان عاد قبل ذلك كما ذكر عندما ترجم لنفسه في كتابه «شذا العبير» أنه سافر إلى مكة 1358هـ/1939م، وعاد منها سنة 1361هـ/1942م⁽¹⁵⁾، وإن كان التاريخ الأخير هو الأقرب للصواب؛ حيث أرخت به الإجازة العلمية التي حصل عليها من شيخه الوابل⁽¹⁶⁾، إلا أنه لا يزال في مرحلة طلب العلم، وهنا ارتباك وتباين واضح في الروايات مما جعل بعضها ينقض بعضًا.

ثالثًا/ لم يسجل هاشم النعمي الروايتين ضمن قائمة المصادر والمراجع، إنما أقدم رواية سجلها كانت بتاريخ 1370هـ/1950م⁽¹⁷⁾، ولو كانت مقابلات بغرض جمع المادة والتأليف لأشار لذلك كما أشار لغيرها، إنما قد يكون سمعها عن الرواة في تلك الفترة فحفظها، ثم دونها في كتابه.

رابعًا/ اعتمد هاشم النعمي في كتابه تاريخ عسير اعتمادًا ملحوظًا على مخطوط تاريخ عسير⁽¹⁸⁾ لعبدالرحمن الحفظي⁽¹⁹⁾، وكتاب تاريخ المخلاف السليماني⁽²⁰⁾ لمحمد العقيلي⁽²¹⁾. طبعت النسخة الأولى من الكتاب سنة 1381هـ/1961م⁽²²⁾ في مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر في جدة على نفقة هاشم النعمي الخاصة⁽²³⁾، وقرط الأديب زاهر عواض الألمعي⁽²⁴⁾ هذه الطبعة قبل أكثر من خمسين عامًا في بيتين من الشعر قال فيهما⁽²⁵⁾:

لأن كان للتاريخ عقدٌ لائٍ	فجَوهَرُه ماضٍ عسيرٍ وحاضرُه
فقد حَبَرته للبرايا أناملٌ	لبحرٍ غزيرٍ لا تُنالُ مداركه

ويقع الكتاب في 268 صفحة حوت على مقدمة بيّن فيها فضل من سبقه في الكتابة التاريخية في منطقة عسير، ومن ثم عدّد الأسباب التي دعت به إلى تأليف الكتاب بقوله: «وكنّت أقرأ كل ما يصل إلى يدي من تلك المؤلفات فأجدها في غاية من الاختصار المخل؛ بل أجد فيها الغث والسمين، والخطأ والصواب؛ بينما أخذت تلك المؤلفات تنظر إلى أخبار هذا الإقليم من طرف خفي ضيق المسالك لا يعطي المقام حقه، ولا يفي للقارئ بقسطه»⁽²⁶⁾، كما بيّن هاشم النعمي أنه جمع مادة كتابه من بين سطور الكتب والروايات الشفهية من المعاصرين للأحداث، كذلك المشاهدة والمعاصرة ومعرفة الأحوال الاجتماعية والتقاليد، وبيّن في المقدمة منهجه في تقسيم الكتاب القائم على ثلاثة أقسام أساسية: جغرافي، واجتماعي، وسياسي⁽²⁷⁾. وللكتاب الطبعة الثانية وهي المعتمدة في هذه الدراسة من مطبوعات الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، في سنة 1419هـ/1999م، وهي

الطبعة التي مثلت المؤرخ هاشم النعمي، ومثلت منطقة عسير في احتفالات المملكة العربية السعودية بالمتوية؛ حيث أرسلت الأمانة العامة خطابًا بتاريخ 1417/12/20 هـ - 1997/4/27 م، ينص على قرار اللجنة التحضيرية للاحتفال بالمتوية بإعادة طباعة الكتب التي لها علاقة بتاريخ المملكة، وكان كتاب تاريخ عسير بين الماضي والحاضر من ضمن الكتب المرشحة، حيث درست اللجنة الكتاب وأبدت عليه ملحوظاتها، ثم أحالته لهاشم النعمي لإعادة النظر فيها وتعديل الكتاب وفق آراء اللجنة⁽²⁸⁾؛ والتي كان من أبرزها اقتراح حذف جزء رأته اللجنة أنه لا علاقة له بموضوع الكتاب، ودمج بعض أجزاءه بغرض تناسق مادة الكتاب بصورة أكبر؛ كذلك إعادة التوثيق وفق المنهج العلمي، إضافة للأخطاء المطبعية واللغوية⁽²⁹⁾، وبذلك نجد اختلافًا جزئيًا في مادة الكتاب في طبعته الثانية عن الطبعة الأولى، حيث حذف من مادته جزءًا كبيرًا تحدث فيه عن العرب قبل الإسلام وبعده، وأضاف قسمًا خاصًا بعلاقة الملك عبدالعزيز بعسير. ويمكن تقسيم الكتاب في طبعته الثانية من حيث طبيعة موضوعاته إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

القسم الأول وهو القسم الحضاري من الكتاب، وشغل من حجمه 118 صفحة، حيث ناقش عسير اسمًا وقبيلة وجغرافية، ثم أشار إلى وجه الاشتقاق من اسم عسير والاختلاف حوله هل كما ذكر الكتاب أنه من العُسر⁽³⁰⁾، أم اسم لا أصل له؟ ثم ناقش اشتقاقه من اسم «عسير» اسمًا لأحد ساكنيه ونسبته إلى عدنان ورجح أقواله⁽³¹⁾، وانتقل بعد ذلك لإيضاح القرى التابعة لعسير، وأسهب في الحديث حول أبها ربما لأنها هي العاصمة؛ حيث قدم حولها تحقيقًا تاريخيًا، وكتب عن أحيائها، وعدد سكانها، ووصفها، وعرف بمناخها، والمنشآت الحكومية فيها، ثم عرض عرضًا مجمل لبقية القرى التابعة للمنطقة، وأوديتها، وجبالها، ونشاطها الزراعي، ومحاصيلها، وقبائلها، ثم انتقل إلى محور آخر في القسم ذاته خصصه بالأحوال الاجتماعية في عسير والعادات القبلية، حيث تناول عادات القبيلة العسيرية سراة وتهامة. وفي محور آخر ختم به القسم الأول حول التجارة في عسير، وأورد فيه مواضيع مختلفة بعضها لا علاقة لها بعنوان المحور.

القسم الثاني وقد شكّل مع الذي يليه التاريخ السياسي المدوّن في هذا الكتاب، وحفل هذا القسم بالحديث حول نفوذ الدولة السعودية في دورها الأول في جنوب شبه الجزيرة العربية، وهو أطول أقسام الكتاب؛ حيث شغل 218 صفحة من صفحاته، وتحدّث فيه عن الأدوار الغابرة التي مرت على مخلاف جرش⁽³²⁾، وعدّها بسطحية تامة، ثم حصر مادة تاريخية سياسية بحتة لفترة زمنية طويلة من بداية ظهور منطقة عسير على منصة التاريخ السعودي في دوره الأول على يد المتاحمة بعد تبعيتهم للسلطة المركزية في الدرعية⁽³³⁾ سنة 1215 هـ / 1800 م، فجرى الحديث عن الأمير العسيري محمد بن عامر أبو نقطة⁽³⁴⁾ ونسبه، ثم مناضلته عن الدعوة الإصلاحية التي تبناها قناعة بمادتها، وأخيه عبدالوهاب⁽³⁵⁾ وعلاقته بشريف أبو عريش⁽³⁶⁾ حمود

أبو مسمار⁽³⁷⁾، والحجاز ومن تعاقب على إمارة عسير من المتاحمة، ومن ثم سقوطها على يد حملات محمد علي باشا⁽³⁸⁾ سنة 1330هـ/1815هـ، وأسر أميرها طامي بن شعيب⁽³⁹⁾ في مسلية⁽⁴⁰⁾، وانتهاء إمارة آل المتحمي بعد أسر آخر أمرائها محمد بن أحمد⁽⁴¹⁾.

ثم تناول بالإجمال ثورة الأمير سعيد بن مسلط المتوفى سنة 1242هـ/1926م (42) كمرحلة وسطية بين إمارتي آل المتحمي والأمير علي بن مجثل⁽⁴³⁾ الذي بوفاته سنة 1249هـ/1834م، انتقلت الإمارة إلى آل عائض، وما تخلل تلك الفترة من أحداث انتهى بها الحال إلى اعتقال آخر أمرائها سنة 1288هـ/1872م، نتيجة التدخل العثماني من جديد في عسير، عن طريق حملة الفريق رديف باشا⁽⁴⁴⁾ الذي عُزل بسبب وحشيته بعد تسعة أشهر -فقط- من حكمه⁽⁴⁵⁾، وتعاقب الحكم العثماني على المنطقة الذي انتهى بالجلء بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى 1332-1337هـ/1914-1918م، وانسحابها مجبرة من الشرق العربي في نهاية تلك الحرب، وما تخلل ذلك من أحداث.

القسم الثالث تحت عنوان: عسير والملك عبدالعزيز، وهو القسم الذي ألحقه هاشم النعمي بالطبعة الثانية من الكتاب، ويعد أقصر أقسام الكتاب؛ حيث لم يشغل أكثر من 45 صفحة مقابلة بحجم الكتاب الذي زاد عن 400 صفحة، بدأ هذا القسم بسرد تاريخي بداية من الأحداث الواقعة سنة 1337هـ/1918م؛ والنتيجة عن الفراغ السياسي الذي أحدثه الجلاء العثماني في عسير بعد الحرب العالمية الأولى 1332-1337هـ/1914-1918م، والأطماع من حولها. وأجمل في الكتاب موضوع ضم الملك عبد العزيز لمنطقة عسير وموقفه من أمراء آل عائض، كما اشتمل القسم على الحديث عن إمارة عسير في العهد السعودي، ثم أضاف في آخر الكتاب ترجمتين للأمير خالد الفيصل⁽⁴⁶⁾ أمير عسير، ونائبه الأمير فيصل بن بندر⁽⁴⁷⁾.

2/ شذا العبير:

يصنف هذا الكتاب ضمن التراجم كما يتضح من موضوعه؛ حيث أطلق هاشم النعمي على غلاف الكتاب عنوان شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقي منطقة عسير في الفترة ما بين 1215-1415هـ/1800-1995م، أما في مقدمته فيطلق عليه معجم أدباء وعلماء عسير⁽⁴⁸⁾ وعُرف الكتاب بين أوساط الباحثين بشذا العبير من باب التخفيف، وقد اعتنى هاشم النعمي بكتاب شذا العبير وجمع فيه فئة معينة من أعيان منطقة عسير ممن ترك أثراً بارزاً أثرى به الحياة العلمية والأدبية والفكرية في المنطقة، وحُدّد كتابه بفترة زمنية معلومة وإن تجاوز ذلك قليلاً، ويعد الكتاب غزيراً في معلوماته نسبياً؛ فقد جمع بين علمي التاريخ والتراجم، وكذلك هو الأول من نوعه متخصص بجمع تراجم رجال منطقة عسير -فقط-؛ حيث لم يسبقه أحد في تخصيص كتاب قائم بذاته في التراجم، ومن هنا تظهر أهمية الكتاب لما يقدمه من صورة واضحة عن الحياة العلمية في عسير، وأبرز معاقل العلم فيها وملتقى طلابها والعلوم المتداولة بالتدريس،

كذلك احتوى على معلومات تاريخية قيمة عن طريق بعض الاستطراد، وإن كان بنسبة قليلة إلا أنه يعد إضافة جيدة.

والكتاب من منشورات نادي أبها الأدبي، وكانت طبعته الأولى سنة 1415هـ/1995م، بعد دراسة فاحصة للكتاب من قبل لجنة علمية تكونت من بعض الأساتذة المتخصصين، وقد عكفت هذه اللجنة المكلفة من قبل أدبي أبها على قراءة الكتاب في عدة لقاءات، ومن ثم قدمت اللجنة تقريراً مستفيضاً أشادت فيه بأهمية الكتاب، وأوصت بطابعته بعد النظر في الملاحظات⁽⁴⁹⁾، وبناء على هذا التقرير أعاد أدبي أبها الكتاب لهاشم النعمي للنظر في الدراسة التي قامت بها اللجنة⁽⁵⁰⁾، وحين انتهى هاشم النعمي من تعديلات الكتاب حول الأخطاء في الطباعة والأسلوب وفق تقرير اللجنة أعاد النسخة المعدلة لأدبي أبها⁽⁵¹⁾، ومن ثم اعتمدت طابعتها من قبل النادي⁽⁵²⁾.

لم يتحدث هاشم النعمي حول بداية تأليفه لشذا العبير، ومتى بدأ جمع مادة الكتاب؛ ويمكن القول أن بداية كتابته تعود إلى سنة 1401هـ/1981م إذ يشير لذلك خطاب بعثه للأستاذ الحسن الحفظي⁽⁵³⁾ في ذلك العام يقول فيه «عزمنا على تأليف كتاب بعنوان الحالة الأدبية في إقليم عسير وقد تم أغلبه»⁽⁵⁴⁾، وذلك قبل أن يستقر مسمى الكتاب على «شذا العبير»، ويؤيد ذلك خطاب آخر بعثه أحمد الترابي⁽⁵⁵⁾ في نفس السنة، وقد جاء ردّاً على طلب هاشم النعمي في إرسال سيرته ليضيفها لكتابه⁽⁵⁶⁾، أما جمع مادته فقد بدأها مبكراً، ويستنتج ذلك من خلال أمرين، وهي:

أولاً/ قول هاشم النعمي: في خطابه للحسن الحفظي «وقد تم أغلبه».

ثانياً/ إشارته لمقابلة شخصية قديمة في هامش الكتاب؛ مع أحد الشخصيات التي ترجم لها في كتابه وتعود لعامي 1364-1375هـ/1944-1955م⁽⁵⁷⁾.

وكانت رغبة هاشم النعمي في تأليف كتابه شذا العبير الإسهام في نشر التراث الأدبي، وفي إثراء المكتبة المعاصرة، وخدمة للأدب وفاءً منه لأدباء عسير⁽⁵⁸⁾؛ حيث يقول: «هذا الكتيب الذي سيراه القارئ قد جمع تراجم نخبة خيرة من علمائنا وأدباءنا ما بين عالم يتذوق الشعر وينظمه ومؤرخ وأديب وشاعر»⁽⁵⁹⁾، كذلك تمهيداً لمن أراد أن يسلك نفس الطريق من بعده، ثم يستدرك هاشم النعمي بأن الكتاب يضم تراجم لبعض السعوديين الوافدين إلى المنطقة ممن كان له دور في حراك عجلة الحركة الفكرية والأدبية، ومن ثم أصبحت مستقراً له.

يقع الكتاب في 407 صفحات، بدأه بمقدمة قصيرة بيّن فيها ابتعاده عن دراسة تاريخ الأدب العربي وعدم توغله فيه؛ وذلك لتعدد مشاريعه واختلاف مذاهب الأدباء، كما أشار فيها إلى مفهوم الأدب الواسع من حيث المعنى⁽⁶⁰⁾، وأشار إلى تطور الأدب السعودي بعد توحيد البلاد على يد المؤسس سنة 1351هـ/1932م⁽⁶¹⁾، ثم درج مباشرة إلى التراجم التي رتبها على حروف

المعجم: بدأ بحرف الألف وانتهى بحرف الياء، ولم يكتب هاشم النعمي تراجمه في حروف المعجم كاملة، ولم يكن منهجه قائم على ذلك؛ بل يظهر أن هناك 12 حرفاً من حروف الهجاء لا يورد فيها أية ترجمة، وقد بلغت عدد التراجم التي أوردتها 110 ترجمة ما بين عالم وأديب ومؤرخ، وتفاوتت أعداد التراجم في الحروف، بعضها يورد فيها أسماء كثيرة كحرف العين حيث بلغ 37 ترجمة، بالمقابل حروف لا تتجاوز الاسم الواحد مثل حرف الباء والجيم وغيره.

عمل هاشم النعمي على استحداث طبعة أخرى للكتاب حيث جعل له ملحقاً كتبه بالحاسب الآلي، وصدر قرار قبول أدبي أبها لإعادة طباعة كتاب شذا العبير في سنة 1427هـ/2006م⁽⁶²⁾، إلا أنه لم يطبع، وقد تكون ملحق شذا العبير من 38 ترجمة إضافية في 57 ورقة شملت عدداً بسيطاً لتراجم الفتيات، وهذا ما ميز الملحق عن الطبعة الأولى. وقد أشار في مقدمة ملحقه إلى أن وجود التراجم للعنصر النسائي في كتابه مدعاة للفخر والاعتزاز، وأن سلف الأمة كانوا يعتنون بتراجم الفضليات من النساء اللاتي برزن في العلم، وأعطى مثلاً على ذلك ببعض كتب السلف التي ترجمت للنساء، ثم يعلق بأن القصور في هذا العمل التاريخي بعد ذلك كان يعود إلى الفترة المتخلفة من العصور الوسطى⁽⁶³⁾.

3/ سلسلة هذه بلادنا أبها:

دوّن هاشم النعمي هذا الكتاب بناء على طلب الرئاسة العامة لرعاية الشباب ليقدمه مشاركة ضمن سلسلة هذه بلادنا⁽⁶⁴⁾؛ حيث شغل الكتاب رقم 49 من هذه السلسلة، وهي المبادرة التي تبنتها الرئاسة العامة لحفظ التاريخ الخاص بمدن ومحافظات المملكة العربية السعودية، ويقع هذا الكتاب في 179 صفحة، وله طبعة وحيدة، وهي الطبعة الأولى طبعت في الرياض سنة 1416هـ/1996م من قبل رعاية الشباب بعنوان: سلسلة هذه بلادنا أبها، وصُنّف هذا الكتاب ضمن التاريخ الحضاري لغلبة المحاور الحضارية التي ناقشها فيه.

كتب هاشم النعمي النسخة الأولى من الكتاب تحت مسمى هذه بلادنا «رحلة بين أبها وجُرش»⁽⁶⁵⁾، وعلى ضوء الملحوظات التي قدمتها رعاية الشباب على تلك النسخة غيّر عنوان الكتاب إلى سلسلة هذه بلادنا أبها⁽⁶⁶⁾، وظل هاشم النعمي يذكر كتاب «رحلة بين أبها وجُرش» كنسخة مختلفة عن أبها المطبوع عام 1416هـ/1996م؛ فنجد أنه يذكره عندما سُئل عن نشاطه الفكري في لقاءه مع دارة الملك عبدالعزيز بعد حديثه عن سلسلة هذه بلادنا أبها المطبوع؛ حيث قال: «ورحلة بين أبها وجُرش مخطوط وهي رحلة جيدة بحثت عن مدينتين بحثاً دقيقاً جداً استقصيت فيها»⁽⁶⁷⁾، كذلك أعاد ذكره في لقاءاته مع مجلة العدل تحت اسم رحلة أدبية بين أبها وجُرش، ورحلة بين أبها وجُرش «مخطوط في طريقه إلى الصدور»⁽⁶⁸⁾، كما نجد أن هاشم النعمي يعود للكتابين في الوقت ذاته في كتابه تاريخ عسير بين الماضي والحاضر فيذكر سلسلة هذه بلادنا أبها المطبوع في أحد الهوامش⁽⁶⁹⁾، وذكر رحلة بين أبها وجُرش كمخطوط

ضمن قائمة المصادر والمراجع⁽⁷⁰⁾.

وتم الاطلاع على نسخة «رحلة بين أبها وجُرش» وهو مطبوع بالآلة الكاتبة، ولا يختلف كثيرًا عن سلسلة هذه بلادنا أبها سوى في مقدمته؛ حيث قال: «قد يستغرب من يقرأ هذا العنوان الذي اخترته لمؤلفي هذا بعنوان: (رحلة بين أبها وجُرش)»⁽⁷¹⁾. وحتى تكون الدراسة منصفة للمؤرخ متحرية للدقة فإن هناك اختلافًا يكاد يكون واضحًا في الفصلين الأول والثاني فقط، وما دون ذلك فلا يتجاوز بعض الإضافات بالإيجاز والاختصار دون إدخال بالمضمون، وتبديل في ترتيب فصوله، وعناوين داخل المتن، فالتباين بين الكتاين كتباين طبعتي الكتاب الواحد، ولعل هاشم النعمي كان يعد لخطه جديدة للكتاب ويطبعه طباعة مختلفة عن الأصل الأول؛ ولكن وافته المنية قبل استكمال الفكرة وإخراجها؛ لذلك ستعتمد الدراسة على الكتاب المطبوع.

لم يُعرف بالدقة متى بدأ هاشم النعمي تأليف كتاب «سلسلة هذه بلادنا أبها» إلا أن الدلائل توحي بأنه بدأه تقريبًا عام 1407هـ/1987م؛ وذلك في نفس العام الذي طلبت فيه رعاية الشباب منه المشاركة ضمن سلسلة هذه بلادنا⁽⁷²⁾، وقدمه مكتملاً في مادته العلمية سنة ١٤١٢هـ/1992م⁽⁷³⁾، وقد قدم للكتاب الرئيس العام لرعاية الشباب، كما قدمت الإدارة العامة للنشاطات الثقافية توضيحًا لفكرة سلسلة هذه بلادنا والغرض منها، ومن ثم كتب هاشم النعمي مقدمته بين فيها أهمية هذه الفكرة الرائدة وتقسيماته التي اعتمدها في الكتاب وبين المنهج المتبع في سلسلة هذه بلادنا أبها الذي يتجه إلى الاختصار بناء على رغبة الرئاسة العامة⁽⁷⁴⁾.

تناول سلسلة هذه بلادنا أبها بعد المقدمة سبعة محاور أساسية قسمت في فصول الكتاب، ويعد أكثر كتب هاشم النعمي من حيث التقسيمات. وقد جعل الفصل الأول بمثابة المدخل التمهيدي عرّف فيه بمدينة أبها كمدينة أساسية في منطقة عسير⁽⁷⁵⁾، حيث قدم الفصل بكلمة عن أهمية دراسة جغرافية المدن، وطبّق قوله في وصف دقيق لموقع مدينة أبها الجغرافي بالنسبة للمملكة العربية السعودية، وبالنسبة للكرة الأرضية عن طريق تحديد موقعها على خطوط الطول والعرض، كما عرض الفصل موقع أبها بالنسبة لطرق النقل والمواصلات في جنوبي المملكة، وموقعها بالنسبة لمنطقة عسير، ومن ثم درج إلى بداية نشأة العمران القديم في أبها وأحيائها القديمة والحديثة، وعلاقتها بما حولها من المرافق السياحية، والمحافظات سواءً الرئيسة منها أو الفرعية، وأمّهات القرى الأساسية التابعة لها، وختم الفصل التمهيدي بما قيل عن أبها في المراجع التاريخية.

ويتحدث الفصل الثاني عن الناحية التاريخية لمدينة أبها ونشأتها كمدينة لها سماتها وكيانها الخاص مع بداية إمارة الأمير علي بن مجثل الذي اتخذ منها مقرًا له سنة 1242هـ/1827م⁽⁷⁶⁾، كما عدّد أمراء تعاقبوا على إمارة أبها من بعد إمارة آل المتحمي حتى العهد الأخير للأمير خالد الفيصل الذي عيّن أميرًا على منطقة عسير في عهد الملك فيصل سنة 1391هـ/1971م⁽⁷⁷⁾

ونائبه الأمير فيصل بن بندر الذي صدر قرار تعيينه سنة 1401هـ-1981م⁽⁷⁸⁾، كما أورد في الفصل اهتمام الملك عبدالعزيز بالقضاء الشرعي ونشر العدل وتعيين القضاة الشرعيين إلى جانب الأمراء، كما ذكر المعالم الأثرية في المنطقة، وذيل الفصل بالحديث عن سكان المنطقة وقبائلها.

افتتح الفصل الثالث من الكتاب الذي يحمل عنوان: «الحياة الثقافية والتعليمية في أبها» بمقدمة قصيرة صوّرت ما حظيت به المنطقة من الناحية العلمية والفكرية من بداية دخولها إلى الإسلام في السنة العاشرة للهجرة على يد القبائل التي وفدت بين يدي رسول الله ﷺ؛ ومن ثم الدعاة الذين أرسلوا لتبليغ الدعوة⁽⁷⁹⁾؛ حيث احتفظت منطقة عسير بنوع من الثقافة حتى عصر قريب توسع فيه التعليم تحت ما سمي بالكتاتيب أو المعلمة، ثم تناول دور المعلمة ومنهجها في تعليم القرآن الكريم، ثم وصفها وصفاً دقيقاً من حيث الشكل وعدد الطلاب والمعلمين، وأعطى مثلاً بمعلمة أبها التي قامت على يد معلمين محليين، ودورها في نشر العلم منذ الجلاء العثماني من عسير 1336هـ/1917م⁽⁸⁰⁾، حتى حل التعليم النظامي الحديث في المنطقة سنة 1354هـ/1935م، وأنشئت مدرسة حكومية على أنقاض تلك المدرسة الأهلية، ثم درج إلى تطور الحركة التعليمية وارتفاع معدل العدد الطلابي والمدارس بمقابل ذلك⁽⁸¹⁾، وتحدث -كذلك- عن التعليم العالي⁽⁸²⁾، وتعليم البنات -أيضاً- كان له نصيب من هذا الفصل؛ حيث تحدث عن صعوبته وشبه انعدامه رغم انتشار الكتاتيب، مع وجود مبادرات أهلية في رجال ألمع⁽⁸³⁾ تبنتها امرأتان من رجال⁽⁸⁴⁾، وعثالف⁽⁸⁵⁾، ثم تطور بعد ذلك ليصبح من ضمن التعليم النظامي سنة 1380هـ/1960م⁽⁸⁶⁾.

اختص الفصل الرابع عن الحياة الاجتماعية في المنطقة بما فيها العادات والتقاليد السائدة في عسير والواقع المعاصر للمدينة، وتطرق للحياة الريفية في المنطقة ما بين 1336-1371هـ/1917-1951م⁽⁸⁷⁾، حيث وصف تلك الحياة بتفصيل دقيق من حيث القبيلة والأسرة والفرد، ثم عبّر عن التغير الاجتماعي الذي طرأ على الحياة الريفية، مع تغير الحقب الزمنية التي حولت المجتمع عامة من مجتمع ريفي بسيط إلى مجتمع مدني نتيجة التحول الاقتصادي وتعدد موارده من بين عامي 1371-1410هـ/1951-1990م⁽⁸⁸⁾، ثم تناول الفصل منشآت الرئاسة العامة لرعاية الشباب في منطقة عسير، كما ناقش في هذا الفصل موضوعاً تحت عنوان: «الرقصات الشعبية في عسير»⁽⁸⁹⁾، وموضوعات أخرى مختلفة النواحي تصب في الحياة الاجتماعية في المنطقة⁽⁹⁰⁾.

ويمهد هاشم النعمي في الفصل الخامس من سلسلة هذه بلادنا أبها للحياة الاقتصادية في المنطقة، فتناول بإيجاز موارد الاقتصاد الأساسية في المنطقة عبر أطوار التاريخ من الزراعة والتجارة والصناعة، وأجمل الحديث عن الزراعة والتجارة القديمة والحديثة⁽⁹¹⁾.

وأفرد الفصل السادس عن العمران في مدينة أبها وما حولها قديمة وحديثة، فتحدث عن المدينة البائدة وآثارها عن طريق زيارات ميدانية شاهدها المؤلف بنفسه، كما صوّر المعالم البارزة للمدينة، ولعل أبرز ما تناولها من تلك المعالم المساجد⁽⁹²⁾، ثم صوّب حديثه نحو العمران القديم المعمول بالطين⁽⁹³⁾، ثم المساكن الحديثة وانتشارها في السنوات الأخيرة، ثم انتقل في حديثه إلى الطرق الحديثة في المنطقة في منطقة عسير وعقبات تهامة، ثم مواضيع أخرى تنموية، ثم ختم بموجز قصير عن الدوائر الحكومية في المنطقة⁽⁹⁴⁾.

وكان الفصل السابع خاتمة فصول الكتاب؛ فجعله موجزًا عن الأماكن الأثرية في المنطقة، وهو فصل قصير جدًا لا يتجاوز وريقات من حجم الكتاب⁽⁹⁵⁾.

أما أهمية الكتاب من حيث مضمونه التاريخي والمعلومات التي دوّنها هاشم النعمي في سلسلة هذه بلادنا أبها، فهو يقدم للقارئ صورة واضحة عن العصر الذي عاش فيه المؤرخ من نواح مختلفة: جغرافية، وتاريخية، وثقافية، واقتصادية، واجتماعية، وتطور عمراني وآثار، وخاصة أنه شاهد عيان على كثير من التطورات، وله زيارات ميدانية كثيرة كوّن بسببها مادة الكتاب.

ثانياً/ المؤلفات المخطوطة:

1/ موجز إمارة عسير:

من مخطوطات هاشم النعمي، كُتب بخط المؤلف نفسه، وهو مخطوط صغير الحجم يقع في إحدى عشرة ورقة بخط النسخ، تحتوي كل ورقة عشرين سطر تقريباً تزيد وتنقص في بعضها، وقد أنهى تحريره في ربيع الآخر 1418هـ/1998م⁽⁹⁶⁾. والقارئ للمخطوط يرى أن هاشمًا النعمي كتب له عنوانين، ففي أوله كتب «وصف تاريخي عن مدينة أبها وجغرافيتها ونشأتها»⁽⁹⁷⁾، ثم في نهايته يقول: «انتهى موجز إمارة منطقة عسير»⁽⁹⁸⁾، والعنوان الثاني هو الأصح لأنه السائد، كذلك نجد أن هاشمًا النعمي يذكره في كتابه تاريخ عسير باسم موجز أمراء عسير⁽⁹⁹⁾، كذلك هو الأقرب للمادة المعروضة في المخطوط.

ويُصنف هذا المخطوط ضمن التاريخ السياسي ويدخل في باب التراجم؛ حيث حصر فيه ثمانية وعشرين أميراً ممن تعاقب على إمارة عسير، ممن جعل من مدينة أبها قاعدة له، فبدأ من عهد الأمير علي بن مجثل أول من نقل قاعدة عسير من طبب إلى قلعة المفتاحة في أبها، ومن جاء بعده حتى تاريخ تحرير المخطوط في العهد السعودي الأخير.

وهنا تكمن أهمية المخطوط في أنه صوّر بداية ظهور أبها كقاعدة لها كيانها السياسي، كما عرّف بالأمراء المحليين ممن تولى إمارة عسير ومن عقبهم من الولاة العثمانيون إبان الحكم العثماني على عسير الذي دام قرابة نصف قرن، كذلك نقل تاريخاً لأمراء عاصره في العهد السعودي.

2/ كنوز أهملها التاريخ:

مخطوط كتب بخط هاشم النعمي، كتبه باللون الأزرق والأسود بخط النسخ، متباين في أوراقه من حيث عدد الأسطر، وغلب على أكثرها عدد ما بين 21 إلى 25 سطراً، وتكونت فكرته بواسطة حركة التجوال التي كان يقوم بها في المنطقة؛ حيث شدت انتباهه الكتابات المسمارية المنحوتة على الصخور والجبال؛ فأراد أن يكون منها شبه رحلة⁽¹⁰⁰⁾، وقد تحدث عنه في رسالة بعثها للشاعر أحمد الغزاوي⁽¹⁰¹⁾ قال فيها: «هو موسوعة لا بأس بها تبحث عن آثار تاريخية من النقوش والكتابات الأثرية الموجودة على الصخور وعلى جدران الخرائب وفوق مداخل الكهوف؛ مما له أثر بعيد الشأن وعظيم الفائدة يوحي بكيونة حضارة زاهية قديمة، ويظهر مآثر أقوام كانوا فبادوا ممن سكن هذا الإقليم قبل البعثة»⁽¹⁰²⁾.

قد يكون ما جاء في الخطاب تصوراً لماهية المخطوط عن طريق الفكرة الواضحة التي كونها هاشم النعمي في مخيلته عن موضوعه والحلقات التي سيناقشها فيه؛ لأن هاشم النعمي لم يكتب من المخطوط غير 25 ورقة فقط ولم يتمه، وقد زوّده برسومات ونقوش ساعده في رسمها رجل من الجنسية السودانية⁽¹⁰³⁾ كان يعمل مساحاً في المحكمة المستعجلة⁽¹⁰⁴⁾، ولا يُعرف متى بدأ تأليفه تحديداً، ولا توجد دلائل واضحة سوى أن ذكره قد جاء بتاريخ 1389هـ/1969م، في رسالة قديمة بين الشاعر أحمد الغزاوي وهاشم النعمي⁽¹⁰⁵⁾.

اعتمد فيه هاشم النعمي ترتيباً مختلفاً نوعاً ما عن بقية ما كتب من المؤلفات، بدأه بمقدمة ثم قسمه إلى حلقات قصيرة؛ في الثلاث الحلقات الأولى تكلم بصورة شاملة عن الآثار وأهميتها عن طريق نقل حضارات الأمم السابقة، وانطلاقة موسوعته من أبها موضعاً موقعها وجغرافيتها في الوقت الحالي؛ أما الحلقة الرابعة والتي تعد المدخل الأقرب لفكرة المخطوط من الحلقات السابقة فبدأها بالحديث عن خرافات القصص من أخبار الجن والوحوش في الكهوف؛ مبدئاً عجبهم ممن يولي تلك الأساطير الاهتمام وينقلها، وبالمقابل يغفل الآثار التاريخية التي ينبغي الالتفات لها، ثم يعرض هاشم النعمي الموضوعات التي ينوي الفصل بها في حلقات مخصصة وهي أربعه موضوعات: مدينة جُرش البائدة، وهضبة العروس، وأسطورة ذي القرنين، وسوق بائدة في الجاهلية، ثم يصف الرحلة بأنها لا تتعدى مسمى النزهة في موطنه الأصلي⁽¹⁰⁶⁾، وقد استغلها في التنقيب عن آثار المنطقة وليست كرحلات المستشرقين الأمريكيين والأوروبيين أمثال فيلبي⁽¹⁰⁷⁾، ومن ثم استطرد بالحديث عن مدينة أبها وتاريخها السياسي القريب الذي لا يتجاوز مائتي عام، وعلاقتها بالحكم العثماني والإدارة في المخلاف السليمانى وأشرف مكة، وأسهب بالحديث حول أحيائها، وأشار إلى تسميتها في العهد العثماني بكشك إستانبول أي⁽¹⁰⁸⁾.

وإذا تتبعنا ترتيب الحلقات كما دونها هاشم النعمي في الحلقة الرابعة نجد أنه أسقط الحديث عن حلقة مدينة جُرش البائدة، وجعل الحلقة الخامسة فصلاً عن رحلته إلى هضبة

العروس التي رافقه فيها بكري الحميد⁽¹⁰⁹⁾؛ فتحدث عن تفاصيل الرحلة وصعوبتها، ثم عرض بعض الرسومات التي استطاع نسخها من تلك الرحلة. ثم يرى هاشم النعمي بأن أسطورة قبر ذي القرنين من الأساطير الزائفة التي افتعلها الحكم العثماني وابتنى حولها مسجداً لجعله مزاراً لشغل الناس عنها بالخرافات⁽¹¹⁰⁾، ورجح قوله عن طريق زيارة ميدانية لموقع القبر المزعوم، ثم تحدث عن وادي عتود وروافده وآثاره، ومن ثم توقف هاشم النعمي عن كتابة المخطوط ولم يتم الحلقة التي تتحدث عن السوق البائدة التي كانت تقام في العصر الجاهلي، والتي أخبر عنها في الحلقة الرابعة من نفس المخطوط.

وتكمن أهمية المخطوط في كونه يصوّب النظر حول الآثار القديمة في عصور ما قبل التاريخ وما قبل الإسلام من النقوش والكتابات المسمارية؛ مما يدل على الحضارة الكائنة في الإقليم منذ سنوات بائدة بقيت آثارها.

3/ عسير بين الجغرافيا والتاريخ:

من مخطوطات هاشم النعمي وقد جاء ذكره في مواضع متفرقة من مؤلفات من ترجم له ولقاءاته⁽¹¹¹⁾، كما يلمح عن مادة علمية ضخمة أحال إليها في أكثر من موضع عن طريق كتابه سلسلة هذه بلادنا أبها حيث بلغت 11 مره⁽¹¹²⁾، والمخطوط كتب بخط النسخ باللون الأزرق، تحتل كل ورقة 27 سطراً، ذكر في لقاءه ضمن برنامج «التاريخ الشفهي للمملكة» الذي أجراه مع مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض بتاريخ 1427/1/23هـ - 2006/2/22م، أسباب تأليفه لهذا المخطوط بقوله: «أنه رأى أناس يتطفلون على جغرافية المنطقة»⁽¹¹³⁾؛ فحاول الكتابة في هذا الموضوع⁽¹¹⁴⁾.

كتب مقدمه المخطوط في ثمان ورقات. إلا أن هناك ارتباك في مادته، ويظهر ذلك في المقدمة حيث قال: «بالإمكان تقسيم بحثي في هذا الصدد إلى أربعة أبواب»⁽¹¹⁵⁾، وفي حديثه عن الأبواب ومادتها يشير إلى خمسة أبواب تختص في مجملها بمدينة جُرش، وكتب هاشم النعمي من أبواب المخطوط الباب الأول فقط بعنوان «جُرش عند ظهور الإسلام»⁽¹¹⁶⁾ في 86 ورقة، يحتوي ثلاثة فصول حول جغرافية الإقليم⁽¹¹⁷⁾، وأحواله الاجتماعية⁽¹¹⁸⁾، وقبائله⁽¹¹⁹⁾، ولم يتم كتابة بقية أبواب المخطوط التي أشار إليها في مقدمته، والتي تتناول اتصال الإسلام بإقليم جُرش، واستقرار أهالي جُرش في الحواضر الإسلامية ودورهم في بناء الحضارة الإسلامية، ثم الحالة السياسية في الإقليم وأخيراً الآثار في إقليم جُرش⁽¹²⁰⁾، وبذلك لا تتضح معالم مادة هذا المخطوط.

4/ التيسير في أنساب قبائل منطقة عسير:

مخطوط ينسب لهاشم النعمي، جاء ذكره كثيراً في مؤلفاته⁽¹²¹⁾، وبعض المؤلفات الأخرى ممن ترجم له⁽¹²²⁾، إلا أنه قد تعذر الوصول لهذا المخطوط لكتابة أي معلومات حقيقية عنه.

5/ المعجم الجغرافي:

أسندت كتابة المعجم الجغرافي في بداية الأمر للأستاذ عبدالله الحميد⁽¹²³⁾ الذي توفي قبل أن يتمه سنة 1398هـ/1979م، فتحول الاهتمام بشأنه إلى هاشم النعمي وأيده في ذلك المؤرخ حمد الجاسر⁽¹²⁴⁾، وقد صدر من أمانة منطقة عسير أمراً بتسهيل حركته سنة 1407هـ/1987م، وذلك لاستكمال كتابة الجوانب المهمة من هذا الكتاب⁽¹²⁵⁾، ويمكن القول بأن سنة 1407هـ/1987م، كانت الفترة الزمنية الأقرب لبداية هاشم النعمي في جمع مادة المعجم، بناء على خطاب الأمانة.

كُتبت مقدمته بخط النسخ باللون الأزرق، وخُتم عليها بالختم الخاص بمكتبة هاشم النعمي، على خمسة أوراق منعزلة عن متن المعجم الذي بلغ عدد أوراقه 58 ورقة، وكانت الرغبة في تأليفه للمعجم تأتي كما ذكرها في مقدمته نواة أولى لمعجم جغرافي حديث يحتوي على مسميات وأمكنة المدن القديمة المنتشرة في المنطقة، وذلك إسهاماً منه في إبراز الناحية الجغرافية والثقافية التي لا تزال غائبة عن المواطن، واستكمالاً لما تبناه الأستاذ حمد الجاسر من المعجم الجغرافي الشامل للبلاد السعودية، والذي شارك فيه عدد من المؤلفين⁽¹²⁶⁾، ثم أشار للمنهج الذي اتبعه في المعجم من ضبط المسميات بحسب نطق أصحابها؛ حتى تتضح الصورة الصحيحة، وتحديد المواقع، والمسافات بالكيلومتر بحسب قربها وبعدها عن مدينته أبها⁽¹²⁷⁾، وهنا تكمن أهمية المعجم الجغرافي لمنطقة عسير، كما أشار للمشاكل التي واجهته حيال جمعه لمادة المعجم كصعوبة التجول في المنطقة لكثرة جبالها وأوديتها⁽¹²⁸⁾.

وقد رتب هاشم النعمي مادة مؤلفه على حروف المعجم ليسهل الوصول للمعلومات المدونة فيه، ولكن يظهر أنه لم يتمه، أو ربما كانت مادته مفقودة، وذلك لأن المتوفر منها يغطي 88 قرية فقط، متفرقة بين 21 حرف من حروف المعجم تحتل أغلبها ما بين القرية الواحدة إلى ثمان قرى تقريباً، ما عدا حرف الميم بلغ 15 قرية، وليس من المعقول أبداً أن تكون القرى التابعة لمنطقة عسير بهذا العدد القليل! تجدر الإشارة إلى أن هناك أكثر من 4000 قرية في منطقة عسير⁽¹²⁹⁾.

6/ رحلة بين أبها والطائف:

وهي أرجوزة شعرية عرفت باسم رحلة بين أبها والطائف⁽¹³⁰⁾ إلا أن المخطوط حمل عنواناً مختلف جزئياً عما عرف به، وهو من ذكريات الماضي رحلة بين أبها والطائف عام 1358هـ⁽¹³¹⁾، حيث كانت الرحلة في ذلك التاريخ، أما الأرجوزة فكتبت في وقت متأخر، وهذا يتضح من العنوان حيث قال: من ذكريات الماضي، وهي أرجوزة صغيرة في حجمها تقع في ست ورقات كتب منها 69 بيتاً إلا أنه لم يتمها حيث وقف عند بارق، وأول أبياتها قال فيه:

وتشبه في نظمها طريقة المنظومات العلمية كنظم متن البيقونية عند أهل الحديث⁽¹³³⁾، نُقلت بخط ابن المؤلف كتبها بخط النسخ، واستخدم لونين في كتابتها حيث نقل 41 بيتاً منها باللون الأسود، ثم أتم البقية من الأبيات باللون الأزرق، ويبلغ عددها 28 بيتاً، وتختلف عدد الأبيات من ورقة إلى أخرى إلا أنها لا تزيد عن أربعة عشر بيتاً في الورقة الواحدة.

وقد نظمها وصفاً لرحلته سنة 1358هـ/1939م من أبها المنتهية -كما في عنوانها- إلى الطائف⁽¹³⁴⁾، وهي أقرب إلى وصف المكان الجغرافي الذي حل فيه وارتحل منه أكثر من كونها في وصف الرحلة وأحداثها، ومن هنا تكمن أهمية المخطوط في أنه كَوّن صوراً جغرافية لطبيعة المنطقة عن طريق وصف الجبال وألوانها⁽¹³⁵⁾ إلى غير ذلك. ولم يكن هاشم النعمي وحيداً هذه الرحلة؛ بل رافقه فيها مجموعة من الرجال لم يذكر عددهم أو أسماءهم؛ إنما أشار إلى خبرتهم⁽¹³⁶⁾، وأكثر الثناء على صلاحهم في أبيات متفرقة من الأرجوزة⁽¹³⁷⁾، وكانت الرحلة سيراً على الأقدام، ويتضح ذلك في بعض ألفاظ الأرجوزة «استؤنف السير»⁽¹³⁸⁾، وقوله: «خطوة وخطوة وتسلقنا»⁽¹³⁹⁾، وفي وصفه لحرارة الشمس دلالة على أن الرحلة في فصل الصيف⁽¹⁴⁰⁾.

جعل الأيام هي بداية الوصف حيث بدأت رحلته من يوم السبت، ودامت الرحلة أكثر من أسبوع؛ ففي وصفه عرض للأيام كاملة، ووقف عند السبت الذي يليه ولم يتم تضم الأرجوزة، ولا أعلم كم سبتاً مرّ عليه في هذه الرحلة، وفي هذا الوصف الدقيق ذكر هاشم النعمي المحطات التي وقف عندها ما بين قرية ووادٍ وجبل ومنزل نزل به، وبعض القبائل والأسواق الدورية التي مر بها⁽¹⁴¹⁾.

ولما كانت منطقة عسير هي همزة الوصل بين مؤلفات هاشم النعمي -وإن اختلفت أغراض الكتابة وتنوعت- فإنها تقدم بالضرورة إشارات يمكن بواسطتها فهم المجتمع العسيري ودراسة أحواله وعاداته، كذلك دلالة على الطبقات الاجتماعية؛ سواء من الأسر المحلية التي تعاقبت على إمارة عسير من المتاحمة وآل عائض، أو الأسر العلمية حيث قدمت صورة واضحة عن معازل العلم في عسير؛ حيث توافد طلاب العلم والأسر المتصدرة في ذلك أمثال آل الحفظي في رجال ألمع.

وبذلك شكلت خلفية جيدة كانت دلالة على جوانب الحركة الفكرية وتطورها في منطقة عسير أثناء فترة زمنية ركز عليها هاشم النعمي وقلما تجاوزها في مؤلفاته وكتابات، وهي ما بين 1215-1415هـ/1800-1995م، مرت المنطقة فيها بعدة مراحل انتقالية على كافة الأصعدة والتي لها دورها في التأثير على الإنسان وتكوينه من الناحيتين الإيجابية والسلبية على حد سواء. وعلى كل حال لا تُعدُّ مؤلفات هاشم النعمي جديدة على صور الكتابة التاريخية وأنماطها في

عصره؛ إنما ميزها الاختصاص والسبق في مجالها بالنسبة للكتّاب المحليين والمعاصرين.

التغطية الزمانية والمكانية:

يُغطي هاشم النعمي في كتاباته التاريخية حقبة زمنية طويلة نسبياً، والتي شكلت قرنين من التاريخ الحديث والمعاصر؛ حيث تبتدئ من نصف العقد الثاني من القرن الثالث عشر، وتمتد حتى عصره ليقف في نصف العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري، الموافق للتاسع عشر والعشرين الميلادي، وقد ركز على هذه الحقبة الزمنية المحددة في أغلب كتاباته، وعلى مختلف الاتجاهات التاريخية التي عني بالكتابة عنها في باب التراجم والتاريخ العام على حد سواء، ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح عن طريق تتبع سياق الأحداث التاريخية كما في كتاب تاريخ عسير، أو عندما يحدد هذه الفترة في عنوان الكتاب كما في شذا العبير بقوله: «في الفترة ما بين 1215 إلى 1415هـ»، بينما هناك بعض الكتابات التاريخية اقتصرَت على مدينة أبها فقط-، منذ ظهورها في الحدث التاريخي حتى الفترة الزمنية التي توقف فيها هاشم النعمي عن كتابتها؛ مثل: كتاب سلسلة هذه بلادنا أبها.

وعُرفت العقود الأولى من تلك السنوات أنها أكثر فترة زمنية اتسمت بالغموض والعتمة والتكتم أحياناً؛ لكثرة المتغيرات السياسية والصراعات التي خاضتها منطقة عسير من أجل نشر الدعوة الإصلاحية في بداية الأمر، ثم مقاومة القوة العثمانية الأجنبية التي اجتاحتها، وسرعة انتقال الإمارات؛ حيث شهدت قوى سياسية محلية متباينة من آل المتحمي ثم آل عائض، ثم إلى الحكم العثماني بعد ذلك، ويقع كل ذلك خلال زمن ليس بالبعيد عن بعضه؛ مما أثر استقرار المكان الذي دارت فيه الأحداث التاريخية، ومع ذلك يحاول هاشم النعمي أن يكون شمولياً من حيث الزمن -انظر الجدول رقم(1)-.

فيشير في كتاباته المتفرقة لأحداث تعود لفترة زمنية قديمة لم يحدد تاريخها بدقة، ويتضح عند تتبعها أنها تعود إلى قبل الإسلام، وقبل الميلاد أحياناً في دراسة الآثار، وذلك بحديثه عن قبر ذي القرنين المزعوم وجوده في مدينة أبها⁽¹⁴²⁾ مستنداً في حديثه على ما رواه الهمداني⁽¹⁴³⁾ في صفة جزيرة العرب⁽¹⁴⁴⁾؛ والتي تعود قصته إلى ما قبل الميلاد بقرون⁽¹⁴⁵⁾، وقد جاء ذكر مماثل لهذه الأسطورة التاريخية في بعض مصادر عسير في التاريخ الحديث⁽¹⁴⁶⁾.

كذلك يشير لحدث تاريخي مهم جداً يعود لصدر الإسلام عندما تناول حديثاً عن وفد جُرش وانتشار الإسلام في جنوب شبه الجزيرة العربية على يد الصحابي صرد الأزدي رضي الله عنه⁽¹⁴⁷⁾، في السنة العاشرة للهجرة⁽¹⁴⁸⁾ 10-هـ/631م-، نقلاً عن ابن هشام⁽¹⁴⁹⁾، ولعله وقع في السهو أثناء النقل؛ لأن ابن هشام أشار لقدوم هذا الوفد إلى رسول الله ﷺ عند ذكره لحوادث السنة التاسعة، وهو العام المعروف بعام الوفود⁽¹⁵⁰⁾، ويتفق هاشم النعمي مع بعض المصادر التاريخية الأخرى بتأريخ قدوم وفد جُرش في السنة العاشرة⁽¹⁵¹⁾.

ثم تنقطع الكتابة التاريخية عند هاشم النعمي إلى ما يقارب عشرة قرون يكتفي بالإشارة السطحية بدون الخوض بأي تفاصيل⁽¹⁵²⁾، ولا يؤخذ عليه في ذلك؛ حيث كانت هذه الفترة بالتحديد تتسم بالغموض في أغلب المصادر التاريخية، حتى أتت الفترة الزمنية التي شاعت فيها الدعوة الإصلاحية في نجد، ثم رحلة الأمير محمد بن عامر أبو نقطة إلى الدرعية، ومن هذه الفترة تبدأ الكتابة التاريخية الحقيقية والمحددة بالزمن المعلوم عند هاشم النعمي، وأما ما سبق الإشارة إليه من قصص التاريخ القديم فهو لا يتجاوز محاولات لإكساب كتاباته التاريخية صفة الشمولية.

بدأت الفترة الزمنية المحددة ما بين 1215-1415هـ/1800-1995م، عند هاشم النعمي بإمارة آل المتحمي التي استمرت أكثر من عشر أعوام -انظر الجدول رقم(1)-، وإذا ما قُسمت هذه الفترة الزمنية على أربعة أمراء فإن أولهم الأمير محمد بن عامر أبونقطة، وامتدت فترة إمارته عامين من 1215-1217هـ/ 1800-1802م، عالج هاشم النعمي هذه الفترة التي قضاها الأمير المتحمي من الجانبين الديني والسياسي، وناقش من خلال ذلك أمرين:

أولاً: تبني الأمير المتحمي لمبادئ الدعوة الإصلاحية قناعة منه أولاً، ومن ثم كان انعكاسها عن طريقه واضحاً على واقع المنطقة العسيرية، ومن نافلة القول هنا: لم تكن قناعة الأمير محمد بن عامر بمبادئ الدعوة الإصلاحية ناتجة عن التعاون السياسي بينه وبين الحكومة المركزية في الدرعية؛ بل كانت قناعته بها من قبل ذلك بكثير؛ حيث يشير المؤرخ اليمني لطف الله جحاف⁽¹⁵³⁾ بأن الأمير المتحمي كان يقيم دروساً علمية في صباح كل يوم، ويفد إليه العلماء وبعض القبائل وأهل الأعمال للجلوس في مجالسه العلمية والاستفادة منها⁽¹⁵⁴⁾، ومن الباحثين من يشير إلى موقع هذه الدروس بأنه مسجد ططب حالياً، وأن المسجد في الأصل أقيم على أنقاضه، ورُمم على يد الإمام عبدالعزيز بن سعود في سنة 1221هـ/1806م⁽¹⁵⁵⁾.

ثانياً: رحلة الأمير محمد بن عامر إلى الدرعية، وإقامة اتفاق سياسي بين الطرفين ينص على مساهمة الأمير المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى عسير وما جاورها، وبالمقابل تثبيت إمارة آل المتحمي على منطقة عسير تابعة للحكومة المركزية في نجد.

ناقش هاشم النعمي هذه الفترة الزمنية على عجالة واضحة متخطياً بها الحديث عن أساليب الأمير محمد بن عامر في نشر مبادئ الدعوة الإصلاحية غير الأسلوب العسكري - وهو على أغلب الأحوال الجانب الذي ركز عليه هاشم النعمي- وقد أشار إليها بعض المؤرخين ممن تخصصت كتاباتهم التاريخية بدراسة تلك الفترة الزمنية⁽¹⁵⁶⁾، والتي انطوت-وبلا شك- عن نتائج أقل ما يمكن وصفها بأنها انتقالية أسهمت بطريقة أو بأخرى في تحويل واقع عسير، ولعل أهمها تحقيق نتائج رحلة الأمير المتحمي للدرعية من الناحيتين الدينية والسياسية.

يناقش هاشم النعمي فترة ثاني الأمراء المتاحمة الأمير عبدالوهاب أبو نقطة؛ والتي استمرت

سبع سنوات من 1217-1224هـ/1802-1809م، وهي فترة زمنية غزيرة في أحداثها التاريخية والتي أشار إليها هاشم النعمي مقتصرًا على الجانب السياسي والعسكري فقط؛ متحيزًا في السرد التاريخي لأحداث المخلاف السليماني، والملاحظ هنا أن هاشم النعمي يعتني كثيرًا بالأمير حمود أبو مسمار والوزير الحسن الحازمي⁽¹⁵⁷⁾ وبأخبار وأحداث إمارتهما، كما أنه يشير لعلاقة الأمير عبدالوهاب بالحجاز بسطحية، كما أن ثمة علاقة بين الأمير عبدالوهاب ونجران بهدف نشر الدعوة الإصلاحية هناك بدعم من أئمة الدرعية⁽¹⁵⁸⁾، إلا أن هاشم النعمي لم يُشير لذلك.

ثم عهد الأمير طامي بن شعيب 1224-1230هـ/1809-1815م، وقد تزامن مع هذه الفترة بداية وصول حملات محمد علي باشا برًا وبحرًا لشبه الجزيرة العربية⁽¹⁵⁹⁾، وذلك بغية إنهاء الحكم السعودي الذي عم أرجاء واسعة من مساحتها؛ فكان استطراد هاشم النعمي كثيرًا عند عرضه للأحداث خارج الفترة التاريخية المحددة ذكر عن طريقه الخلفية التاريخية للتاريخ المصري؛ متخطيًا بذلك الحيز الزمني الذي رسمه لمادته التاريخية⁽¹⁶⁰⁾؛ مما أضعف السرد التاريخي فيما يخص المقاومة العسيرة للوجود المصري العثماني في الحجاز.

وانتهت الفترة الزمنية لإمارة آل المتحمي عند هاشم النعمي بأسر الأمير محمد المتحمي 1233هـ/1818م، والذي بدأت إمارته كما يعالجها هاشم النعمي بحدث مهم جدًا، وهو الثورة على الحامية العثمانية في طيب التي تركها محمد علي في عسير، والقضاء عليها بالكامل، وثبتت عن طريقها إمارته على عسير بعد الأمير السابق طامي بن شعيب، ويرجح هاشم النعمي بأن هذه الفترة تعد أول إمارة مستقلة لا تستمد سلطانها من الدرعية، إلا أن من الباحثين من يرى خلاف ذلك⁽¹⁶¹⁾، ويقف في الحديث عنه بأسره وإرساله إلى مصر، وبذلك انتهت الفترة الزمنية المعروفة في تاريخ عسير بإمارة آل المتحمي، ومما يجب ذكره أن ثمة فترة زمنية أعقبت إمارة آل المتحمي من 1233-1238هـ/1818-1820م، شكلت فترة غموض سياسي في منطقة عسير، يعيد هاشم النعمي إماراتها لقراءة سنة وثمانية أشهر للأمير الحسن الحازمي محاولاً إثبات ذلك⁽¹⁶²⁾، والواقع أن الأمر فيه نظر، للخلاف في حقيقة إمارته ابتداءً، ثم في تاريخ وفاته⁽¹⁶³⁾، ومن ثم يسكت هاشم النعمي عن إسناد هذه الفترة الزمنية لأي جهة عسيرة، وذلك لاستتباب الأمر للحكم المصري العثماني-انظر الجدول رقم(1)-، مع وجود مقاومة عسيرة.

ويغطي هاشم النعمي أغلب الفترات الزمنية التي عالجتها موضوعات الكتاب بين الاختصار والاستطراد الزمني إذا دعت الحاجة لذلك، كما أنه يشير إلى أغلب الأحداث؛ لكن الخلل يكمن في أولويات السرد التاريخي؛ فهو في إمارة الأمير سعيد بن مسلط، وهي فترة الاستقلال كما يسميها بعض المؤرخين⁽¹⁶⁴⁾ تكلم عن حركات المقاومة التي قام بها الأمير ضد الأشراف بإيجاز، وعلى أن هذه الفترة الزمنية التي استمرت كما أشار هاشم النعمي إلى ثلاث سنوات وتسعة أشهر 1238-1242هـ/1823-1827م⁽¹⁶⁵⁾، وقد نتج عنها أحداث أضعفت ميزان القوة الشريفة السياسية في

عسير؛ إلا أن هاشم النعمي لا يراها إلا مرحلة انتقالية، نقلت الإمارة من أيدي أمراء آل المتحمي إلى الأمير علي بن مجثل 1242-1249هـ/1826-1834م⁽¹⁶⁶⁾ -انظر الجدول رقم(1)-، ويشير أحد الباحثين أن الأمير سعيد بن مسلط تسنم إمارة عسير سنة 1235هـ/1820م⁽¹⁶⁷⁾، والأقرب ما أشارت إليه المصادر المعاصرة لتلك الفترة أنه تأمر على عسير سنة 1237هـ/1822م⁽¹⁶⁸⁾، وربما كانت شهرة الأمير سعيد بن مسلط قبل تلك الفترة نتيجة تزعمه لحركات المقاومة العسيرية ضد الحكم العثماني المصري، والأشراف، وليس إمارة حقيقة على عسير.

أما الفترة الزمنية الموسومة بإمارة آل عائض فهي أطول فترة لإمارات عسير المحلية نسبيًا مقارنة بغيرها حيث استمرت من 1249-1289هـ/1834-1873م -انظر الجدول رقم(1)-، والمتتبع للأحداث التاريخية لهذه الفترة يرى أن ثمة علاقة سياسية جمعت أمراء آل عائض بنجد، وتشير إليها بعض الكتب والدراسات التاريخية⁽¹⁶⁹⁾، وبالمقابل يغفل هاشم النعمي عن الإشارة إليها بتاتًا، ويعطي هاشم النعمي هذه الفترة الزمنية مساحة جيدة في ذكر جانب المقاومة العسيرية للوجود العثماني، أيضًا في عرض الأحداث ذات العلاقة بجانب المخلاف السليماني، وهنا تحيز واضح لفئة معينه في العرض التاريخي.

ويشير هاشم النعمي في تلك الفترة الزمنية إلى ثورة رجال ألمع ضد الأمير محمد بن عائض، وينسبه إلى عام 1258هـ/1842م⁽¹⁷⁰⁾، ولعله خطأ مطبعي، أو سهوًا وقع أثناء النقل؛ لأنه في هذا التاريخ لم يكن الأمير محمد بن عائض أميرًا على عسير؛ بل كانت فترة إمارة والده الأمير عائض بن مرعي، ويأتي في أحد المصادر بأن قيام هذه الثورة كان في سنة 1284هـ/1863م⁽¹⁷¹⁾، والأقرب أن قيامها كان سنة 1282هـ/1865م، كما أشارت الروايات المعاصرة لها⁽¹⁷²⁾.

ولعل أهم حدث تاريخي تزامن مع نهاية هذه الفترة هو حملة رديف باشا* سنة 1288هـ/1872م⁽¹⁷³⁾، التي يغطيها هاشم النعمي من دخول الحملة إلى عسير حتى عزله عن إمارتها لسوء معاملته⁽¹⁷⁴⁾، وتختلف بعض المراجع في نهاية رديف باشا عما أورده هاشم النعمي في كتابه؛ إذ ترجح أنه طعن من قبل سعيد بن عائض⁽¹⁷⁵⁾ أخ للأمير محمد بن عائض فضل متأثرًا بجراحه حتى مات في الشقيق*⁽¹⁷⁶⁾ قبل أن ينقل إلى تركيا⁽¹⁷⁷⁾.

ثم استمر من بعده الحكم العثماني في عسير لفترة زمنية تجاوزت خمسين عامًا، يغطيها هاشم النعمي بين الإيجاز والاستطراد أحيانًا، وذلك بتتبع الولاة العثمانيون والحديث عنهم في أسطر قليلة، حتى قيام ثورة الإدريسي 1326هـ/1908م⁽¹⁷⁸⁾، وإمارة آل عائض الثانية بعد الجلاء العثماني 1337-1338هـ/1918-1919م، وتسلمها للأمير حسن بن عائض⁽¹⁷⁹⁾، وما ترتب عليها من وقائع حتى طلائع جيوش الملك عبدالعزيز.

أما بداية دخول عسير تحت طاعة الملك عبدالعزيز فهي سنة 1338هـ/1919م -انظر الجدول رقم(1)-، وهو العام الذي وصلت فيه جيوش الملك عبدالعزيز إلى عسير⁽¹⁸⁰⁾، ويجنح هاشم

النعمي في تغطيته لهذه الفترة الزمنية للاختصار دون الخوض في أي تفاصيل، كما في موقعة حُجلا⁽¹⁸¹⁾، وطي بعض الأحداث المهمة كتفاصيل علاقة الملك عبد العزيز باليمن في عهد الإمام يحيى حميد الدين⁽¹⁸²⁾؛ والتي تزامنت فعلياً مع نفس الفترة الزمنية التي عمد هاشم النعمي على تغطيتها تاريخياً، كما يتناول هاشم النعمي موضوع الحرب التي وقعت بين الطرفين سنة 1352هـ/1934م⁽¹⁸³⁾، وجاء بالذكر لبعض المفاوضات ولكن على عجلة تاريخية؛ فلم يُوفَّها حقها من البحث التاريخي من حيث التوضيح لأسبابها، وأهم أحداثها، وما انطوت عليه من نتائج؛ مثل: مفاوضات أبها سنة 1352هـ/1934م⁽¹⁸⁴⁾.

وعند النظرة العامة في قراءة هاشم النعمي للفترات الزمنية السابقة نجد أنه في الفترة الزمنية الأخيرة ما بين 1340-1415هـ/1921-1996م - والتي واكبت العهد السعودي الحديث- يجنح بوضوح في اتجاهاته في الكتابة التاريخية عن الجانب السياسي والعسكري، لعقد المعاهدات والاتفاقيات التي لجأ إليها الملك عبدالعزيز من أجل التسوية بينه وبين الإمام الحسن الإدريسي وحقق الدماء، وعلى رأسها معاهدة مكة 1345هـ/1926م؛ والتي بموجبها أدخلت الأدارسة تحت حماية الملك عبدالعزيز⁽¹⁸⁵⁾. ومما يحسن ذكره هنا بأن هاشم النعمي يأتي بذكر تفاصيل هذه المعاهدة وكافة بنودها، كما تجدر الإشارة إلى أنه يكتفي بالتمليح في كلمات بسيطة لانقلاب الإدريسي على الوجود السعودي في جيزان⁽¹⁸⁶⁾؛ والذي يعرف في التاريخ بثورة الأدارسة التي نقض بها الحسن الإدريسي بنود معاهدة مكة، وانضم لإمام اليمن يحيى حميد الدين⁽¹⁸⁷⁾.

كذلك يجنح للجانب الإداري والتنموي وخاصة خلال الفترة ما بعد توحيد المملكة العربية السعودية 1351هـ/1932م، ولا خلاف في أن ذلك يأتي نتيجة الاستقرار الذي حل بالمنطقة، واستتباب أمنها بعد توحيد المملكة العربية السعودية على يد المؤسس، ومن ثم الدور الذي قام به مجموعة الأمراء الذين تولوا إمارة عسير لفترات زمنية متفاوتة طال بضعها وقصر الآخر؛ فاتجهت المنطقة قاطبة للنظر في الشؤون الإدارية والتنموية.

وعند النظرة الفاحصة للفترة الزمنية التي ركزت عليها كتابات هاشم النعمي من حيث دراسة الحدث التاريخي السياسي فإن التقسيم الزمني للأحداث قائم على دراسة الإمارات المحلية التي توالى على حكم عسير؛ سواء كانت تابعة للقوة المركزية في نجد، أو كانت حكومات مستقلة قامت نتيجة التصدع الجغرافي الكبير الذي حل بمنطقة عسير، والدولة السعودية الأولى عامة، نتيجة انهيارها على يد العثمانيين 1233هـ/1818م⁽¹⁸⁸⁾، وما مر بالمنطقة من أحداث حتى دخولها في تبعية الملك عبدالعزيز.

وفي باب التراجم -أيضاً- لم يلتزم هاشم النعمي هذه فترة المحددة حرفياً كما دونها في عنوان كتابه شذا العبير، بل يسبقها أحياناً، ويقدم تراجم طفيفة لشخصيات عاشت في القرن الثاني عشر الهجري الموافق الثامن عشر الميلادي⁽¹⁸⁹⁾ -انظر الجدول رقم(2)-، ولم يستدرك

ذلك أو يقدم له أي مبررات، ربما يعود لقلة عددهم فلم يرَ هاشم النعمي ضرورة للإشارة لذلك في عنوان الكتاب أو حتى مقدمته، وما برزوا فيه من العلم؛ فكان لهم الفضل على منطقة عسير وأبنائها، وارتباطهم الوثيق بها؛ فمن هنا كانت الحاجة لإيراد مثل هذه التراجم.

وبالمقابل لم يترجم هاشم النعمي لأي شخصية تنتمي من حيث الميلاد للقرن الخامس عشر الهجري الموافق للحادي والعشرين الميلادي، مع أن الفترة الزمنية المحددة عنده يدخل بها عقد ونصف من هذا القرن، ولا غرابة في ذلك لحدثة السن، والذي بالتأكيد لن تتجاوز أعمارهم خمسة عشر عامًا، فبذلك لا تنطبق عليهم شرط هاشم النعمي الذي حدده في عنوان الكتاب «من علماء وأدباء و مثقفي منطقة عسير».

وعند مقارنة أعداد التراجم حسب الفترات الزمنية يلفت الانتباه عدد من ترجم لهم في القرن الثاني عشر الهجري الموافق للثامن عشر الميلادي لا يتجاوز 8 شخصيات، وهو عدد قليل جدًا بالنسبة لأعداد التراجم في القرن الذي يليه، والتي تضاعفت تضاعفًا ملحوظًا، وربما يعود ذلك لأن القرن الثاني عشر لا يدخل ضمن الفترة الزمنية المحددة ما بين 1215-1415هـ/1800-1995م، إنما أورد هاشم النعمي هذه التراجم لأهميتها بالنسبة لمنطقة عسير؛ بينما بلغ عدد تراجم القرن الثالث عشر الهجري الموافق للتاسع عشر الميلادي 25 ترجمة، كما يلاحظ أن العدد تضاعف مقارنة بالقرن الثاني عشر إلا أنه لا يزال عددًا قليلًا جدًا أمام أعداد تراجم القرن الرابع عشر الهجري الموافق للعشرين الميلادي؛ والتي تزايدت بوضوح لتبلغ 113 ترجمة، وهنا تضاعفت أعداد التراجم إلى ما يتجاوز الأربع مرات-انظر الجدول رقم(2)-.

ويعود هذا التباين وكثره أعداد تراجم القرن الرابع عشر مقارنة بالقرنين الثاني والثالث عشر إلى المعاصرة؛ فهاشم النعمي بطبيعة عمله في القضاء تنقل في مدن وقرى متعددة استقر في بعضها فترة عمله، وبالمقابل يلتقي بعدد كبير من أعلام المنطقة؛ فأتاح له ذلك الحصول على معلومات عن تلك الشخصيات البارزة فيترجم لها، أو يطلب منها إرسال سيرتها الذاتية، وذلك حسب منهجه في جمع مادة التراجم، فبذلك اجتمعت لديه أعداد أكبر من تراجم معاصريه، فاضت بأربع أضعاف عن أعداد تراجم القرون التي قبلها، كما أن هاشم النعمي ترجم لشخصيات مجهولة الميلاد، ومن سياق الترجمة يتضح قدم الفترة الزمنية التي عاشت فيها؛ لكن من الصعوبة بمكان تحديد القرن الذي ولد به المترجم له⁽¹⁹⁰⁾.

أما التغطية المكانية فإن هاشم النعمي في مستهل مؤلفاته يبدأ بالحديث عن جغرافية منطقة عسير؛ ففي كتابه تاريخ عسير على سبيل المثال يبدأ بتغطية القرى والأودية والجبال التابعة لعسير -انظر الجدول رقم(3)-.

فيغطي ثمان قرى -فقط- بعناوين رئيسة ربما هي الأشهر والأكبر من حيث المساحة يبدأها بأبها⁽¹⁹¹⁾، وينتهي بتثليث⁽¹⁹²⁾، والملاحظ -هنا- أن هاشم النعمي عند ذكره للقرى المهمة يذكر

فترة تأسيسها، وإلى من يعود ذلك، وبالمقابل يغفل عن ذكر قريتي طبب والسقا بتناً مع تلك المجموعة من القرى المهمة في نظره، مع أنه يشير إلى أنها كانت حواضر لبعض الأمراء لفترات زمنية معينة⁽¹⁹³⁾، ثم يذكر تسعة أودية رئيسة ويشير فيها لكثير من القرى التابعة لها، ولا يكتفي بها -فقط-؛ بل يتجاوز ذلك إلى تعداد روافدها⁽¹⁹⁴⁾، ثم الجبال فيذكر سبعة منها مبيناً مواقعها وجغرافيتها⁽¹⁹⁵⁾.

ولا يغفل هاشم النعمي عن القبائل؛ فيذكر قبائل عسير السراة الأربع، وقبائل تهامة عسير، وكذلك قبائل قحطان، والقبائل الأخرى التابعة لها⁽¹⁹⁶⁾-انظر الجدول رقم (4)-.

ومما يدرج تحت مسمى التغطية المكانية ما يوضحه هاشم النعمي من المراكز ومناطق الإمارة في مختلف الحقب التاريخية خلال الفترة الزمنية المحددة، وانتقالها من قرية طبب حاضرة إمارة آل المتحمي إلى قرية السقا في فترة إمارة الأمير سعيد بن مسلط سنة 1237هـ/1821م، وأخيراً إلى مدينة أبها على يد الأمير علي بن مجثل أحد أمراء عسير في سنة 1242هـ/1826م⁽¹⁹⁷⁾، ومن ثم استمرارها حتى الوقت الحالي-انظر الجدول رقم (5)-.

وفي سياق الحديث عن التغطية المكانية يركز هاشم النعمي في مادته التاريخية جغرافياً على منطقة عسير وما جاورها، وما يتعلق بها من الأحداث التاريخية؛ ولكن لما كانت نظرتة للمكان المقيّد بمنطقة عسير نظرة شمولية فإنه كان كثير الخروج على ما قيد به نفسه من المكان عمداً إذا اضطر لذلك، بقصد إعطاء نظرة أكثر وضوحاً يكتمل عن طريقها الحدث التاريخي بصورة مترابطة متسلسلة العناصر، فكان يعتمد إلى الربط بين معطيات الخبر الواحد لتتضح فكرته أمام القارئ وإن تفرقت عناصره؛ متخطياً بذلك الحيز المكاني الذي رسمه لمادته التاريخية، وهو مدرك لذلك ويشير إليه في بعض الأحيان.

فمثلاً عندما أراد هاشم النعمي أن يكتب عن الوجود العثماني في عسير كحدث تاريخي مرتبط بالمكان استطراد ليوضح أسباب الوجود العثماني؟، ومن أين أتى؟ وكيف وصل لعسير؟ واستدرك ذلك بقوله: «ليس من شأن مؤلفي هذا التبسيط ذكر حوادث ما خرج عن نطاق عسير إلا فيما يدعو إليه السياق»⁽¹⁹⁸⁾، وهذا تفسير منطقي للاستطراد الذي أخرج هاشم النعمي عن النطاق المكاني لمنطقة عسير ليوضح للقارئ خط سير تلك الحملات المصرية الموجهة من قبل الدولة العثمانية لإسقاط الدولة السعودية الأولى 1226هـ/1811م⁽¹⁹⁹⁾ التي مرت بأماكن أخرى غير عسير ومتباعدة عنها مقارنة بمساحة الدولة، ولا يخفى أن هناك مبالغة أحياناً بالخروج عن المألوف في تجاوز الحيز المكاني قبل الخوض في أحداث الخبر التاريخي؛ فتجد أن هاشم النعمي يتحدث عن تقلص الحكم العثماني في مصر وثورة محمد علي باشا وموقف أهل مصر والممالك القديمة⁽²⁰⁰⁾.

والمقصود عند هاشم النعمي بنظرة عامة تغطية الأحداث التي لها علاقة مباشرة بمنطقة

عسير، وإن استدعى ذلك الخروج عن هذا النطاق؛ فإن هاشم النعمي لا يتوانى عن ذلك إن كان من شأنه توضيح الحدث التاريخي؛ فهو يخرج من حيز عسير للدرعية لأكثر من مرة في عام 1215هـ/1800م⁽²⁰¹⁾، وفي عام 1217هـ/1802م⁽²⁰²⁾، ليوضح علاقة المنطقة التاريخية بالدولة السعودية الأولى، ثم يخرج في حديثه مرة أخرى وعن عسير أيضاً للمخلاف السليماني في أغلب المواضع، وذلك لامتداد الأحداث التاريخية، والتي يتضح من خلالها أن علاقة منطقة عسير بالمخلاف السليماني علاقة لا تنفك في تلك الفترة الزمنية، من خلال تغطيته لجهود أمراء آل المتحامي في مد نفوذ الدولة السعودية لحيز مكاني يتجاوز منطقة عسير ليصل للمخلاف السليماني ومحاولة نشر الدعوة الإصلاحية هناك، أيضاً جنح لتجاوز المكان الجغرافي عندما أراد أن يوضح مقاومة الإمارة العسيرية للمد المصري العثماني في الحجاز عن طريق محاولة صد الحملات القادمة من القنفذة والطائف-وإن كان تجاوز في ذات الاستطراد ليذكر معلومات بعيدة جداً عن الحدث لو اقتصر عنها لن يؤثر على فهم الخبر المراد إيضاحه⁽²⁰³⁾، مساندة بذلك الدولة السعودية الأولى التابعة لها إدارياً⁽²⁰⁴⁾.

وفي إمارة محمد الإدريسي -أيضاً- يخرج هاشم النعمي عن الحيز المكاني في بيان علاقته بالمخلاف السليماني قبل علاقته بعسير⁽²⁰⁵⁾، وعلى عكس ذلك فإن هاشم النعمي لا يطبق مبدأه في الخروج عن الحيز المكاني في بعض الأحداث الأخرى مع لزوم الأمر لذلك أحياناً؛ فيشير إلى المفاوضات بين المملكة العربية السعودية واليمن إشارات طفيفة، ولا يذكر الخلفية التاريخية -كعاداته- لأسباب توتر العلاقات السعودية اليمنية، والتي كانت بؤار مشكلاتها تعود إلى محاولات الملك عبدالعزيز ضم عسير 1338هـ/1919م⁽²⁰⁶⁾.

أما التغطية المكانية من حيث مادة التراجم فإن هاشم النعمي يشترط أن يكون المترجم له تربطه علاقة بمنطقة عسير؛ فهو يترجم لمن هو خارج المملكة العربية السعودية إذا رأى ذلك مجدياً، ولكن بقلّة -انظر الجدول رقم(6)-، أورد ترجمة في حالة واحدة لشخصية⁽²⁰⁷⁾ من شنقيط⁽²⁰⁸⁾ بموريتانيا وفدت إلى المملكة واستقرت بعسير، والغريب أن هاشم النعمي إذ فتح المجال في ذلك يغفل ذكر شيوخه ممن هم خارج البلاد والترجمة لهم؛ أمثال: الشيخ الحاج الهندي⁽²⁰⁹⁾، كذلك الأستاذ عبدالمالك الطرابلسي⁽²¹⁰⁾، وكرامة الله البخاري⁽²¹¹⁾، ولا شك أن لهم دوراً لا يمكن إغفاله في إحياء الكتابات والتدريس بمدرسة أبها النظامية، ومن المؤكد قد تخرّج على أيديهم عدد كبير.

كما شملت مادة التراجم عند هاشم النعمي شخصيات من مناطق متفرقة من أرجاء المملكة العربية السعودية ممن وفدت إلى عسير بالتأكيد-انظر الجدول رقم(7)-، حيث بلغ عدد التراجم 155 ترجمة، حظيت المنطقة العسيرية باهتمام ملحوظ، فقد بلغت عدد الشخصيات التي تنتمي إليها وترجم لها 112، ولا عجب في تركيزه على تراجم أهالي عسير فإن ذلك يأتي

منسجماً مع نهجه في تدوين التاريخ المحلي.

ويخرج عن الحيز المكاني إذا ما دعت الحاجة لذلك، فيترجم لشخصيات من جيزان بلغت 11 ترجمة، ويعد هذا العدد زهيداً جداً، ولا يقارن بتراجم المنطقة العسيرية التي تضاعفت عنه بعشر مرات، كما ترجم لشخصيات من القصيم⁽²¹²⁾، والباحة⁽²¹³⁾، ورنية⁽²¹⁴⁾، ومناطق أخرى مختلفة إلا أن أعداد التراجم فيها لا تذكر أمام المنطقة الأم التي عني هاشم النعمي بالكتابة عنها إن صح إدراجها تحت هذا المسمى-انظر الجدول رقم(7)-.

أما منطقة عسير خاصة والتي غلبت عدد ترجمات شخصياتهم على بقية الترجمات ممن تنتمي إلى مناطق أخرى خارج عسير؛ حيث بلغت 112 ترجمة؛ فتختص مدينة أبها بأكثر عدد من هذه التراجم حيث بلغت 57 ترجمة كما تحتل رجال ألمع المرتبة الثانية بمختلف القرى التابعة لها سواء رجال أم عثالف، وحتى غيرها حيث بلغت 29 ترجمة، ولا غرابة في تركيزه على أبها ورجال ألمع. لأن ارتفاع عدد التراجم في هاتين المدينتين دون غيرها يرتبط بكونها أكثر المناطق يوجد بها علماء ومثقفين، ومن جانب آخر فقد كان هاشم النعمي قريباً منها، حيث عاش فيها، وأمضى فيها مراحل مهمة من حياته خلال عمله الرسمي ساهم ذلك في معرفته لرجالها وعاشريهم عن قرب؛ لكن الغريب أن محایل عسير بلغت 4 تراجم -فقط- انظر الجدول رقم(8)، مع أنه عمل بها معلماً⁽²¹⁵⁾، ثم قاضياً⁽²¹⁶⁾ لفترة لا تقل عن عشر سنوات.

وفي مدن متفرقة من منطقة عسير تفاوتت أعداد التراجم فيها بين الترجمة الواحدة والترجمتين؛ مثل: تثليث، وباللحمر⁽²¹⁷⁾، وباللسمر⁽²¹⁸⁾، وغيرها من المدن التابعة إدارياً لمنطقة عسير بلغت جميعها 20 ترجمة -انظر الجدول رقم(8)، وبالمقابل هناك من الشخصيات التي ترجم لها هاشم النعمي أوردتها مبهمه من حيث مكان الميلاد؛ فليس من السهولة تحديد مكان شخصيات التراجم بدقة.

ومن الملحوظ من خلال دراسة التغطية الزمانية والمكانية للكتابة التاريخية عند هاشم النعمي أنه لم يكن يطوي التاريخ عمداً؛ بل كان يشير إلى أغلب الأحداث التاريخية ذات العلاقة المباشرة بعسير وأمرائها، إلا أنه يأتي ذلك باختصار؛ مما قد يخل بإيضاح النتيجة التاريخية، ولا خلاف في كونها فترة زمنية مختلفة في المعطيات مهمة في النتائج، وبالمقابل تلحظ جنوح هاشم النعمي في سرده التاريخي أحياناً للإسهاب في أحداث المخلاف السليمانى، وكأنه يتحدث عن تاريخه وليس تاريخ عسير؛ فهاشم النعمي إذ جعل مؤلفاته تختص بتاريخ عسير، وبذلك جعلها مطلقة من حيث الزمان والمكان؛ فمن باب أولى ذكر الأحداث المرتبطة بعسير من جميع أطرافها والإشارة لها، وهنا يسجل هاشم النعمي نوعاً من التحيز الكامن للمخلاف السليمانى بوجه عام، وللأشراف على وجه الخصوص ربما يعود ذلك لما يربطه بالمخلاف السليمانى من روابط القرابة والنسب.

كما يتضح أن هاشم النعمي باحثٌ جغرافي إلى جانب كونه باحثًا تاريخيًا؛ فهو يعني بالتعريف بالمدن والقرى والجبال والأودية عناية ملحوظة، مراعيًا فيها توضيح مواقعها الجغرافية، ومسافتها بالكيلومتر أحيانًا؛ بل ويحظى باهتمام من قبل الإمارة في تعزيز ذلك⁽²¹⁹⁾. كانت تغطية هاشم النعمي تختلف وتتباين من حيث تنوع المادة العلمية، والاتجاهات في الكتابة التاريخية، كذلك عدد من ترجم لهم في كتاب شذا العبير وملحقه كلما اقترب من التأريخ والكتابة للفترة الزمنية التي عاصرها، ويعود ذلك وبلا شك لفاعلية المتغيرات التي طرأت على عسير في تلك الفترة، إضافة لمعاصرته للحيز الزمني، وكونه شاهد عيان على كثير من أحداثه، وكذلك مكوثه في الحيز المكاني وتنقله في أرجائه؛ سواء للعمل، أو البحث التاريخي والجغرافي أحيانًا؛ كل ذلك كان له دور بارز في تغذية هذا التباين ليظهر بوضوح أمام القارئ لمؤلفات هاشم النعمي.

الخاتمة والتوصيات

برزت جهود هاشم النعمي في الكتابة التاريخية كمؤرخ محلي أعمل قلمه في تدوين تاريخ منطقة عسير وجغرافيتها وأعلامها، وقد صُنّف ضمن الشخصيات التاريخية التي شاركت في حفظ تاريخ منطقة عسير بمؤلفات وكتابات متنوعة، ويمكن القول: أن الدراسة ناقشت العديد من النقاط، ومن ثم خلصت إلى عدد من النتائج، وهي الآتي:

- أُلقت هذه الدراسة الضوء على جميع مؤلفات هاشم النعمي المطبوعة والمخطوطة، وأشارت إلى تنوعها، كما عرضت المحتوى الذي ناقشته المؤلفات.
- قارنت الدراسة بين كتاب رحلة بين أبها وجُرش المكتوب بالآلة الكاتبة وهو من كتب هاشم النعمي غير المنشورة، وبين كتابه سلسلة هذه بلادنا أبها المطبوع من قبل رعاية الشباب، وخلصت إلى أن الكتابين في الأصل كتاب واحد قدّم لرعاية الشباب تحت مسمى رحلة بين أبها وجُرش ومن ثم عدل اسمه إلى سلسلة هذه بلادنا أبها.
- بينت الدراسة أن هاشمًا وإن كان تركيزه الكتابي على تغطية الأحداث التي لها علاقة مباشرة بتاريخ منطقة عسير فإنه حين يستدعي ذلك الخروج عن ذلك النطاق لا يتوانى عمّا من شأنه توضيح الحدث التاريخي من خلال ربط الموضوع بموقع الحدث سواء في نجد، أو الحجاز، أو المخلاف السليماني، أو غيرها.
- كشفت الدراسة اهتمام هاشم النعمي بالجوانب الجغرافية، والتراجم، وتوظيفها في خدمة تاريخ المنطقة.
- حفظت الدراسة لهاشم النعمي دوره الريادي في كتابه تاريخ منطقة عسير، وجغرافيتها، وتراجمها.
- توصي الدراسة بتوجيه الباحثين لدراسة الشخصيات التاريخية، وإبراز جهودهم في الكتابات التاريخية.
- توصي الدراسة القائمين على مكتبة الشيخ هاشم النعمي بإخراج المخطوطات التي بحوزتهم للباحثين والباحثات للإفادة منها في دراساتهم العلمية، والعمل على طباعتها وإخراجها للنور.

الجداول

جدول رقم (1).

الفترة التي شملتها المؤلفات	التقسيم الزمني عند هاشم النعمي	
غير محددة	عصر ما قبل الميلاد والعصر الجاهلي	1
10هـ/631م	صدر الإسلام	2
1215-1233هـ/1800-1818م	إمارة آل المتحمي	3
1233-1238هـ/1818-1823م	إمارة الحسن الحازمي، والحكم العثماني المصري	4
1238-1242هـ/1823-1826م	إمارة الأمير سعيد بن مسلط	5
1242-1249هـ/1826-1834م	إمارة الأمير علي بن مجثل	6
1249-1289هـ/1834-1873م	إمارة آل عائض	7
1289-1337هـ/1872-1918م	الحكم العثماني	8
1337-1338هـ/1918-1919م	إمارة آل عائض الثانية	9
1338-1419هـ/1919-1999م	حكم الملك عبدالعزيز ومن تولى الإمارة	10

جدول رقم (2).

عدد التراجم	القرن الزمني	
8	القرن الثاني عشر	1
25	القرن الثالث عشر	2
113	القرن الرابع عشر	3

جدول رقم (3).

العدد	نوعية المكان	
8	القرى التابعة لعسير	1
9	الأودية	2
7	الجبال	3

جدول رقم (4).

العدد	القبائل في منطقة عسير	
4	قبائل عسير السراة	١
9	قبائل تهامة عسير	٢
15	قبائل قحطان والتابعة لها	٥

جدول رقم (5).

مركزها	مراكز الإمارة	
طبيب	إمارة آل المتحمي.	١
السقا	إمارة الأمير سعيد بن مسلّم.	٢
أبها	من إمارة الأمير علي بن مجثل حتى الوقت الحاضر.	٣

جدول رقم (6).

عدد التراجم	التراجم حسب البلد	
جميع التراجم	المملّكة العربية السعودية	١
ترجمة واحدة	شنقيط بـموريتانيا	٢

جدول رقم (7).

عدد التراجم	التراجم حسب مناطق ومدن المملكة	
112	عسير	١
11	جازان	٢
5	الباحة	٣
3	النماص	٤
1	رنية	٥
3	الرياض	٦
5	القصيم	٧
1	الزلفي	٨
1	المدينة المنورة	٩
1	وادي الدواسر	١٠

جدول رقم (8).

عدد التراجم	التراجم حسب منطقة عسير	
57	أبها	١
29	رجال ألمع	٢
4	محايل عسير	٣
20	قرى أخرى متفرقة	٤

1. هو: هاشم بن سعيد بن علي النعمي، ولد سنة 1340هـ/1921م، نشأ في قرية العُكاس في أبها، وينتمي لأسرة علمية، فأخذ على يد والده العلوم الشرعية، ثم انتقل للمعالملة -الكتاتيب- في القرية فدرس القرآن الكريم، ثم رحل إلى مكة المكرمة طلباً للعلم، وتخصص في علم القضاء على يد الشيخ عبدالله الوابل. وقد تقلد عدد من المهام الرسمية؛ حيث عمل معلماً في المدرسة الابتدائية في أبها، ثم قاضياً في رجال ألمع، ومحاميل عسير، وله عدد من المؤلفات، والمشاركات الثقافية والعلمية. توفي في الثاني من ذي الحجة سنة 1431هـ/2010م، راجع: النعمي، هاشم بن سعيد: شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عسير في الفترة ما بين 1215-1415هـ د ط، منشورات نادي أبها الأدبي، 1415هـ/1994م، ص380؛ وحفيظة النفوس الخاصة بالشيخ هاشم النعمي، صورة أمدني بها ابنه الأستاذ: أحمد بن هاشم النعمي؛ والأرشيف الشفوي المحفوظ في دار الملك عبد العزيز، لقاء مسجل أجرته الدارة مع المؤرخ هاشم النعمي، يوم الاثنين، بتاريخ 1425/6/2هـ-19/7/2004م؛ وصك رقم 6/155، صك حصر ورثة، صادر بتاريخ 1431/12/17هـ-2010/11/23م، صورة أمد الباحثين بها الأستاذ أحمد بن هاشم النعمي.
2. الوزان، د. فيصل عادل: دليل البحث التاريخي- خطوات الكتابة ومهارات جمع المادة، ط1، شركة دار المرقاب، 1438هـ/2016م، ص117.
3. أديترمان، يورك ماتياس: كتابة التاريخ في المملكة العربية السعودية العولمة والدولة في الشرق الأوسط، ترجمة وتعليق عبدالله بن إبراهيم العسكر، ط1، دار جداول، 1436هـ/2015م، ص102.
4. عسير: تقع جنوب غرب المملكة العربية السعودية، تقدر مساحتها 80 ألف كيلو متر مربع، وتنقسم من الناحية الجغرافية لثلاث تقسيمات جغرافية رئيسة، وهي: سلسلة جبال السروات، والهضبة الشرقية، وتهامة عسير، وتختلف ظروفها المناخية تبعاً لها. راجع: الحربي، علي بن إبراهيم بن ناصر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية- منطقة عسير، د ط، د ن، 1417هـ/1997م، 20/1، 21، 22.
5. ديتيرمان، كتابة التاريخ في المملكة، ص102.
- (6) هو: الحسن بن علي بن محمد الحفظي، ولد بقرية رُجال من بلاد رجال ألمع سنة 1345هـ/1926م، نشأ وترعرع في بين علم، وفقه، وأدب، تلقى علومه الشرعية على يد الشيخ العالم القاضي إبراهيم بن زين العابدين الحفظي، التحق بالتعليم النظامي سنة 1359هـ/1940م في بلدته، بدأ عمله الوظيفي مدرساً بمحاميل، فمديراً، ومرشداً طلابياً، وقد كان أديباً، وشاعراً، ومؤرخاً

- له عدد من المؤلفات. راجع: علي بن الحسن الحفظي: الحسن بن علي الحفظي الخطيب، المؤرخ، الأديب (حياته- وآثاره) بإيجاز، محاضرة مخطوطة قدمت للنادي الأدبي بأبها بمناسبة تكريم والده بتاريخ 26 / 10 / 1418هـ - 23 / 2 / 1998م، مكتبة الأستاذ علي الحفظي، ولدى الباحثين نسخة من المحاضرة، ص68.
6. مقابلة شخصية، الأستاذ أحمد بن هاشم النعمي، في منزله، يوم الأحد، 16 ذي القعدة 1439هـ/ 29 يوليو 2018م.
7. (مقابلة شخصية، الأستاذ أحمد بن هاشم النعمي، في منزله، يوم الثلاثاء، 5 شوال 1439هـ/ 15 يونيو 2018م.
8. (النعمي، هاشم بن سعيد: تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ط2، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، 1419هـ/ 1999م، هامش رقم (1)، ص 339.
9. النعمي، تاريخ عسير، ص376.
10. النعمي، تاريخ عسير، ص369.
11. حفيظة النفوس.
12. الأرشيف الشفوي المحفوظ في دارة الملك عبدالعزيز: لقاء مسجل أجرته الدارة مع المؤرخ هاشم النعمي، يوم الأحد، بتاريخ 14/ 11/ 1417هـ - 23/ 3/ 1997م.
13. لقاء الدارة، بتاريخ 2 / 6 / 1425هـ.
14. أحمد بن عبد الله بن خنين: لقاء العدد، مع فضيلة الشيخ هاشم بن سعيد بن علي النعمي، مجلة العدل، ع28، شوال 1426هـ/ 2005م.
15. النعمي، شذا العبير، ص380.
16. أبو داهش، عبدالله بن محمد: الحركة العلمية والأدبية بمنطقة عسير في عهد الملك عبد العزيز، ط1، مطابع الجنوب، 1421هـ/ 2000م، ص74.
17. النعمي، تاريخ عسير، قائمة المصادر والمراجع، ثانياً: المقابلات الشخصية، رقم6، ص399.
18. النعمي، تاريخ عسير، ص16، 20، 134، 136، وصفحات أخرى متفرقة.
19. هو: عبدالرحمن بن محمد بن أحمد الحفظي، من علماء رجال برجال ألمع، عرف بحسن أخلاقه، وهو أديب وينظم الشعر، توفي سنة 1257هـ/ 1841م. راجع: الضمدي، العلامة المؤرخ الحسن بن أحمد بن عبدالله: عقود الدرر بتراجم علماء القرن الثالث عشر، تحقيق عبدالحميد بن صالح آل أعوج سبر، ط1، مكتبة الجيل الجديد، 1434هـ/ 2013م، ص384، 389.
20. النعمي، تاريخ عسير، ص141، 143، 147، 149، وصفحات أخرى متفرقة.

21. هو: محمد بن أحمد العقيلي، ولد بمدينة صبيا سنة 1336هـ/1916م، تلقى تعليمه على يد والده، ثم التحق بمجالس العلم، وتقلد عددا من الوظائف، أسس النادي الأدبي في جازان، وتولى رئاسته إلى سنة 1400هـ/1979م، ألف كثيرا من الكتب، توفي سنة 1423هـ/2003م. راجع: الحازمي، حجاب يحيى: من أعلام منطقة جازان، ط1، الانتشار العربي، 1438هـ/2017م، ص152، 202.
22. النعمي، تاريخ عسير، ص11.
23. ديتزمان، كتابة التاريخ في المملكة، ص103.
24. هو: الدكتور زاهر بن عواض الألمعي، ولد عام 1354هـ/1935م، في رجال ألمع، ونشأ تحت رعاية والده عواض بن صواب، وكان والده فقيهاً، درس في كتاب القرية، وبدأ حياته الوظيفية جندياً في العسكرية في جازان، إلا أنه كان طموحاً فالتحق بكتاب الشيخ حسين العماري؛ فأتم على يده القرآن الكريم، ثم واصل تحصيله، وشارك في الكثير من المؤتمرات المحلية والعربية، وله عدد من المؤلفات، راجع: النعمي، شذا العبير، ص 109، 110.
25. رواية شفهية اتصال هاتفي، الدكتور زاهر الألمعي، يوم الاثنين، تاريخ 13 رمضان 1439هـ 28 مايو 2018م.
26. النعمي، تاريخ عسير، ص9.
27. النعمي، تاريخ عسير، ص10.
28. خطاب سري، رقم 4/65/س، من رئيس اللجنة العلمية د/ عبدالرحمن بن عبدالعزيز الداود إلى الشيخ هاشم بن سعيد النعمي، بشأن ملحوظات اللجنة العلمية على كتاب تاريخ عسير بعد ترشيحه لإعادة طباعته بمناسبة الاحتفالات بالتمئوية، بتاريخ 1417/12/20هـ- 1997/4/27م، مكتبة هاشم النعمي. ولدى الباحثين صورة من هذا الخطاب.
29. خطاب سابق، بشأن ملحوظات اللجنة العلمية على كتاب تاريخ عسير.
30. ومن جنح إلى ذلك من المؤرخين فؤاد حمزة بقوله: «فلا يستبعد أن يكون لبلاد «عسير» نصيب من اسمها نظراً لوعورتها وصعوبتها». راجع: حمزة، فؤاد: في بلاد عسير، ط2، مكتبة النصر الحديثة، 1388هـ/1968م، ص90.
31. النعمي، تاريخ عسير، ص 16، 18.
32. جرش: بضم الجيم وفتح الراء، وتُلفظ كذلك بالفتح، هي موقع مدينة أثرية شرق شمال أحد رفيدة بجانب جبل حمومة الذي كان يُعرف سابقاً بجبل شكر، راجع: الحربي، المعجم الجغرافي، 372/1.
33. الدرعية: بكسر الدال، نسبة إلى الدروع، وهم بطن من بطون بني حنيفة، تقع شمال غرب الرياض، يشقها وادي حنيفة، والدرعية بلاد زراعية كثيرة النخل، كانت ركيزة خير ومدينة

- حضارة وعمران. راجع: بن خميس، عبدالله بن محمد: المعجم الجغرافي في المملكة العربية السعودية معجم الإمامة، ط1، د ن، 1398هـ/1978م، 416/2، 424.
34. هو: محمد بن عامر أبو نقطة؛ تسنم إمارة عسير عندما سافر للدرعية سنة 1215هـ/1800م، عُرف عنه شدة تدينه، كان متشبعًا بمبادئ الدعوة الإصلاحية فأقام الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ميزه رجاحة عقله وحنكته، طبق كثيرا من الأعمال الإدارية، والعسكرية، إلا أن فترة حكمه لم تدم أكثر من عامين؛ حيث توفي سنة 1217هـ/1802م في رنية، بعدما أصيب بمرض الجدري. راجع: بن مسفر، عبدالله علي: السراج المنير في سيرة أمراء عسير، د ط، مؤسسة الرسالة، د ت، ص35؛ وآل فائع، أحمد بن يحيى: دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها -1215 1233هـ - / 1800 1818م، ط1، مطابع الحميضي، 1427هـ/2006م، ص147، 160.
35. هو: عبد الوهاب بن عامر المتحمي، تسنم إمارة عسير بعد وفاة أخيه الأمير محمد 1217هـ/1802م وتمت مبايعته في طبب مركز إمارة عسير، تمتع بالحكمة، والدهاء العسكري، ووصف بالتواضع، وعُرف عنه القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كذلك اشتهر بإخلاصه الشديد للدعوة الإصلاحية ولأئمة الدرعية، راجع: بن مسفر، السراج المنير، ص35؛ وآل فائع، دور آل المتحمي، ص165، 167.
36. أبو عريش: بفتح العين، وهي من أشهر مدن المخلاف السليمانى، تقع شرق جازان وتبعد عنها مسافة ثلاثين كيلا، كانت في القرن الثاني عشر والثالث عشر حاضرة المقاطعة، أول من اختطها جد آل الحكمي وابتنى بها عريشًا فعُرفت به، ولا تزال عامرة حتى الوقت الحاضر. راجع: العقيلي، محمد أحمد: المعجم الجغرافي للبلاد السعودية مقاطعة جازان المخلاف السليمانى، د ط، دار الإمامة، 1389هـ/1969م، 48/1، 49.
37. هو: حمود بن محمد بن أحمد بن خيرات الحسنى، ولد سنة 1170هـ/1856م، لقب بأبو مسمار لمسمار وقع في رقبتة في إحدى المعارك الحربية، تولى إمارة منطقة جازان وما جاورها من منطقة عسير 1233هـ/1818م، توفي في الملاحة بني مالك من عسير وهو يقاتل العثمانيون. راجع: الشعفي، أحمد محمد أحمد، لألى الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر، ط1، د ن، 1412هـ/1991م، ص130.
38. هو: محمد علي بن إبراهيم آغا، المعروف بالكبير، مؤسس آخر دولة ملكية في مصر، وهو الباني الأصل، ولد في قوله، نشأ أميًا فتعلم القراءة متأخرًا، تولى ولاية مصر 1220هـ/1805م، ثم استخدمته الدولة العثمانية في حملاتها للقضاء على الدولة السعودية الأولى، توفي في الإسكندرية. راجع: الزركلي، خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، 1423هـ/2002م، 299/6.

39. هو: طامي بن شعيب المتحمي، من أبناء عمومة الأمير عبدالوهاب، وكان مساعدًا له طوال فترة إمارته، قاد العديد من الحملات العسكرية لنشر الدعوة الإصلاحية، تميز بمهارات وقدرات عسكرية فذة، كان محبًا للعلماء، تسنم إمارة عسير بعد مقتل الأمير عبدالوهاب في معركة بيش 1224هـ/1809م، استمرت فترة إمارته ما بين 1224-1230هـ/1809-1814م، ثم أسر وسلّم لقوات محمد علي، ومن ثم رُحِّل للحجاز. راجع: بن مسفر، السراج المنير، ص71؛ وآل فائع، دور آل المتحمي، ص247.

40. مسلية: بكسر الميم وسكون السين، وهي قرية في وادي بيش، راجع: العقيلي، المعجم الجغرافي، 207/1.

41. هو: محمد بن أحمد المتحمي، يعتبر آخر أمراء المتاحمة الذين تعاقبوا على إمارة عسير في الدور السعودي الأول، تسنم إمارة عسير 1230-1233هـ/1814-1818م، توالى كثير من الأحداث السياسية على منطقة عسير في هذه الفترة على قصرها إلا أنها تعد من أصعبها، عرف بالشجاعة حتى لقب بالجزار، تم أسرة بعد حصار طبب وترحيله وسجنه بالقاهرة. راجع: بن مسفر، السراج المنير، ص75؛ وآل فائع، دور آل المتحمي، ص295، 296.

42. هو: الأمير سعيد بن مسلط، من قبيلة بني مغيد، لم تتحدث المصادر عن نشأته بوضوح؛ بل اكتفت بذكر بعض الصفات الخلقية والخلقية، كما عُرف بالذكاء والحكمة، استطاع أن ينقل قاعدة عسير من طبب إلى قريته السُّقا، وله بعض الإصلاحات الداخلية، توفي إثر مرض أصيب به سنة 1242هـ/1826م. راجع: بن مسفر، السراج المنير، ص79، 80؛ وآل قطب، علي عوض: الأمراء اليزيديون عسير... تاريخ لم يكتب، ط1، جداول، 1437هـ/2015م، ص249، 261.

43. هو: الأمير علي بن مجثل، لم تشر المصادر إلى مولده ونشأته كثيرًا، إلا أنه عُرف في بعضها بابن ترابة، كان هذا الأمير من المخضرمين الذين أدركوا دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقدموها إلى عسير، تسنم إمارة عسير بعد الأمير سعيد بن مسلط إلى أن توفي سنة 1249هـ/1834م، وقد كان على قدر كبير من التدين، متسامحًا من الناحية العسكرية والدينية، راجع: بن مسفر، السراج المنير، ص81، 82؛ وآل قطب، الأمراء اليزيديون، ص329، 344.

44. هو: رديف باشا، لم يتوصل الباحثين لمعلومات دقيقة حول مولده ونشأته، غير أنه كان قائد حملة العثمانيين على عسير سنة 1288هـ/1872م، التي تمكنت من إسقاط إمارة محمد بن عائض، اتخذ من أبها قاعدة له، كان عنيذًا جبارًا سيئ الخلق مع العسيريين. راجع: النعمي، هاشم بن سعيد بن علي: موجز إمارة منطقة عسير، مخطوط، ورقة رقم 3، مكتبة هاشم النعمي، ولدى الباحثين نسخة.

45. النعمي، تاريخ عسير، ص286.

46. هو: خالد الفيصل بن عبد العزيز آل سعود، أمير منطقة عسير منذ تاريخ 1391/2/23هـ/ 1971/4/18م، واستمر في إمارة عسير حتى صدور المرسوم الملكي بنقله لإمارة مكة المكرمة بتاريخ الأربعاء 29 ربيع الآخر 1428هـ/ 16 مايو 2007م، راجع: النعمي، موجز إمارة منطقة عسير، ورقة رقم 11، وصحيفة الرياض، العدد 14206، بتاريخ الخميس 30 ربيع الآخر 1428هـ - 17 مايو 2007م.

47. هو: الأمير فيصل بن بندر، ولد في الرياض سنة 1365هـ/ 1945م، التحق بمعهد العاصمة النموذجي، ثم التحق بجامعة الملك سعود فتخرج من كلية الآداب، بدأ حياته الوظيفية في سنة 1390هـ/ 1970م، ومن ثم عُيِّنَ وكيلاً لإمارة عسير سنة 1398هـ/ 1977م، ثم رُقِّيَ إلى المرتبة الممتازة سنة 1401هـ/ 1981م. راجع: النعمي، تاريخ عسير، ص 393.

48. النعمي، شذا العبير، ص 7.

49. نادي أبها الأدبي: تقرير اللجنة المكلفة بقراءة كتاب الشيخ هاشم النعمي «شذا العبير»، نسخة مكتوبة بالآلة الكاتبة غير منشورة، مكتبة هاشم النعمي. ولدى الباحثين نسخة من هذا التقرير.

50. خطاب رقم 47، من رئيس نادي أبها الأدبي محمد عبدالله الحميد إلى الشيخ هاشم بن سعيد النعمي بشأن الدراسة التي أصدرتها اللجنة المكلفة بقراءة شذا العبير، بتاريخ 1415/2/3هـ- 1994/7/11م، مكتبة هاشم النعمي. ولدى الباحثين صورة من هذا الخطاب.

51. خطاب عدد 122، من الشيخ هاشم النعمي إلى سعادة مدير نادي أبها الأدبي بشأن تسليم النسخة المعدلة من كتاب شذا العبير وفق ملحوظات اللجنة بتاريخ 1415/4/10هـ- 1994/9/15م، مكتبة هاشم النعمي. ولدى الباحثين صورة من هذا الخطاب.

52. خطاب عدد 207، من رئيس نادي أبها الأدبي محمد بن عبدالله الحميد إلى سعادة مدير فرع إدارة المطبوعات بأبها بشأن إرفاق كتاب شذا العبير بعد اعتماد طباعته من قبل النادي، بتاريخ 1415/5/13هـ- 1994/10/17م، مكتبة هاشم النعمي. ولدى الباحثين صورة من هذا الخطاب.

53

53. خطاب من الشيخ هاشم النعمي إلى الأستاذ الحسن الحفظي بشأن إرسال سيرته الذاتية ليرفقاها إلى كتابه، بتاريخ 1401/4/14هـ- 1981/2/18م، مكتبة الأستاذ على الحسن الحفظي، ولدى الباحثين صورة من هذا الخطاب.

54. هو: أحمد بن محمد بن علي الترابي، ولد في أبها سنة 1365هـ/ 1945م، تلقى تعليمه في أبها، ثم التحق بالمعهد الصحي بالرياض وعمل في مركز التنمية الاجتماعية بالدرعية ثم في خميس مشيط، ومن ثم انتقل إلى الشؤون الصحية في أبها، وله بعض من النتاج الفكري

وإسهامات صحفية. راجع: النعمي، هاشم بن سعيد: التراجم الملحقه بالطبعة الثانية من كتاب شذا العبير، مكتوب بالكمبيوتر غير منشور، ورقة رقم 9، مكتبة هاشم النعمي، ويوجد لدى الباحثين نسخة.

55. خطاب من أحمد محمد الترابي إلى الشيخ هاشم النعمي بشأن الرد على طلب إرسال سيرته الذاتية، بتاريخ 1401/5/1هـ - 1981/3/7م، مكتبة هاشم النعمي. ولدى الباحثين صورة من هذا الخطاب. ومع ذلك لم يصف هاشم النعمي ترجمته إلا في التراجم الملحقه بالطبعة الثانية من شذا العبير.

56. لنعمي، شذا العبير، هامش رقم (1)، ص 147.

57. النعمي، شذا العبير، ص 7.

58. النعمي، شذا العبير، ص 8.

59. النعمي، شذا العبير، ص 7.

60. النعمي، شذا العبير، ص 8.

61. خطاب من رئيس نادي أبها الأدبي محمد عبدالله الحميد إلى من يهمله الأمر بشأن الموافقة على قيام الشيخ هاشم النعمي بطباعة كتابه الجزء الأول من شذا العبير، بتاريخ 1427/4/10هـ - 2006/5/8م، مكتبة هاشم النعمي. ولدى الباحثين صورة من هذا الخطاب.

62. النعمي، التراجم الملحقه، ورقة رقم 1.

63. خطاب من الشيخ هاشم النعمي، إلى سعادة مدير النشاطات الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب الأستاذ الأديب عبدالرحمن محمد العليق بشأن الرد على خطاب رعاية الشباب حول تأخير تسليم النسخ المطلوبة، بدون تاريخ، مكتبة هاشم النعمي. ولدى الباحثين صورة من هذا الخطاب.

64. خطاب رقم 1684/1، من مدير المكتب الرئيس لرعاية الشباب أحمد بن يحيى الفائز إلى مدير النشاطات الثقافية بالرئاسة بشأن إرفاق نسخة من كتاب هذه بلادنا رحلة بين أبها وجرش للشيخ هاشم النعمي، بتاريخ 1412/7/1هـ - 1992/1/5م، مكتبة هاشم النعمي. ولدى الباحثين صورة من هذا الخطاب.

65. خطاب رقم 112، من الشيخ هاشم النعمي إلى سعادة مدير عام النشاطات الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب الأستاذ عبدالرحمن محمد العليق بشأن الرد على ملاحظات رعاية الشباب على الكتاب، بتاريخ 1414/5/4هـ - 1993/10/19م، مكتبة هاشم النعمي. ولدى الباحثين صورة من هذا الخطاب.

66. لقاء الدارة بتاريخ 1417/11/14هـ.

67. لقاء مجلة العدل، ربيع الآخر 1425هـ / 2004م؛ ولقاء مجلة العدل، شوال 1426هـ /

68. النعمي، تاريخ عسير، هامش رقم (3)، ص21.
69. النعمي، تاريخ عسير، قائمة المصادر والمراجع، أولاً: المخطوطات، رقم12، ص398.
70. النعمي، هاشم بن سعيد: رحلة بين أبها وجرش، مكتوب بالآلة الكتابة، غير منشور، نسخة محفوظة في مكتبة الدكتور علي عوض آل قطب. نسخة أمدني بها الدكتور أحمد آل فائع، ورقة رقم6.
71. خطاب سابق، بشأن الرد على خطاب رعاية الشباب حول تأخير تسليم النسخ المطلوبة.
72. خطاب سابق، بشأن الرد على خطاب رعاية الشباب حول تأخير تسليم النسخ المطلوبة.
73. النعمي، هاشم بن سعيد: سلسلة هذه بلادنا أبها، ط1، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، 1416هـ/1996م، ص11.
74. النعمي، هذه بلادنا، ص15.
75. النعمي، هذه بلادنا، ص50.
76. النعمي، هذه بلادنا، ص56.
77. النعمي، هذه بلادنا، ص57.
78. النعمي، هذه بلادنا، ص79.
79. النعمي، هذه بلادنا، ص80.
80. النعمي، هذه بلادنا، ص83، 84.
81. النعمي، هذه بلادنا، ص84.
82. رجال ألمع: تقع بلاد ألمع إلى الغرب من بلاد قبيلة عسير، وقد غلبت على ألمع بتسميتها برجال ألمع، راجع: حمزة، في بلاد عسير، ص151.
83. رجال: اسم لبلدة قديمة تقع أعلى وادي كسان، وهي أقدم بلدة في رجال ألمع، تمتاز مبانيها بالأدوار العالية، واشتهر أهلها بالعلم والفضل. راجع: الحربي، المعجم الجغرافي، 708/2.
84. عثالف: بفتح أوله وثانيه وكسر ثالثه، وهي قرية من قرى آل الحفظي بمحافظة رجال ألمع. راجع: الحربي، المعجم الجغرافي، 1137/3.
85. النعمي، هذه بلادنا، ص85.
86. النعمي، هذه بلادنا، ص91.
87. النعمي، هذه بلادنا، ص93.
88. النعمي، هذه بلادنا، ص107.
89. النعمي، هذه بلادنا، ص114، 128.

90. النعمي، هذه بلادنا، ص 131، 140.
91. النعمي، هذه بلادنا، ص 145.
92. النعمي، هذه بلادنا، ص 145.
93. النعمي، هذه بلادنا، ص 148، 162.
94. النعمي، هذه بلادنا، ص 165، 168.
95. النعمي، موجز إمارة منطقة عسير، ورقة رقم 11.
96. النعمي، موجز إمارة منطقة عسير، ورقة رقم 1.
97. النعمي، موجز إمارة منطقة عسير، ورقة رقم 11.
98. النعمي، تاريخ عسير، قائمة المصادر والمراجع، أولاً: المخطوطات، رقم 14، ص 398.
99. النعمي، هاشم بن سعيد: كنوز أهملها التاريخ، مخطوط، نسخة محفوظة في مكتبة هاشم النعمي، ولدى الباحثين نسخة منه، ورقة رقم 1.
100. هو: أحمد إبراهيم الغزاوي، ولد في مكة 1318هـ/1900م، تلقى علومه بالمدارس الأهلية كالصولتية وغيرها، عمل في عدة وظائف، حاز على لقب شاعر الملك عبدالعزيز، عُين وزير مفوض من الدرجة الأولى 1373هـ/1953م، رأس تحرير عدد من الجرائد منها صوت الحجاز، وله عدد من المؤلفات صدرت بعد وفاته 1401هـ/1981م. راجع: يوسف، محمد خير رمضان: تتمة الأعلام للزركلي وفيات 1396-1415هـ/1976-1995م، ط2، دار ابن حزم، 1422هـ/2002م، ص 24، 25.
101. رسالة من الشيخ هاشم بن سعيد النعمي إلى الشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي بشأن إرسال نسخة من كتاب تاريخ عسير، بدون تاريخ، مكتبة هاشم النعمي. ولدى الباحثين صورة من هذه الرسالة.
102. لم يتوصل الباحثين لمعلومات دقيقة عنه.
103. مقابلة شخصية، الأستاذ طاهر بن هاشم النعمي، في منزل أخيه الأستاذ أحمد بن هاشم، يوم الأحد، 23 ذي القعدة 1439هـ/5 أغسطس 2018م.
104. رسالة من الشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي إلى السيد هاشم بن سعيد النعمي بشأن شكره على إهدائه كتاب تاريخ عسير، بتاريخ 1389/2/17هـ-1969/4/29م، مكتبة هاشم النعمي. ولدى الباحثين صورة من هذا الرسالة.
105. النعمي، كنوز، ورقة رقم 8.
106. هو: هاري سنت جون فيليبي المستشرق البريطاني ولد سنة 1303هـ/1885م، في سيلان بسيرلانكا، تخرج من جامعة كمبردج ودخل في خدمة الحكومة البريطانية في الهند ثم العراق، أسس شركة تجارية في جدة، أشهر إسلامه سنة 1349هـ/1930م، وكان مستشاراً

غير رسمي للملك عبدالعزيز، له عدد من المؤلفات، توفي سنة 1380هـ/1960م. راجع: صفوة، نجدة فتحي: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية نجد والحجاز، ط1، دار الساقى، 1419هـ/1999م، 89/4، 90.

107. النعمي، كنوز، رقة رقم 9. وردت تسمية أبها في العهد العثماني «كشك أستانبول أي» كما في المخطوط عند هاشم النعمي وهو لفظ غير متداول عند أهالي المنطقة.

108. النعمي، كنوز، رقة رقم 20، ولم يجد له الباحثين ترجمة.

109. النعمي، كنوز، رقة رقم 20.

110. النعمي، أحمد بن عيسى بن ظافر: السادة الأشراف آل نعمي (تاريخهم- مساكنهم- أنسابهم- أعلامهم- تراثهم)، ط1، الريان ناشرون، 1438هـ/2017م، 411/3؛ الأمير، الشريف أبي هاشم إبراهيم بن منصور الهاشمي: الإشراف على المعتنين بتدوين أنساب الأشراف (أهل الحجاز الحسنيين المعاصرين ومنطقة المخلاف)، ط2، الريان ناشرون، 1430هـ/2009م، 489/1؛ ومحمد بن عبد الله المقرن: لقاء العدد: فضيلة الشيخ هاشم بن سعيد بن علي النعمي، مجلة العدل، ع22، ربيع الآخر 1425هـ/2004م. ولقاء مجلة العدل، شوال 1426هـ/2005م.

111. النعمي، هذه بلادنا، ص 71، 72، 75، 79، 84، 86، وصفحات أخرى متفرقة.

112. محمد عبدالرزاق القشعمي: أعلام في الظل هاشم بن سعيد النعمي (1340- 1431هـ/1921-2010م)، صحيفة الجزيرة، ع17138، السبت 1 محرم 1441هـ/31 أغسطس 2019م.

113. محمد، أعلام في الظل.

114. النعمي، هاشم سعيد: عسير بين الجغرافيا والتاريخ، مخطوط، نسخة محفوظة في مكتبة هاشم النعمي. ولدى الباحثين نسخة منه، ورقة رقم 6.

115. النعمي، عسير، الورقة الأولى من الباب الأول، ولم يجعل هاشم النعمي لها رقمًا ضمن ترقيمه للمخطوط.

116. النعمي، عسير، ورقة رقم 9.

117. النعمي، عسير، ورقة رقم 62.

118. النعمي، عسير، ورقة رقم 69.

119. النعمي، عسير، ورقة رقم 6، 7.

120. النعمي، هذه بلادنا، ص 72، 75؛ والنعمي، شذا العبير، ص 386.

121. النعمي، السادة الأشراف، 411/3؛ والأمير، الإشراف، 489/1.

122. هو: عبدالله علي الحميد، ترأس نادي أبها الثقافي، توفي سنة 1398هـ/1979م، أصدر

أدبي أبها فيه كتاب بعنوان «علم من عسير: عبدالله بن علي الحميد»، ألفه الأستاذ صالح بن عون، راجع: يوسف، محمد خير رمضان: معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طُبِعَ منها أو حقق بعد وفاتهم وفيات (1315-1424هـ) (1897-3002م)، د ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1425هـ/2004م، 400/1.

123. رواية شفوية اتصال هاتفي، الأستاذ أحمد هاشم النعمي، يوم الإثنين، تاريخ 4 ربيع الأول 1440هـ 12 نوفمبر 2018م.

124. خطاب رقم أ س/3882/1، من أمير منطقة عسير خالد الفيصل، إلى من يهمله الأمر، بشأن تسهيل مهمة الشيخ هاشم النعمي في مؤلفه المعجم الجغرافي للمنطقة، بتاريخ 1407/11/29هـ-1987/7/25م، مكتبة هاشم النعمي، ولدى الباحثين صورة من هذا الخطاب.

125. النعمي، هاشم بن سعيد: المعجم الجغرافي لمنطقة عسير، مخطوط، نسخة محفوظة في مكتبة هاشم النعمي. ولدى الباحثين نسخة منه، ورقة رقم 4.

126. النعمي، المعجم الجغرافي، ورقة رقم 5.

127. النعمي، المعجم الجغرافي، ورقة رقم 6.

128. الحربي، المعجم الجغرافي، ثلاث أجزاء.

129. الطائف: مدينة في سرة الحجاز تقع شرق مكة، وهي قصب الحجاز الجنوب الشرقي، مرتفعة عن سطح البحر، كثيرة المزارع والفواكه، كانت المركز الرئيسي للجيش العربي السعودي منذ سنة 1350هـ/1931م إلى أن شُكِلَت المناطق العسكرية. راجع: البلادي، عاتق بن غيث: معجم معالم الحجاز (1-10)، ط2، دار مكة، مؤسسة الريان، 1431هـ/2010م. ص1025.

130. النعمي، هاشم بن سعيد: من ذكريات الماضي رحلة بين أبها والطائف عام 1358هـ مخطوط، نسخة محفوظة في مكتبة هاشم النعمي. ولدى الباحثين نسخة منه، ورقة رقم 1.

131. النعمي، من ذكريات الماضي، البيت رقم 1 بترقيم الباحثين، ورقة رقم 1.

132. راجع: البيقوني، طه بن فتوح: متن المنظومة البيقونية، أبي أسامة الأثري، ط1، د ن، 1429هـ/2008م، ص16.

133. النعمي، من ذكريات الماضي، البيت 7، ورقة رقم 1.

134. النعمي، من ذكريات الماضي، البيت 16، ورقة رقم 2.

135. النعمي، من ذكريات الماضي، البيت 9، ورقة رقم 1.

136. النعمي، من ذكريات الماضي، البيت 48، 61، 62، ورقة رقم 4، 5.

137. النعمي، من ذكريات الماضي، البيت 18، ورقة رقم 2.
138. النعمي، من ذكريات الماضي، البيت 19، ورقة رقم 2.
139. النعمي، من ذكريات الماضي، البيت 24، ورقة رقم 3.
140. النعمي، من ذكريات الماضي، البيت 26، ورقة رقم 3.
141. النعمي، تاريخ عسير، ص 19؛ النعمي، هذه بلادنا، ص 49.
142. هو: أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني، ويعرف بابن الحائك، عالم وأديب مشارك في أنواع العلوم، توفي بسجن صنعاء، صنف الإكليل في مفاخر قحطان وذكر اليمن، والمزيج في علم الفلك، القصيدة الدامغة في اللغة وشرحها، وغيرها. راجع: كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، د ط، مؤسسة الرسالة، د ت، 537/1.
143. الهمداني، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط 1، مكتبة الإرشاد، 1410هـ/1990م، ص 230.
144. الهمدان، د. حاتم: ذو القرنين النبي المصري الذي طاف بالعالم وعلم الناس الدين والحضارة، ط 1، آي كتب، 1437هـ/2015م، ص 593، 594.
145. رفيع، محمد عمر: في ربوع عسير ذكريات وتاريخ، د ط، دار العهد الجديدة، 1373هـ/1954م، ص 44؛ وحمزة، في بلاد عسير، ص 95.
146. هو: صرد بن عبدالله الأزدي، قدم إلى النبي ﷺ في وفد الأزد السنة العاشرة للهجرة، وأسلم وحسن إسلامه، أمره النبي ﷺ أن يقاتل أهل الشرك في قبائل اليمن. راجع: الجزري، عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، د ط، دار الكتب العربية، د ت، 16/3.
147. النعمي، تاريخ عسير، 31، والنعمي، هذه بلادنا، ص 79.
148. هو: أبو محمد عبدالملك بن هشام، نزيل مصر، هذب السيرة النبوية لابن إسحاق، وله مصنف في أنساب حمير وملوكها، توفي سنة 218هـ/733م، وهناك بعض الروايات المختلفة في هذا الشأن. راجع: الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط 11، مؤسسة الرسالة، 1417هـ/1996م، 428/10، 429.
149. ابن هشام: السيرة النبوية، علق عليها وخرج أحاديثها الأستاذ الدكتور عمر عبدالسلام تدمري، ط 3، دار الكتاب العربي، 1410هـ/1990م، 229/4.
150. الجزري، أسد الغابة: 17/3، والعسقلاني، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ محمد علي معوض،

- ط1، دار الكتب العربية، 1415هـ/1995م، 341/3.
151. النعمي، تاريخ عسير، ص133.
152. هو: لطف الله بن أحمد بن لطف الله بن أحمد بن لطف الله بن أحمد جحّاف، ولد بصنعاء اليمن سنة 1189هـ/1775م، وأخذ العلم عن جماعة من علماء عصره، وأصبح عالماً، ونظم الشعر، كان قوي الإدراك، فصيح اللسان، توفي سنة 1223هـ/1808م. راجع: الشوكاني، القاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، د ط، دار الكتاب الإسلامي، د ت، 60/2، 69.
153. جحّاف، لطف الله بن أحمد: درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين 1189-1224هـ/1775-1809م، تحقيق أحمد بن إبراهيم المقحفي، ط1، مكتبة الإرشاد، 1425هـ/2004م، ص388، 400.
154. آل فائع، دور آل المتحمي، ص146؛ عبدالعزيز بن سليمان أبو نقطة والمتحمي: موجز عن إمارة عسير في عهد الأمير عبدالوهاب ابن عامر أبونقطة المتحمي 1217-1224هـ بحث منشور، د ن، د ت، ص9.
155. آل فائع، دور آل المتحمي، ص141، 159.
156. هو: الحسن بن خالد بن عز الدين الحازمي، ولد سنة 1188هـ/1774م، نشأ في ضمّد نشأة علمية؛ فبرز في علم الحديث واشتغل بحفظه، وأثّقنه، اختصه الأمير حمود أبو مسمار بمجالسه، وقربه إليه، كان شجاعاً مقداماً يشارك في المعارك بنفسه، إلى أن توفي في أحدها سنة 1234هـ/1818م. راجع: الضمدي، الحسن بن أحمد عاكش: حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر، حققه ودرسه وعلق عليه د. إسماعيل محمد البشري، ط1، د ن، 1413هـ/1992م، ص61، 62.
157. أحمد بن يحيى آل فائع، نجران في عهد الدولة السعودية الأولى، ع 4، س 37، مجلة دائرة الملك عبدالعزيز، 1432هـ ص ص 125-192.
158. الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، إعداد وتنفيذ دائرة الملك عبدالعزيز مركز نظم المعلومات الجغرافية، ط2، دائرة الملك عبدالعزيز، 1421هـ/2000م، ص83.
159. النعمي، تاريخ عسير، ص163، 170.
160. آل فائع، دور آل المتحمي، ص297؛ وآل قطب، الأمراء اليزيديون، ص207.
161. النعمي، تاريخ عسير، ص196.
162. آل قطب، الأمراء اليزيديون، ص239.
163. شاكر، محمود: شبه جزيرة العرب 1 عسير، د ط، المكتب الإسلامي، د ت، ص177.
164. النعمي، تاريخ عسير، ص211.

165. النعمي، تاريخ عسير، ص212.
166. آل زلفة، د. محمد بن عبدالله: دعوة الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب وتأثيرها على مقامة بلاد عسير ضد الحكم العثماني-المصري من عام 1226-1255هـ/1811-1840هـ ط1، دار بلاد العرب، مركز آل زلفة الثقافي والحضاري، 1424هـ/2003م، ص110، 111.
167. الحفظي، عبدالرحمن بن محمد: تاريخ الملك العسيري، مخطوط، محفوظ بمكتبه الأستاذ علي بن الحسن الحفظي، ولدى الباحثين نسخة، أمدنا بها في مقابلة سابقة، بتاريخ 11/6/1440هـ ورقة رقم2.
168. بن هذلول، سمو الأمير سعود: تاريخ ملوك آل سعود، ط1، مطابع الرياض، 1380هـ/1961م، ص26؛ وعسيري، علي أحمد عيسى: عسير من 1249هـ/1833م-1289هـ/1872م دراسة تاريخية، د ط، مطبوعات نادي أبها الأدبي، 1407هـ/1987م، ص247، 259؛ وأبو علي، عبد الفتاح حسن: تاريخ الدولة السعودية الثانية 1256-1309هـ/1840-1891م، ط4، دار المريخ، 1411هـ/1991م، ص190، 191؛ وآل زلفة، د.محمد بن عبدالله: علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية 1840-1872، ط3، دار بلاد العرب، 1435هـ/2014م، ص59.
169. النعمي، تاريخ عسير، ص268.
170. بن مسفر، عبدالله بن علي: أخبار عسير، ط1، المكتب الإسلامي، 1398هـ/1978م، ص114.
171. اليمني، أحمد بن حسن: الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عائض، تحقيق عبدالله بن علي بن حميد، د ط، د ن، 1398هـ/1978م، ص61.
172. النعمي، تاريخ عسير، ص272.
173. النعمي، تاريخ عسير، ص286.
174. لم يجد له الباحثين ترجمة.
175. الشقيق: بالتصغير، هي بلدة معروفة في طريق الساحل من جازان إلى مكة. راجع: العقيلي، المعجم الجغرافي، 128/1.
176. شاكر، شبه جزيرة العرب، ص210، 211، وعسيري، عسير، ص375.
177. النعمي، تاريخ عسير، ص298.
178. النعمي، تاريخ عسير، ص332.
179. النعمي، تاريخ عسير، ص354؛ آل زلفة، د. محمد بن عبدالله: عسير في عهد الملك عبدالعزيز دورها السياسي والاقتصادي والعسكري في بناء الدولة السعودية الحديثة، ط3، دار بلاد العرب، 1435هـ/2014م، ص26.

180. النعمي، تاريخ عسير، ص 357.
181. هو: الإمام يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين، ولد بالحمية عام 1286هـ/1869م، درس على يد والده علم الفرائض، والنحو والفقه وغيرها من العلوم الشرعية، كما درس على يد الشيخ علي الصنعاني، والآنسي، تقلد إمامة اليمن سنة 1322هـ/1904م، راجع: مطهر، المؤرخ العلامة عبدالكريم بن أحمد: سيرة الإمام يحيى حميد الدين المسماة كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة، دراسة وتحقيق الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحية، ط1، دار البشر، 1418هـ/1998م، 1/11، 13، 24، 31، 89، 310.
182. النعمي، تاريخ عسير، ص 381.
183. النعمي، تاريخ عسير، ص 384؛ للمزيد حول مفاوضات أبها، راجع: آل زلفة، د. محمد بن عبدالله: بيان عن العلاقات بين المملكة العربية السعودية والإمام حميد الدين 1345هـ-1353هـ/1925م-1934م، ط3، دار بلاد العرب، 1436هـ/2015م، ص 137.
184. النعمي، تاريخ عسير، ص 373.
185. النعمي، تاريخ عسير، ص 381.
186. سالم، د. سيد مصطفى: تكوين اليمن الحديث -1 اليمن والإمام يحيى 1904-1948، ط4، دار الأمين، 1413هـ/1993م، ص 364، 367.
187. الرشيد، ضاري بن فهد: نبذة تاريخية عن نجد، أملاها الأمير، وكتبها الأستاذ وديع البستاني، قدم لها وحققها الدكتور عبدالله الصالح العثيمين، د ط، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على توحيد المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1999م، ص 33.
188. النعمي، شذا العبير، ص 12، 48، 215، 289، وصفحات أخرى متفرقة.
189. النعمي، التراجم الملحقة، ورقة 39، 41.
190. النعمي، تاريخ عسير، ص 18.
191. تثليث: بفتح أوله وسكون ثانيه، وهي مقر المحافظة السادسة التابعة لمنطقة عسير، وهي من أقدم حواضر قحطان، وسيمت تثليث نسبة إلى واديها المشهور والعملاق. راجع: الحربي، المعجم الجغرافي، 1/296.
192. النعمي، تاريخ عسير، ص 20.
193. النعمي، تاريخ عسير، ص 33، 62.
194. النعمي، تاريخ عسير، ص 63، 66.
195. النعمي، تاريخ عسير، ص 68، 105.
196. النعمي، تاريخ عسير، ص 20.
197. النعمي، تاريخ عسير، ص 167.

198. النعمي، تاريخ عسير، ص166.
199. النعمي، تاريخ عسير، ص164، 165.
200. النعمي، تاريخ عسير، ص134.
201. النعمي، تاريخ عسير، ص167.
202. النعمي، تاريخ عسير، ص172، 173.
203. النعمي، تاريخ عسير، ص171، 174.
204. النعمي، تاريخ عسير، ص295، 300.
205. الغلامي، عبدالمنعم: الملك الراشد جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز، ط2، دار اللواء، 1400هـ/1980م، ص87، وآل زلفة، د.محمد بن عبدالله، بيان عن العلاقات، ص23.
206. النعمي، شذا العبير، ص338.
207. شنقيط: مدينه في موريتانيا في المنطقة الشمالية الغربية منها اشتهرت لكونها واقعة على طريق القوافل، وأيضاً مركزاً ثقافياً علمياً، ويعرفون أهلها بالشناقطة. راجع: العيودي، محمد بن ناصر: إطلالة على موريتانيا، ط1، د ن، 1417هـ/1997م، ص17.
208. لقاء الدارة بتاريخ 2/ 6/ 1425 هـ.
209. لقاء مجلة العدل، شوال 1426هـ/ 2005م.
210. هاشم بن سعيد بن علي النعمي: لمحة موجزة تعبر عن بداية التعليم الحديث في العهد السعودي بمنطقة عسير، بحث غير منشور، حرر بتاريخ 3/4/1415هـ - 8/9/1994م، مخطوط في مكتبة هاشم النعمي، ولدى الباحثين نسخة منه.
211. القصيم: منطقة صغيرة نسبياً، ولكنها عامرة بالسكان مقارنة بالمناطق المجاورة لها، تقع في قلب شبه الجزيرة العربية، وهي على درجة كبيرة من الأهمية، وهي منطقة زراعية. راجع: معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوبي الأردن وسيناء، ترجمه وعلق عليه أ.د. عبدالله ناصر الوليحي، د ط، دار الملك عبدالعزيز، 1434هـ/2013م. 8/285.
212. الباحة: بفتح الباء، وهي بمعنى الأرض الفسيحة، بلدة كبيرة تقع في الطرف الشمالي الغربي من بلاد غامد، تعتبر قاعدة المنطقة الإدارية وبها جميع الأجهزة الحكومية، وتشتهر بزراعة الورد والأشجار. راجع: الزهراني، علي بن صالح السلوك: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد غامد وزهران، ط2، دار اليمامة، 1401هـ/1981م، ص45.
213. رنية: هي المكان الرئيس في وادي سبيع بأقصى جنوب غربي نجد. راجع: الوليحي، معجم البلدان والقبائل، 4/122.
214. خطاب عدد 5102، مديرية المعارف العامة، مدير المعارف العام محمد بن مانع إلى

الأستاذ هاشم النعمي بشأن طي قيده من مدرسة رجال ألمع وإثبات قيده في مدرسة محایل، بتاريخ 1366/7/9هـ - 1947/5/25م، مكتبة هاشم النعمي، ولدى الباحثين صورة من هذا الخطاب.

215. قرار رقم 126، رئيس القضاة بشأن طلب الشيخ هاشم النعمي نقله من قضاء محایل إلى قضاء رجال ألمع بتاريخ 1378/5/8هـ - 1958/11/19م، مكتبة هاشم النعمي، ولدى الباحثين صورة من هذا الخطاب.

216. بالبحمر: يقع مركزها بقرية جحدل شمال أبها على جانب وادي صبح، يخدم المركز قبائل بالبحمر حاضرة وبادية، ومزود بكافة الخدمات. راجع: الحربي، المعجم الجغرافي، 36/1.

217. باللسمر: تقع شمال مدينة أبها ترتبط أغلب قراها بشبكة زراعية، والمركز مزود بخدمات الكهرباء العامة، والخدمات البريدية والهاتف. راجع: الحربي، المعجم الجغرافي، 36/1.

218. خطاب سابق، بشأن تسهيل مهمة الشيخ هاشم النعمي في مؤلفه المعجم الجغرافي للمنطقة.

جزيرة بريم (ميون) وأهميتها التاريخية والاستراتيجية في البحر الأحمر من منتصف القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين

إعداد / د أمل عبد المعز الحميري

استاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر - جامعة صنعاء - اليمن

ملخص الورقة البحثية

تحتل الجزر اليمنية موقعاً مهماً جغرافياً وتاريخياً واقتصادياً وإستراتيجياً وتشرف بموقعها على خطوط الملاحة الدولية قديماً وحديثاً. وتعد جزيرة ميون (بريم) أحد أهم الجزر اليمنية التي احتلت موقعاً مهماً في السياسة الدولية والعالمية وفي ادبيات المؤرخين والرحالة الأجانب منذ بدأت رحلات الإستكشاف الجغرافي للعالم من قبل الغرب الأوربي وحتى الوقت الراهن، وذلك لموقعها الإستراتيجي المهم .

وقد بدأت أهميتها الإستراتيجية والتاريخية تظهر مع ظهور الصراع البريطاني الفرنسي حول المواقع المهمة في البحر الاحمر ويعد العام 1799م نقطة تحول في تاريخ هذه الجزيرة وهو العام الذي اقدمت فيه بريطانيا على إحتلالها خوفا من تقدم منافستها فرنسا التي كانت في سباق محموم مع بريطانيا على حيازة المستعمرات في الشرق . تتبع هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والسرد التاريخي المبني على الوثائق والمصادر والمراجع المختلفة.

وقد توصلت هذه الدراسة لعدد من النتائج والإجابات على الاسئلة وعلى مشكلة البحث التي تتلخص في الآتي:

- موقع الجزيرة الخطير وأهميته الإستراتيجية بالنسبة للبحر الأحمر والدول المحيطة كونه يقسم مضيق باب المندب إلى قسمين .
 - الأهداف التي جعلت بريطانيا تتجه بأنظارها نحو جزيرة بريم ، والتي تلخص أهم سبب الصراع الدولي حينها على المواقع الإستراتيجية في البحر الأحمر سعياً لإملاك احد هذه المواقع والتحكم في مضيق باب المندب اقتصادياً وسياسياً .
 - أعمال الإنجليز الإنشائية والعسكرية في الجزيرة بعد إحتلالها والتي تبين أن بريطانيا اقامت العديد من المواقع العسكرية والمباني الإنشائية والتحصينات المختلفة فيها.
 - موقف فرنسا من ذلك الاحتلال
 - إشارات بعض المؤرخين اليمنيين وكتاباتهم عن الإنجليز في بريم (ميون)
 - المحاولات الخارجية للتدخل في القواعد العسكرية فيها. ومنها محاولات الكيان الصهيوني.
- وقد خلصت الدراسة لعدد من التوصيات التي ارفقت مع خاتمة البحث.

Abstract

The Yemeni islands occupy an important geographical, historical, economic and strategic location, by their location control the global shipping lines in the past and present.

Perim Island (Mayyun) is one of the most important Yemeni islands that, due to its important strategic location, occupied a significant position in the international politics as well as in literature of foreign historians and travelers, since the beginning of journeys of geographical discoveries of the world by West-European to the present time.

Its strategic and historical importance has emerged at the beginning of the British-French conflict over strategic locations in the Red Sea. The year of 1799 is a turning point in history of this island as it is the year at which Britain occupied the island, fearing that it would be occupied by its rival, France, which was in a feverish race with Britain over the possession of colonies in the East.

This study follows the descriptive analytical method and historical narration based on the various documents, sources and the references.

The study answered the questions of research problem, reached a number of results which are summarized in the following:

1. The vital location of the island and its strategic importance for the red sea and the surrounding countries, as it divides the strait of Bab-el-Mandeb into two parts.
2. The goals behind Britain's move towards Prim Island, which are summarized in the most important reason of the international conflict, at the time, on the strategic locations in the Red sea in an attempt to own one of these locations for the purpose of control the strait of Bab El- Mandab economically and politically.
3. After being occupied, Britain has established many military sites, facilities, buildings and various fortifications there.
4. France's reaction on that occupation.
5. Other external attempts to interfere in the island by establishing military bases including the attempts of the Zionist entity.

The study concluded a number of recommendations that were included with the conclusion of the research.

المقدمة

يتمتع اليمن بموقع إستراتيجي مهم، يتحكم بعدد من المواقع ذات الأهمية الجيوإستراتيجية كونه يطل على البحر الأحمر غربا والبحر العربي وخليج عدن جنوبا، ويمتلك عدد من الجزر المهمة التي نالت إهتمام الكثير من الرحالة الاوربيين إبان عصر الكشوف الجغرافية، وجعلوا منها مراكز إنطلاق نحو طرق التجارة إلى الهند أو محطات لتزويد سفنهم بالفحم. ومن هذه

الجزر جزيرة ميون (بريم) كما يسميها الغرب ودرجت التسمية لدى الكثير من الأدباء العرب واليمنيين.

وقد واجهت الباحث العديد من التساؤلات تمثلت في الآتي :

1. ما أهمية موقع الجزيرة في عنق المضيق إستراتيجياً وجغرافياً
 2. ماهي الأهداف التي جعلت بريطانيا تتجه بأنظارها نحو جزيرة بريم، وهل تلك الأسباب هي من ساهمت بإذكاء الصراع الدولي حينها على المواقع الإستراتيجية في البحر الأحمر، سعياً لإمتلاك أحد هذه المواقع والتحكم في مضيق باب المندب إقتصادياً وسياسياً.
 3. هل ترك الإنجليز اعمالاً إنشائية وعسكرية في الجزيرة بعد إحتلالها وماهي أهمها.
 4. ما هو موقف القوى المنافسة لبريطانيا متمثلة بفرنسا من ذلك الاحتلال . .
 5. ماهي المحاولات الخارجية للتدخل في القواعد العسكرية فيها.
- إن تاريخ جزيرة بريم (ميون) يفرض أهميته الموقع الذي جعل للمكان تاريخاً مهماً، وذلك أن وقوعها في عنق المضيق جعلها تشرف على جميع الأنشطة البشرية بجميع الأصعدة سواء حروب وصراعات أم أنشطة تجارية وإقتصادية أو أعمال قرصنة وتخريب. ومن هذا المنطلق فإن إعادة قراءة تاريخ هذه الجزيرة ودراسته، من الأهمية بمكان؛ لمعرفة أسباب الصراع القديم والحديث والتطلعات الدولية في الجزيرة حاضراً. وتلافي أخطاء الماضي والتي جعلت من المكان هدفاً لإمبراطورية أفلت.
- وكان من أهم أهداف هذه الدراسة إلقاء الضوء على حجم أهمية هذا المسرح الجغرافي وعلاقته بالصراعات العالمية الدائرة وبتطلعات الكيان الصهيوني بالسيطرة عليه لتنفيذ أهداف وخطط وغايات رسمت لها منذ مئات السنين.

مصادر ومراجع الدراسة :

تستند هذه الدراسة على عدد من الوثائق من الأرشيف البريطاني، كونها كانت تابعة لعدن فترة الإستعمار البريطاني وهذه الوثائق عبارة عن مراسلات بين المقيم السياسي في عدن

وإدارة المستعمرات في الهند حول الجزيرة وأهميتها الإستراتيجية.

كما أن كتاب عدن تحت الاحتلال البريطاني لـ Gavin, R تناول بإسهاب وضع الجزيرة الإقتصادي والحرية التجارية فيها وصراع الشركات التجارية مع شركات عدن. وبالإضافة إلى المصادر والمراجع الإنجليزية فقد إهتمت بعض المراجع العربية بالإشارة إلى الجزيرة وخصوصاً الكتب ذات العلاقة بالجغرافيا والتاريخ وغيرها أمثال كتاب سلطان القاسمي «إحتلال عدن» إلا أنه يؤخذ على هذه المراجع إقتصارها على ذكر معلومات تكررت في أكثر من مرجع أجنبي ولم يتم التعمق في تاريخها وتناول جوانب الصراع الدولي حولها سوى كتاب عبد المحسن السلطان وبحث بدر صالح عبيد الذي تناول الأهمية الإقتصادية والإستراتيجية لجزيرة ميون أما عن المؤرخين اليمنيين فقد اخترنا ما تناوله المؤرخ علي بن عبد الله الواسعي .

ومن خلال المصادر والوثائق ذات الصلة أضح دور الإنجليز المهم في الجزيرة وأثر ذلك لفت إنتباه القوى العظمى وحتى موقف الكيان الصهيوني منها. وبالرغم من أهمية هذا الموضوع ، إلا أن الدراسات العلمية والاكاديمية حول هذه الجزيرة قليلة جداً، بل تكاد تكون منعدمة ، عدا بعض المقالات العلمية في المجالات والكتب الأجنبية.

منهج الدراسة :

إعتمدت الدراسة منهج البحث التاريخي والوصفي في كتابة هذه الدراسة.

الموقع والأهمية الجغرافية:

تقع جزيرة ميون (بريم) من الزاوية الغربية لشبه الجزيرة العربية في مضيق باب المندب وتشرف عليه إشرافاً كاملاً⁽¹⁾ وتقع ضمن المياه الإقليمية اليمنية، بل وتمثل إمتداداً برياً للأراضي اليمنية، وتبعد بحوالي 3 كم عن رأس جبل الشيخ سعيد⁽²⁾ و تبعد 20 كم عن الساحل الأفريقي من جهة الغرب وهي إحدى عزل مديرية ذباب (باب المندب) التابعة لمحافظة تعز⁽³⁾.

1 نجاد: عبد الله محمد ، الأهمية الاستراتيجية للجزر اليمنية في البحر الأحمر وخليج عدن ، اطروحة دكتوراه غير منشوره ، بغداد ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، مايو 2000، ص 32

2 شيخ سعيد منطقة الشيخ سعيد ” منطقة جبلية وموقع حصين مقابل باب المندب ، ارتفاعه 3000 متر عن سطح البحر وفي شرقه يقع جبل المنهلي والشيخ سعيد تقابل جزيرة ميون ، وقد حاولت بريطانيا وفرنسا السيطرة عليه في اوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، ونجحت فرنسا نوعاً ما بفرض سيطرة مؤقتة ، وظلت المنطقة طوال الفترة من 1869 الى العقد الثالث من القرن العشرين تعرف بأنها منطقة فرنسية حتى تم خروجهم منها تماماً ” أمل الحميري : النشاط الفرنسي في الموانئ والجزر اليمنية - 1869 1918 م ، اطروحة دكتوراه غير منشوره ، جامعة صنعاء ، كلية الآداب ، 2013م ، ص 8.

3 بورجي عبد الله : الجزر اليمنية في البحر الأحمر وخليج عدن ، دائرة التوجيه المعنوي ، صنعاء (1996م)



وتقع فلكياً عند تقاطع خط عرض 12.40 شمالاً وخط طول 43.25 شرقاً، وتبلغ مساحتها 13 كيلو متر مربع وتبدو الجزيرة في هيئتها كحدوة حصان تتجه بأطرافها نحو الجنوب مكونة خليجاً إلى جنوبها.

يتميز مناخ الجزيرة بأنه، حار في أغلب أوقات السنة، إلا أن شهر سبتمبر يتميز بالحرارة الشديدة على عكس باقي الشهور. ولا يتجاوز التساقط السنوي للأمطار 63 ملم سنوياً ومتوسط الحرارة خلال أشهر الصيف 32 م.⁽⁴⁾

والجزيرة بركانية النشأة ويتكون سطحها من الصخور البازلتية التي تعلوها طبقة مفككة من الاحجار والحديد إلى جانب فرشاة من الرمال ذات الأصل المرجاني، وقد تشكلت في الجزيرة عدة تضاريس وتعرجات وخلجان صالحة لإقامة الموانئ والمرافئ وميناء بريم يقسم إلى قسمين خليج ميدي، وآخر خليج وليام شرقاً. كما أنها مستوية السطح في قسمها الشمالي وتتميز فيه بوجود الحشائش والأشجار القصيرة أما قسمها الجنوبي فيرتفع مستواه ليصل إلى 69 متر فوق مستوى سطح البحر، ويزداد عمق خليج وسط الساحل الجنوبي للجزيرة وهو مدخل ميناء بريم

4 عبد الرقيب ثابت سعيد : الجزر اليمنية في البحر الأحمر ، ص 114.

ويقسم الخليج إلى عدد من الخلجان الصغيرة⁽⁵⁾

وجزيرة ميون تقسم مضيق باب المندب إلى ممرين ملاحيين؛ المضيق الصغير ويسمى باب الإسكندر⁽⁶⁾ وعرضه 3 كيلو مترات من الطرف الشمالي للجزيرة وحتى منطقة الشيخ سعيد في الساحل اليمني، والملاحة فيه غير مأمونة، بسبب التيارات البحرية غير المنتظمة. أما المضيق الكبير عرضه 21 كيلو متر من الطرف الجنوبي للجزيرة حتى ساحل جيبوتي (بر دناكل) وتستحوذ الجزيرة على حوالي 12 كم من هذا الممر، مما جعلها تتحكم به كمر حيوي عالمي إنطلاقاً من موقعها الجغرافي الطبيعي الاستراتيجي⁽⁷⁾. وهذا الممر يستعمل في الملاحة الدولية، وتمر به ناقلات النفط العملاقة ويمر من أمامها ما يقارب 4.8 مليون برميل نفط يومياً، 121 ألف ناقلة سنوياً إلى الأسواق الغربية والأمريكية⁽⁸⁾



5 جزر البحر الأحمر : الجمعية الملكية، مركز الدراسات العربية، الملف العلمي، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، الأردن، عمان، د. ت، د. ط، ص 749.

6 نجاد، الأهمية الاستراتيجية للجزر اليمنية، ص 33.

7 عبيد، بدر صالح: الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية لجزيرة ميون (بريم)، الندوة الدولية الثانية حول الاستراتيجية التنموية لجزيرة سقطرى والجزر اليمنية الأخرى، 14 16 - ديسمبر 2003م، عدن، الجمهورية اليمنية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ص 74.

8 نجاد : الأهمية الاستراتيجية، ص 34.

تعرف الجزيرة في الأدبيات الأوربية باسم (بریم)، بينما إسمها العربي (ميون) وكان الأستاذ بطرس البستاني الضليح في اللغة العربية قد إعتد ذلك القول في دائرة المعارف وأطلق عليها إسم (بريم) . وهو ما دفع الكثير من الباحثين والجغرافيين لإعتداد الإسمين معاً أثناء الإشارة لهذه الجزيرة.

تتكون جزيرة ميون من خمس قرى صغيرة⁽⁹⁾ وهي:

ميون كمبني :

حيث كان يوجد بها ميناء رئيسي لتزويد السفن بالفحم ومنها الشركات المنقبة عن البترول، وبعض الخدمات مثل الإتصال والأمن والتعليم والصحة.

ميون سرکالي:

وهي قرية صغيرة يسكنها الصيادون وبيوتها مبنية من الخشب وتوجد بها عمارة قديمة مبنية من الحجارة ومستودعات كانت تستخدم لحفظ الاسماك المجففة، والتي تصدر إلى عدن.

ميون المنارة:

ويوجد بها منار كبير لإرشاد السفن العابرة من مضيق باب المندب والمضيق الكبير الدولي المحاذي للساحل الجبوتي _بر دناكل.

ميون بتون

يوجد بها فناء صغير لإرشاد السفن، كما قام البريطانيون بتشيد منتجع سياحي أثناء إقامتهم فيها إضافة إلى وجود مقر سكن خصص للملكة اليزابيت اثناء زيارتها لمستعمرة عدن.

ميون برکوت :

وتقع على الساحل المقابل لمنطقة الشيخ سعيد -الساحل اليمني وبجانبها مطار كان يستخدم للطائرات البريطانية التي تزودها بالمواد وتنقل الجنود⁽¹⁰⁾.

الاهمية الاستراتيجية والتاريخية لجزيرة ميون :

يعد موقع جزيرة ميون (بريم) من المواقع ذات الأهمية الإستراتيجية الذي أتاح لها التحكم بالبحر الأحمر من جهة الجنوب⁽¹¹⁾ بصفقتها تقع ضمن المياه الإقليمية اليمنية، وكانت (بريم) كما يذكر المؤرخ الواسعي تتبع إمام صنعاء حاضرة اليمن، إلا انه أثناء الصراع الدولي بين بريطانيا وفرنسا حول المواقع المهمة في البحر الأحمر تقدم الإنجليز لإحتلالها عام 1857م. وقد كان للمؤرخين اليمنيين المعاصرين موقفاً موحداً ضد الوجود الإستعماري الغربي في

9 عدي: الأهمية الاستراتيجية لجزيرة ميون، ص 76.

10 عدي: الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية لجزيرة ميون (بريم)، ص 76.

11 السلطان، عبد الله عبد المحسن: البحر الأحمر والصراع العربي الاسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 3، بيروت 1988 م، ص 31.

عدن والسواحل اليمنية ، وعبر عن ذلك الواسعي بقوله « إزداد شأنها بعد فتح ترعة (قناة) السويس فقد أصبحت تشرف على البحرين البحر العربي والبحر الأحمر، وغدت في أيدي البريطانيين مفتاحاً ذا بايين جليلين، أو سيفاً ذا حدين مرهفين⁽¹²⁾ .

لم تكن القوات البريطانية هي أولى القوات الاوربية التي سعت لإحتلال الجزيرة والسيطرة عليها فقد شهدت الجزيرة في اوائل القرن السادس عشر الميلادي، زحف الجيوش البرتغالية بقيادة ألفونسو دا البوكيرك لتنفيذ الأوامر الملكية البرتغالية، وذلك بالإبحار جنوباً وصولاً إلى مضيق باب المندب عبر عدن في الخامس عشر من يوليو 1513م⁽¹³⁾

وعند وصولهم إلى الجزيرة أمرهم قائدهم، برفع الأعلام على السفن وإطلاق المدافع . ويصف الفونسو ذلك الموقف قائلاً (فغمرت الفرحة كل من كان في الأسطول واتجه للرسو في الميناء الشرقي الذي يقع مباشرة داخل المضيق وعاد رجالنا وقد امسكوا بالمرشد وكان البرتغال مسرورين لحصولهم على مرشدين للبحر الأحمر).

كان البوكيرك وهو يطوف حول سواحل البحر الأحمر الجنوبية يحمل مشروعان مهمان، لولا أن حال الموت بينة وبين تنفيذهما

وكان المشروع الأول ينص على الآتي:

«أن يتوغل إلى سلسلة الجبال التي تجري على جانبي النيل في بلاد الحبشة لتحويل مجرى النهر وبذلك لا تجد القاهرة مياه لري أراضيها » ، أما المشروع الثاني فهو :

« ان يقوم عند عودته إلى البحر الأحمر (بمساعدة الرب) بتجهيز حملة من 400 فارس على متن سفن الكافورا وينزلوا في ميناء ينبع لينطلقوا بسرعة إلى مسجد مكة، ويسلبوا كل كنوزه منه ويأخذوا معهم رفاة نبيهم وينقلوه بعيداً للمقايضة عليه بمعبد القدس (المسجد الأقصى) أي اقتداءً بالقدس به.⁽¹⁴⁾ وكان البوكيرك يرى أن هذا المشروع بإمكانه تنفيذه بكل سهوله لعدة اسباب أهمها؛ أنه في حال سيطر على أهم المراكز في مضيق باب المندب وجزيرة ميون (كمران)، إضافة إلى أن المسافة من ينبع إلى المدينة لا تستغرق أكثر من يوم ونصف اليوم، وفي المدينة رفاة (صلى الله عليه وسلم)، ولن يجدو مقاومة كبيرة من المسلمين المتواجدين هناك لقلّة إعدادهم وعوزهم، فهم يعيشون على الصدقات التي يرسلها حاكم مكة⁽¹⁵⁾ . والأهم

12 الواسعي : تاريخ اليمن ، ص 100.

13 أفونسو دلبوكيرك : السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك، الفه وجمع وثائقه من أرشيف لشبونة والمصادر الارشيفية الملكية ابنه، وترجمه عن البرتغالية والتر دي جراي بيرش، ترجمه إلى العربية / د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ج 3، 4، ط 1، الامارات العربية المتحدة، ابو ظبي ، المجمع الثقافى، 2000م، ص 472.

14 نفسه

15 نفسه ص، 475

من ذلك ان هذا المشروع يتم ب استخدام 300 فارس بدوي بدون سلاح لأنه لا يجسرون على مهاجمة قواتهم وان وصول أي دعم من القاهرة يستغرق من 30 40- يوم ، وهذا يستهلك الكثير من العدة والرجال والطريق وعمر وغير سالك وتحفه الصحراء من كل جانب. وهذه العوامل ستساهم بنجاحهم المؤكد . وبالفعل توجه البوكير إلى جزيرة ميون ووصل إلى شواطئها، والتي وجد ان بمكانة ان يرى ساحل بلاد الحبشة ودهلك حليفهم الدائمة، وأثناء اقامتهم فيها شيد البوكيرك بنايات عسكرية، ونصب في أعلى قمة فيها صليب أسماه فيراكروز⁽¹⁶⁾ ، لكنهم لم يمتكثوا طويلا فيها نظراً لشحة المياه العذبة، إضافة إلى أن حملة هكذا قوامها تستلزم الكثير من مياه الشرب، لذا قرر البوكيرك الخروج من الجزيرة والتوجه نحو جزيرة كمران للإقامة فيها وتزويد رجالهم بالماء العذب والمؤن .

بريطانيا وجزيرة ميون :

يعد القرن التاسع عشر الميلادي قرن الصراعات المائية لإمبراطوريات الرياح الموسمية، وقد شهد صراعاً حاداً بين القوى العظمى المتمثلة ببريطانيا وفرنسا، حول حيازة أكبر قدر من المستعمرات والمواقع المهمة في طريق الملاحة الدولية في البحر الأحمر والمحيط الهندي. وكان أي تقدم تحرزه فرنسا المنافس الشرس لبريطانيا، تقوم الأخيرة بحشد قواتها في موقع يقطع بذلك على فرنسا احلامها واهدافها الإستراتيجية في المنطقة، فبعد إحتلال فرنسا لمصر بقيادة نابليون بونابرت في العام 1799م، توجهت بريطانيا بأنظارها نحو جزيرة ميون (بريم) ” لما خافت إنجلترا ان يفلت بونابرت من ديار مصر إلى ربوع الهند أو أن يفعل الأفاعيل في البحر الأحمر، بعثت بأبنائها من يحتلها⁽¹⁷⁾ .“

قامت حكومة بريطانيا بإجراء العديد من الإتصالات بالدولة العثمانية وروسيا لمجابهة الزحف الفرنسي نحو البحر الأحمر، كما عملت على توثيق صلاتها بحكام المنطقة خوفاً من إتصال فرنسا بهم، وذلك لتدعيم وجودهم في البحر الاحمر⁽¹⁸⁾ ، إلا ان الرد الأكثر مجابهة هو إحتلالهم لجزيرة ميون (بريم) فعليا ، وبناء على ذلك فقد اجريت عدة مشورات بين الحكومة البريطانية في لندن ، وحكومة بومباي في الهند لإحتلال الجزيرة ، كما قام مكتب البحرية في بومباي بإرسال الرسائل والبرقيات إلى رئيس مجلس حكومة بومباي⁽¹⁹⁾ ، يصف له أهمية الجزيرة في مضيق باب المندب وضرورة إقامة قواعد عسكرية فيها والسيطرة عليها، مبدئياً مخافة من قيام الفرنسيين بأعمال تهدد إستقرار الشركة البريطانية في الهند⁽²⁰⁾ .

16 حمزه لقمان : تاريخ الجزر اليمنية ، مطبعة الجميل ، ص 19 .

17 الواسعي : تاريخ اليمن ، ص 101 .

18 جميله العيسى: الصراع البريطاني الفرنسي على البحر الاحمر ، ص 68

19 م. و. ث. وثيقة برقم - 1791 ، ت 18 / 11 / 1798 م ، مكتب رئاسة الجمهورية ، صنعاء ، ص 302 .

20 فاروق اباضه : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص 83 .

وخلال تلك الفترة قام حاكم بومباي بإجراء إتصالات دبلوماسية مع بعض حكام البحر الأحمر، كإمام اليمن وسلطان الحج، وشريف مكة، وحاكم جده وحاكم المخا في العام 1799م، وإشتملت رسائله على لغة التحذير من الفرنسيين وخطرهم في البحر الأحمر، وأن الإشاعات التي وصلت إليه تفيد بأنهم قد إتخذوا من جزيرة ميون مقراً للسلب والنهب وعمت الفوضى أرجاء الجزيرة⁽²¹⁾.

صدرت الأوامر للكولونيل جون موراي بإحتلال الجزيرة، فخرجت حملة قوامها 300 أوربي وهندي بقيادة موراي ووصلت الحملة ارض الجزيرة في الخامس من مايو 1799م⁽²²⁾. أما في بومباي فقد أعدت الحملة المكلفة باحتلال الجزيرة والتي ضمت أنواعاً مختلفة من السفن الحربية وسفن نقل الجنود والمؤن.⁽²³⁾

كانت كل تلك القوة البرية المجهزة مكونة من 800 رجل ، 200 منهم أوربيين ، وصدرت الأوامر أن تكون قيادة الحملة تحت امرة العميد البحري جون بلانكيت قائد السفن الملكية البريطانية في البحر الأحمر والمناطق المجاورة ، وتم تكليف الكولونيل موراي بقيادة الجيوش المعنية بإحتلال الجزيرة ، فتحركت الحملة في بداية شهر ابريل من عام 1799م⁽²⁴⁾. وصلت الحملة إلى الجزيرة في مايو من عام 1799م ، لتجد الكابتن هاغيت Capt. Haggit قد إستولى عليها بإسم ملك بريطانيا، ورفع العلم البريطاني عليها قبل يومين من وصول الحملة؛ فأنزلت القوات على أرض تلك الجزيرة، وكانت أكبر مشكلة واجهتهم هي عدم توفر المياه العذبة، كما أن القوات المتواجدة بالجزيرة لم تكن كافية ولم تكن مجهزة جيداً. إضافة إلى أن خزانات المياه الخشبية كانت تتفجر بينما الخزانات التي بنيت من الحجارة فكانت تحتاج لوقت أطول حتى تكون صالحة للإستعمال، نظراً لكل ذلك، فقد قام موراي بإرسال برقية إلى حاكم بومباي في الثاني والعشرين من مايو يطلعه على أوضاعهم المعيشية الصعبة في الجزيرة وأن المياه بالكاد تكفي من 8 - الى 9 أيام ، كما أن العرب لم يزودهم بالماء العذب⁽²⁵⁾.

من الملاحظ أن الحملة لم تتحمل البقاء في الجزيرة لسببين الأول: عدم توفر المياه العذبة للشرب، والثاني: توقيت وزمن الحملة لم يكن مناسباً فأشهر الصيف في المناطق الساحلية تكاد تكون في قمة الحرارة والمناخ غير ملائم لجنود أوروبيين يطئون الجزيرة لأول مرة، ومع ذلك فقد مكثت الحملة في الجزيرة خمسة أشهر وظلت بريطانيا محتفظة بها حتى الأول من

21 جميله العيسى : الصراع البريطاني الفرنسي في البحر الاحمر، ص 69.

22 فاروق اباضه : عدن والسياسة البريطانية، ص 83

23 القاسمي : الاحتلال البريطاني لعدن، ص 46.

24 نفسه

25 م . و ، ث ، وثيقة برقم 1- 179 ، 1، 2، ص 15.

سبتمبر من عام 1799م⁽²⁶⁾. وعلاوة على الأسباب السابقة فبمجرد جلاء القوات الفرنسية عن مصر، وعلم القوات البريطانية بهزيمة الفرنسيين في معركة ابي قير البحرية، والوضع الذي آلت اليه فرنسا عموماً، فقد انسحب البريطانيون من الجزيرة، بحجة انها ليست ذات فائدة ومناها رديء للغاية⁽²⁷⁾.



مبنى القوات البريطانية في ميون (بريم)

^{٢٦} م. و. ث. وثيقة رقم : 1- 187

^{٢٧} أمل الحميري: موقف بريطانيا من جزيرتي سقطرى وكمران . ص 45.



منارة بناها البريطانيون عام 1857م.

عادت أهمية جزيرة ميون تطفو على السطح ، بعد أن طرحت فكرة شق قناة السويس، وأكد كوجلان المقيم السياسي في عدن في تقريراً له إلى حكومة بومباي عام 1856م جاء فيه « أنه إذا ما تم شق قناة السويس فإن احتلال ميون (بريم) سوف يزيد الثقل البريطاني في تلك المنطقة ، وان الفرنسيين يضعون نصب أعينهم الجزيرة وأن الحكومة الفرنسية أوصت باحتلالها»⁽²⁸⁾. لذلك قامت بريطانيا بإرسال معززة بحرية من عدن لمسح الجزيرة والإعداد لإقامة فنان لإرشاد السفن الذي أقيم بعد ست سنوات من احتلال البريطانيين للجزيرة عام 1857م⁽²⁹⁾. وفي العام 1859م اقترحت البحرية الهندية وضع محطة فحم لتزويد السفن والدوريات التي كانت تنتشر جنوب البحر الأحمر لمراقبة ومكافحة تجارة الرقيق⁽³⁰⁾.

وخلال تلك السنوات كانت الإشاعات تقاذفها شركات الإمبراطوريات المتنافسة حول المواقع

28 قصي كامل شبيب : أهمية مضيق باب المندب في التاريخ الحديث والمعاصر، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1994م، ص 62

Gavin.R.J, Aden under British ruol 1839-1967.London. Hurst.C.and 29 . company.1975.p212

.Ibid 30

الإستراتيجية في البحر الأحمر، فتهادي إلى مسامح البريطانيين بأن فرنسا تنوي شراء أرضاً مقابل جزيرة بريم وربما خططت لإحتلالها، ولتقطع بريطانيا على فرنسا أحلامها في التمدد في الموانئ المطلة على البحر الأحمر الشرقي، قامت بإرسال حملة عسكرية إلى مضيق باب المندب وجزيرة ميون، وهو ما جعل فرنسا تقوم باحتلال ميناء أوبوك « Obok » على الشاطئ الصومالي عام 1869م⁽³¹⁾.

كانت الشركات التجارية البريطانية تعمل على رفع أسهمها وإسمها عالياً، وبدأت تعمل في تنافس مستمر، حيث حصل السيد هينش ليندنج على ترخيص بإنشاء محطة لتزويد السفن بالفحم في جزيرة بريم في 29 اغسطس من عام 1881م ويعد جفيان هذا العام بداية للصراع والمعارك بين شركة عدن للفحم وشركة بريم للفحم الناشئة، وقد أدى ذلك التنافس بين الشركتين إلى إحتدام الخلافات وإنخفاض سعر الفحم في شركة عدن، بل أن تلك الشائعات التي أطلقها المتنافسون أدى إلى تضرر كبار أصحاب الشركات التجارية أواخر القرن التاسع عشر، منهم لوك توماس وقهوجي دونشاو. مما إضطر شركات عدن إلى الضغط على شركة بريم للفحم. نتيجة للضغوطات التي وقعت على شركة بريم للفحم من قبل شركة عدن ، فقد أقفلت شركة بريم للفحم. وكانت الصعوبات المالية التي واجهتها شركات وحكومة عدن من أهم الأسباب التي دعته للضغط على شركة بريم للفحم، فقد عانت من التدهور المالي بشكل سريع. ومن المفردات الملاحظة أن إزدهار ميناء بريم كان منوطاً أو مشروطاً بتدني مستوى ميناء عدن، الذي حارب إزدهار ميناء بريم بضروة، بسبب التدهور الإقتصادي الذي مر به جراء منافسة ميناء بريم له⁽³²⁾.

عندها تقدمت شركة عدن بالتماس للحكومة البريطانية لتولى السيطرة التامة على ميناء بريم وإتهم المكتب الهندي (في لندن) بإحتكار بريم لشركات الفحم مما تسبب بأضرار بالغة لمصالح الشحن البحري في المملكة المتحدة وبذلك إنهارت شركة بريم للفحم أواخر القرن التاسع عشر⁽³³⁾.

جزيرة بريم (ميون) وأهميتها الاستراتيجية خلال القرن العشرين :

كانت الصراعات الدائرة في شمال اليمن بين القوى المتنافسة على الحكم، كفيلة بإهمال تتبع الوضع في الجزر المتناثرة في البحر الأحمر، إضافة الى وجود القوات البريطانية المستعمرة لعدن، وهو ما جعل جزيرة بريم (ميون) محط اطماع القوى المتنفذة والمسيطرة في البحر الأحمر، فبعد إنسحاب شركة بريم للفحم من الجزيرة أغلقت السلطات البريطانية في عدن

.Ibid 31

.Ibid 32

Ibid.p 216 33

ميناء ميون (بريم) في أكتوبر من عام 1936م امام السفن الملاحية⁽³⁴⁾. بقيت جزيرة ميون، تحت الحماية البريطانية حتى أرف وقت رحيلها عن المنطقة بصفة نهائية في العام 1967م، لكنها قبل رحيلها قامت بإثارة لمشكلة جديدة وطلبت من الأمين العام للأمم المتحدة، بأن يبعث مجموعة من القوات الدولية في المضيق (باب المندب) بعد رحيل القوات البريطانية عنها، ثم من بعض الدول الأخرى بتحريض من (الكيان الصهيوني) لتدويل المضيق بأكمله⁽³⁵⁾.

تصدت السلطات اليمنية لتلك المحاولة بأن اصدرت بياناً رسمياً في 22/ يوليو 1967م وجهته للأمين العام للأمم المتحدة وإلى الامين العام لجامعة الدول العربية، أوضحت فيه بأن المحاولة البريطانية الرامية إلى تدويل جزيرة ميون (بريم) تمثل انتهاكاً صريحاً لمبادئ القانون الدولي وخرقاً لميثاق الأمم المتحدة⁽³⁶⁾. لذلك فأنها تؤكد للرأي العام العربي والعالمي، بأنها ستقاوم بشدة وصلابة كل محاولة تهدف إلى تدويل هذه الجزيرة، وتستخدم حقها المطلق في الدفاع الشرعي عن أراضيها وسلامتها من التجزؤ والانتقاص⁽³⁷⁾.

اما بالنسبة لموقف الجامعة العربية، فقد اصدرت بياناً إلى الأمم المتحدة شجبت فيه الإقتراح البريطاني وأكدت بأن جزيرة بريم (ميون) تعتبر جزء لا يتجزأ من الأراضي اليمنية، وان ليس لأحد اطلاقاً الحق في تدويلها وأن السلطات اليمنية هي الوحيدة من لها الحق في معالجة الموضوع بما يتفق مع قواعد القانون الدولي⁽³⁸⁾.

ولما كانت الجامعة العربية تدرك خطر مطالبة الكيان الصهيوني في تحركاتها حول الجزيرة، فقد أوضحت أن إسرائيل تطمح لتأسيس وجود لها في مدخل البحر الأحمر، والذي اكدت في اكثر من مناسبة ضرورة تأمين حريتها الملاحية في البحر الأحمر. وأشارت مذكرة الجامعة العربية التي رفعتها لوزارة الخارجية المصرية، إلى أن إسرائيل تتوق إلى حرمان العرب من سيطرتهم الإستراتيجية والسياسية على البحر الأحمر، لذا بدأت جزيرة بريم تحظى باهتمام في الإستراتيجية العربية، والتي رأت ضرورة تحصينها ضد مطامع اسرائيل⁽³⁹⁾.

Naval Intelligence Division, western Arabia and the red sea (London. 1946. 34 p. 141).

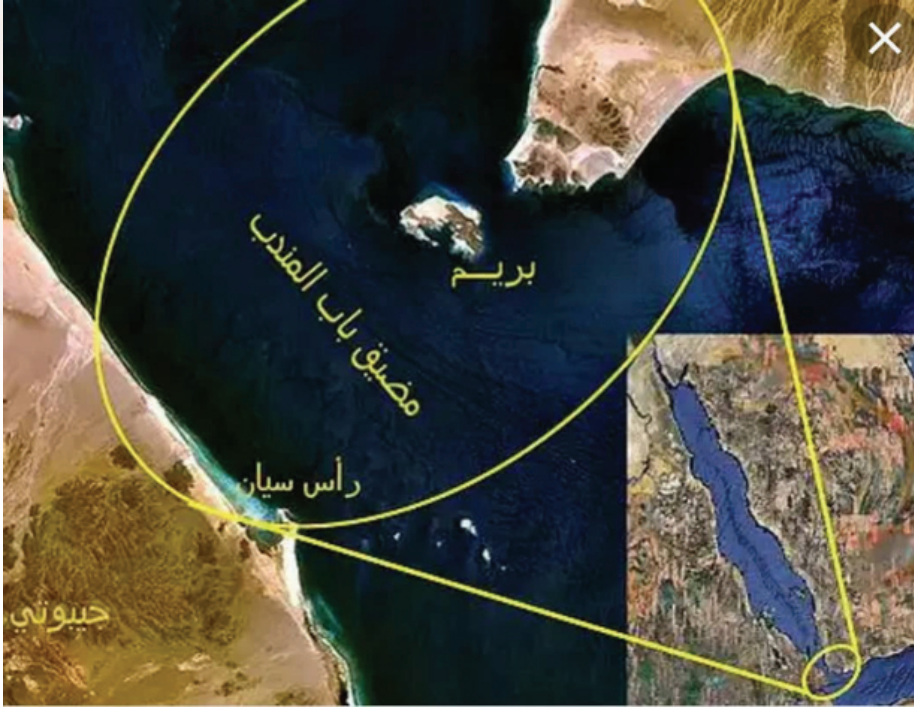
35 اليوسفي، أمين محمد: النظام القانوني للمضايق العربية، دار الحداثة، بيروت، 1988م، ص 126.

36 نجاد، المصدر السابق، ص 35.

37 نجاد، المصدر السابق، ص 35.

38 اليوسفي: النظام القانوني، ص 127.

39 السلطان: مرجع سابق، ص 186.



وتجدر الإشارة إلى أنه في أكتوبر من عام 1973م نجحت البحرية العربية في فرض حصار على الملاحة الصهيونية، ومنعها من العبور إلى باب المندب، وقامت مصر بالتنسيق مع اليمن الشمالي واليمن الجنوبي آنذاك بغلق المضيق وتم إرسال قوات من اليمن الشمالي في 14 أكتوبر 1973م، كانت تلك التحركات العربية كفيلة بمنع أي محاولة إسرائيلية تستهدف إحتلال تلك الجزيرة(40). وقد أدى إقامة القواعد العسكرية في الجزيرة وحشدها، إلى شل حركة الملاحة البحرية (الصهيونية)، وإنقطاع وصول النفط إلى ميناء إيلات لمدة شهرين(41). وقد حاولت إسرائيل تكرار عملية السيطرة على جزيرة ميون، وذلك بعد قطع علاقتها مع اثيوبيا، فقامت في اوائل فبراير من العام 1978م بمحاولة إحتلال جزيرة ميون (بريم)، إلا ان الرد جاءها هذه المرة من الولايات المتحدة، التي حذرتها من عواقب هذا التصرف، إضافة إلى قيام مصر بإرسال المدمرات المصرية إلى الجزيرة لمواجهة أي حالة طارئة(42).

40 نفسه ، ص 187.

41 نجاد: الأهمية الاستراتيجية، ص 36.

42 السلطان ، ص 187.

الخاتمة والتوصيات:

- من خلال ما سبق وجدنا ماييلي :
- ترتبط الأهمية الجغرافية لبعض المواقع ارتباطاً وثيقاً بالمتغيرات الحضارية، حيث ترتفع أهمية الموقع عندما تكون المتغيرات في صالحه، والعكس. إلا أن هناك بعض المواقع ظلت محتفظة بأهميتها الإستراتيجية الفائقة لفترات طويلة وذلك لتمييزها الشديد الناتج بإرتباطها بخطوط التجارة العالمية في الماضي والحاضر، مما جعلها في النهاية مسرحاً لصراعات بين القوى العالمية والإقليمية والتي بدأت مع حركة الكشوفات الجغرافية والاستعمار ومازالت حتى اللحظة وتمثل جزيرة ميون (بريم) إحدى هذه المواقع والتي تحقق السيطرة الكاملة على الممر البحري ..
- موقعها المشرف على مضيق باب المندب بشقيه وعلى طرق الملاحة الدولية حرك تنافس دولي وصراع حولها، ابتداء من القوة الدولية البرتغال، مروراً بالصراع الفرنسي البريطاني حولها، وانتهاء بمحاولات الكيان الصهيوني التدخل في القواعد العسكرية فيها.
- قربها من البر اليميني والساحل الاريتري ومنطقة الشيخ سعيد جعلها نقطة لإلتقاء الصيادين في تلك السواحل، ومركز لتسويق الأسماك وتجفيفها وتصديرها إلى عدن، وقد نسجت على إثر القرب الجغرافي علاقات وشراكات إقتصادية، بين سكان الجزيرة والبر اليميني ، من الممكن إستغلالها على اكمل وجه ، وتشجيع المستثمرين وتشغيل السواحل، وإستغلالها لجعلها منتجعات سياحية.
- نتيجة لأهمية ميون الإستراتيجية والملاحية فقد شيدت الحكومة البريطانية فيها عدة مبان اثرية تمثلت بالمنتجع السياحي ومحطة البرق اللاسلكية ومنازل لإرشاد السفن الملاحية وقصر الملكة اليزابيث، إضافة إلى وجود صهاريج ضخمة أسفل الجبل مرتبطة بقنوات وحواجر تستقبل مياه الأمطار من المرتفعات، وتصبها في الصهاريج لخزنها، إضافة لذلك هناك مقبرة تاريخية لأربعين شخص من الجنود الفرنسيين الذين قتلهم الثعابين اثناء محاولتهم دخول الجزيرة في العام 1738م، وبعض التشييدات البرتغالية التي تعود لتاريخ 1511م.
- إن الجزيرة بما تحتويه من آثار متنوعة لفترات تاريخية مختلفة تمثل متحف لتاريخ هذه الجزيرة ينبغي الحفاظ عليه وترميم وصيانة ما تعرض لعوامل الزمن والجغرافيا من خراب لتكن شاهدا حيا على الاحداث التاريخية التي مرت بها الجزيرة.

بناء على ما سبق نوصي بالآتي:

أولاً: على دول حوض البحر الأحمر أن تدرك يقيناً بأن أمن البلدان العربية المطلة على البحر الأحمر يقع عند باب المندب، وهو ما اثبتته الدراسات التاريخية والصراعات الاوربية طوال القرون الحديثة ، وبالتالي فإن أمن جزيرة بريم من أمن مضيق باب المندب كونها أهم المواقع التي من الممكن إقامة قواعد عسكرية فيها.

ثانياً: الجزيرة تمتلك أخطر موقع إستراتيجي عالمي، وقد عانت من التغيب والإهمال من قبل الحكومات اليمنية المتعاقبة، مالم يناله أي موقع يماني آخر، وهذا الإهمال سيعرضها للأطماع الأجنبية والخارجية مالم، تقوم الجهات المسؤولة بإعادة النظر في وضع الجزيرة الإستراتيجي.

ثالثاً: الجزيرة تعاني من الإهمال الشديد على جميع الأصعدة، فالإنسان هو المحور الذي يجب التركيز والإهتمام به حتى تشهد الجزيرة نمواً اقتصادياً وسياحياً فعلياً، فلم تشهد الجزيرة أي مشاريع تنموية سواء كانت إقتصادية أو صحية أو تعليمية، ولم تحظ بأي إهتمام تنموي يشجع سكان ميون على البقاء ويوفر لهم مقومات العيش، فقد حرمت الجزيرة من المنشآت التعليمية والخدمات الصحية وشبكات الطرق، إضافة إلى ضالة المياه الصالحة للشرب، وقلة محطات تقطير المياه، وعدم وجود تسهيلات لإصطياد الأسماك رغم توفر الأسماك الجيدة بشكل كبير.

رابعاً: واخيراً وهو المهم أن أمن حوض البحر الاحمر والبلدان العربية المطلة عليه مرتبط بصورة كبيرة بأمن الجمهورية اليمنية وجزرها المهمة في عنق باب المندب، أمام الإستراتيجيات الغربية والأطماع الصهيونية، والذي يحتم إتخاذ كافة السبل والوسائل لإحلال الأمن والسلام في المنطقة.

والله ولي التوفيق والسداد

قائمة المصادر والمراجع :

أ. الوثائق :

- م. و. ث: وثيقة برقم 1-179، ت 18 / 11 / 1798م، مكتب رئاسة الجمهورية، صنعاء.
- م. و. ث، وثيقة رقم: 1-187، مكتب رئاسة الجمهورية، صنعاء.

ب. الكتب :

1. أباضه فاروق عثمان: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر.
2. أفونسو دلبوكيرك : السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبو كيرك، الفه وجمع وثائقه من أرشيف لشبونه والمصادر الارشيفية الملكية ابنه ، وترجمه عن البرتغالية والتر دي جراي بيرش، ترجمه إلى العربية/ د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ج 3، 4، ط 1، الامارات العربية المتحدة، ابو ظبي، المجمع الثقافي، 2000م.
3. عبد الله عبد المحسن السلطان، البحر الاحمر والصراع العربي الاسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 3، بيروت 1988م
4. شبيب، قصي كامل: أهمية مضيق باب المندب في التاريخ الحديث والمعاصر، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1994م.
5. سعيد، عبد الرقيب ثابت: الجزر اليمنية في البحر الأحمر
6. الحميري، أمل عبد المعز:
- النشاط الفرنسي في الموانئ والجزر اليمنية -1869 1918م، اطروحة دكتوراه غير منشوره ، جامعة صنعاء ، كلية الآداب ، 2013م
- موقف بريطانيا من جزيرتي سقطرى وكمران من الاحتلال الى الاستقلال، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية الاداب، قسم التاريخ، جامعة صنعاء، 2006م.
7. العرشي، حسين بن أحمد: بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وامام، تحقيق الاب انستاس ماري الكرمللي من اعضاء مجمع فؤاد الاول للغة العربية ، ط 2، صنعاء ، الهيئة العامة للكتاب، 2012م.
8. القاسمي، سلطان بن محمد: الاحتلال البريطاني لعدن 1839م، مطابع البيان، ط 1، دبي، 1991م.
9. نجاد عبد الله محمد، الاهمية الاستراتيجية للجزر اليمنية في البحر الأحمر وخليج عدن، اطروحة دكتوراه غير منشوره، بغداد، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، مايو 2000م.
10. عبيد، بدر صالح: الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية لجزيرة ميون (بريم)، الندوة الدولية الثانية حول الاستراتيجية التنموية لجزيرة سقطرى والجزر اليمنية الأخرى، 14 16- ديسمبر

-
- 2003م، عدن، الجمهورية اليمنية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر.
11. جزر البحر الأحمر: الجمعية الملكية، مركز الدراسات العربية، الملف العلمي، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، الأردن، عمان، د. ت، د. ط.
12. الواسعي: عبد الواسع بن يحيى، تاريخ اليمن، صنعاء، مكتبة الارشاد، ط4، 2010م.
13. لقمان، حمزة: تاريخ الجزر اليمنية، مطبعة سيار الجميل.
14. اليوسفي، أمين محمد: النظام القانوني للمضايق العربية، دار الحداثة، بيروت، 1988م.
- Naval Intelligence Division, western Arabia and the red sea (London, 1946,) .
- p . 141

دور العلماء الحضارم العلمي والديني في مدينة عدن خلال المدة (1930-1990م)

د. خالد عبدالله عبدربه طوحد

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك - قسم التاريخ - كلية الاداب جامعة عدن - اليمن

ملخص البحث:

لا يخفى دور عدن بوصفها مستعمرة بريطانية، فميناءها الذي أسس سنة 1886م، قد جذب سكان المناطق الأخرى، وكانت عدن ماوى لأبناء أرياف المحميات (الشرقية والغربية). وهذا انعش الدور التجاري والاقتصادي في الإقليم والمجتمع الدولي، ومن المعلوم أن حضرموت جزء من المحميات الشرقية وفي ظل هذا الوضع وثقل دور أبناء حضرموت التجاري والاقتصادي. ولا يخفى ارتباط حضرموت بعدن بدعم حكام بريطانيا بمستعمرة عدن.

وعرض البحث لتدفق أبناء حضرموت علماء وتجار وطلاب على عدن؛ إذ وحد الحضارم في عدن استقراراً اقتصادياً تجارياً. ووجد علماء حضرموت مكاناً جيداً لنشاطهم العلمي والفكري، فتوزع أبنائها أساتذة، ومفكرين، وباحثين في شتى المجالات، وبعد الاستقلال وجدوا ملاذاً علمياً تمثل بإنشاء جامعة عدن في سبعينيات القرن الماضي. وبعد مرحلة جمع المادة العلمية سار البحث في مبحثين: الأول: بعنوان: (علماء الحضارم ودورهم العلمي والديني قبل الاستقلال الوطني) وتناولت فيه موطن الحضارم الأصلي قبل الهجرة إلى مستوطنة عدن، وبعد ذلك تناولت هجرة الحضارم إلى عدن وأول موطن استقروا فيه في مستوطنة عدن مع ذكر لأهم العلماء الحضارم الأوائل في التاريخ الحديث الذي استوطنوا مدينة عدن وعملوا في التدريس والقضاء والإفتاء، ثم تناولت نفرًا من علماء الحضارم في هذه التاريخ المعاصر، منهم: الشيخ العلامة علي محمد صالح باحميش، والأستاذ عبدالله بن أحمد بن عوض محيرز. أما المبحث الثاني فكان بعنوان: (علماء الحضارم بعد الاستقلال الوطني تناولت فيه من العلماء الأستاذ الدكتور محمد عبدالقادر أحمد بافقيه، والأستاذ عبدالله عبدالرزاق باذيب، والأستاذ الدكتور سعيد عبدالخير النوبان، والأستاذ الدكتور سالم عمير بكير، والأستاذ الدكتور محمد سعيد بن الفقيه العمودي. وختمت البحث بخاتمة عرضت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، وعرضت أخيراً هوامش البحث.

Abstract

Yemen has significant ancient, middle, modern and contemporary ages in addition to it enjoys geostrategic, political, historical and civilized characteristics for the advantage of the country and Islamic and Arab nation.

Everyone agrees that Yemen has a strategic location controlling a national, regional and

international circle. Yemen has an important strategic location as it is situated at the entrance of Bab-el-Mandeb Strait, the Red Sea, the Arabian Sea and the Indian Ocean, at the intersection of Africa and Asia and links the East and the West, after the launch of Suzie Canal in 1869 in particular. The relationship with the countries of the Red Sea has become close particularly with Egypt, Ethiopia, Somalia and Sudan at the western shore. It is the most important line that links the East with the West.

In the ancient, middle, modern and contemporary ages, Yemen has enjoyed a controlling and influential location which is a source of early migrations and passageway for them to the Arab Peninsula, Iraq, Levant, Egypt and North Africa and a point of departure for the land and sea trade either through the Arab Peninsula, Ethiopian plateau, Sudan, south of Greatest Desert, Timbuktu, the Atlantic Ocean, Gibraltar in the north, and it is accompanied with human migrations.

In this paper, we dealt with the seashore between Yemen and the Red Sea African countries bordering the west shore; in addition to the rooted relationship, since old ages to the Independence of South Yemen in 1967, which has united the countries on the west shore of the Red Sea and Yemen in a common destiny of European colonization. Furthermore, this paper aimed to investigate the importance of the shores in assigning a common role between these countries due to their historical relationships and connections for ages that also requires a scientific, comprehensive and profound study. The research showed the importance of Yemen and the countries that border the west shore and their vital and strategic location, Yemen and Egypt in particular, which are considered the entrance and the exit of the Red Sea respectively at the same time.

المقدمة:

تُعَدُّ عدن من الموانئ اليمنية المهمة , وعرفت قديماً بأنها مركز تجاري مهم، ثُمَّ تَمَّ بناء مدينة عدن بوصفه ميناءً حديثاً في العام 1886م، وكان في الخمسينات الميناء الثاني في العالم من حيث سرعة الحركة والخدمات التي يقدمها حتى العام 1956م⁽¹⁾، وأخذت مدينة عدن تتحول تدريجياً مع تطور نشأتها التجارية إلى مركز جذب للهجرات السكانية الداخلية من مختلف مدن وأرياف الجنوب وشمال اليمن، والهجرات الوافدة من دول الجوار وحوض البحر الاحمر ولاسيما الصومال والحبشة وباقي دول العالم من هنود وأوروبيون واليهود وآخرون⁽²⁾. وتُعَدُّ حضرموت جزءاً من المحميات الشرقية ذات الثقل التجاري والاقتصادي إذ انفتحت عليها عدن بحكم موقعها التجاري المهم على البحر الهندي والبحر العربي⁽³⁾، وبعد الاستقلال الوطني كانت عدن عاصمة دولة الجنوب حتى عام 1990م، وهكذا تعد حضرموت من أهم تلك المحميات الشرقية التي انفتحت عليها عدن منذ القدم بحكم موقعها على البحر العربي وطرق

التجارة العالمية لمستعمراتها في الشرق.

وجاء هذا البحث (دور علماء الحضارم العلمي والديني في مدينة عدن خلال المدة 1930-1990م) ليسد فراغاً في بحث العلاقة التاريخية بين عدن وحضرموت، ويعود اهتمامي بالهجرة الحضرمية إلى تسعينيات القرن الماضي حينما قُمتُ بكتابة بحثي عن العوالق والحضارم؛ بل كانت عاصمتها شبوة ويوجد بين سكان محافظة شبوة عدد من الحضارم بوصفهم تجاراً وعلماء دين وأئمة مساجد. وهذا البحث يؤرخ بـ (1930-1990م) خلال ستين عاماً. ولا يخفى أن الهجرة الحضرمية قديمة إلى عدن بل ظلت متواصلة جيلاً بعد جيل من العلماء والفقهاء حتى عصرنا فقد نبغ من الحضارم في مدينة عدن الكثير من العلماء والوزراء ورؤساء الجامعات والمراكز العلمية منهم الشيخ علي محمد صالح باحميش. والأستاذ عبدالله بن أحمد محيرز، وعالم الآثار محمد بافقيه وهو وزير للتربية بعد الاستقلال والنوبان وبكير وباذيب والعمودي وآخرين من أصحاب العلم والتنوير في مدينة عدن. وهذا ما سنتحدث عنهم لاحقاً وهم صلب بحثنا، وفي بحثنا هذا نسلط الضوء على دور علماء حضرموت في الجانب العلمي والديني في التاريخ المعاصر للحضارم المعروفين في الاصقاع إلى اليوم بهذا الاسم.

وقد حاولتُ أن أتناول فيه نسبهم الشريف وتاريخ وصولهم من حضرموت إلى عدن وحياتهم العلمية وانشغالهم بالدعوة وتعليم الأمة الشريعة القراء وإسنادهم في العلم والتعليم والمعرفة في مختلف مناطق مدينة عدن.

ومن المعلوم أن الحضارم كانوا كواكب الجنوب وليس عدن فحسب وأقمارها المنيرة فقد كان أول مركز إشعاع ديني في حضرموت نفسها.

وقد قسم البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة. فقد تناولت في المقدمة أهمية البحث والدور المهم الذي قام به الحضارم في عدن خاصة وهذا الدور الفعال مظاهره متعددة. ثم كان المبحث الأول بعنوان: (علماء الحضارم ودورهم العلمي والديني قبل الاستقلال الوطني، وفيه تناولتُ:) هجرة علماء الحضارم في عدن. وتناولت من علماء الحضارم في مرحلة قبل الاستقلال 1930-1967م من شيوخ هذه المرحلة: الشيخ العلامة: علي محمد صالح باحميش، والأستاذ عبدالله بن أحمد بن عوض محيرز. أما المبحث الثاني فكان بعنوان: (علماء الحضارم بعد الاستقلال الوطني 1967-1990م)، وفيه عرضت من شيوخ وعلماء هذه المرحلة محمد عبدالقادر أحمد بافقيه، والأستاذ عبدالله عبد الرزاق باذيب، والأستاذ الدكتور سعيد عبد الخير النوبان، والأستاذ الدكتور سالم عمير بكير والأستاذ الدكتور محمد بن سعيد بن الفقيه العمودي، وختمتُ البحث بخاتمة عرضت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها. والله ولي التوفيق.

المبحث الاول: علماء الحضارم ودورهم العلمي والديني قبل الاستقلال الوطني:

في هذا المبحث سأحدث عن أهم أعلام حضرموت في مدينة عدن وهم من الذين تقلدوا مناصب كبيرة في سلطات الاحتلال وكانت لهم منابر ومساجد وأربطة ومدارس ومراكز علمية وتعليمية وآثروا الحياة العلمية في مدينة عدن وهذا النشاط يكاد مجهولاً إلا لقلّة من المختصين في التاريخ الحديث والمعاصر ويحتاج إلى مزيد من الدراسات والأبحاث وظهرت عدة كتب عن دور الحضارم في إندونيسيا وماليزيا والمملكة العربية السعودية، وإن كانت غير كافية، إلا أنني لم أقف على بحوث أو كتب عن دورهم العلمي والديني في عدن، وهناك بضعة مؤلفات تناولت دورهم في شرق إفريقيا لكن المكتبة العربية ولاسيما اليمنية خالية من تناول دورهم الديني والعلمي في مدينة عدن التي انطلقوا إلى باقي مناطق العالم ناشرين العلم والتعلم والتنوير وقبل الحديث عن دور علماء حضرموت العلمي والديني في مدينة عدن خلال المدة (1930-1967م) لابد من الحديث والتعريف البسيط بموطن الحضارم الأصلي قبل الهجرة إلى مدينة عدن والاستيطان فيها خلال فترة الدراسة.

موطن الحضارم قبل الهجرة الى مدينة عدن:

حضرموت⁽⁴⁾ عرفت بأرض الأحقاف⁽⁵⁾، التي ذكرت في القرآن الكريم قوم عاد⁽⁶⁾ التي كانت مكسوة بالرمل، سميت بالأحقاف⁽⁷⁾ وهو الرمل بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر، أما أخو عاد فهو النبي هود عليه السلام (وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله)⁽⁸⁾، وترددت كثيراً عبارة أرض حضرموت في النقوش اليمنية القديمة⁽⁹⁾ ويرجع المؤرخون نسب أقدم من سكن حضرموت بعد عاد إلى قحطان بن عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام ابن نوح عليه السلام⁽¹⁰⁾. ويذكر النسابون لقحطان عدة أولاد من بينهم حضرموت ويعرب وعمان وجهرهم.⁽¹¹⁾ ويزعمون أن يعرب بن قحطان كان ملكاً باليمن وأنه غلب بقايا عاد ووزع اخوانه على الأقطار فاستقر أخاه حضرموت على الأرض التي سميت باسمه فقبل لها حضرموت⁽¹²⁾.

أما تاريخ دخول الإسلام إلى حضرموت فقد تعددت الوفود الحضرمية إلى سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم»، في السنة العاشرة للهجرة⁽¹³⁾. وقد تعددت الوفود الحضرمية إلى سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم» بالمدينة واطر التاريخ أسماء هؤلاء الأمراء والزعماء والسفراء نذكر منهم: وائل بن حجر يفد من (شبوّة)⁽¹⁴⁾ يقال: أنه أول وأشهر وافد حضرمي إلى الرسول وقد قوبل بمقابلة ممتازة من الرسل وأعطاه عدة كتب وأقره على ما ورثه عن آبائه من إمارة⁽¹⁵⁾ وقال الرسول (اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد وولده إلى يوم القيامة)⁽¹⁶⁾. وعاد وائل إلى حضرموت بعد أن قبل النبي إسلامه وأقره على إمارته وظل الرجل عامر القلب بالإيمان ممثلي الصدر بحب الدين الجديد وقد عدّه المؤرخون بين رجال الحديث

ورواته⁽¹⁷⁾ وأيضاً قيس بن سلمة الجعفري الجرداني وفد على الرسول هو وجمع من أصحابه، وقد أكرمهم الرسول وقدم لهم قلب الذبيحة مشوياً بصفة خاصة وعادوا بعد ذلك إلى حضرموت مسلمين مخلصين⁽¹⁸⁾، ووفد أيضاً: الأسود الكندي من عرمة وجردان بمفرده وکليب البقلي التنعي من وادي تنعه، وربيعه بن مرحب الحضرمي وغير هؤلاء كثيرون من بلاد الجنوب العربي وهم مذكورون في ثنایا كتب السيرة المطولة⁽¹⁹⁾ وانتشر الإسلام بحضرموت كلها من أقصاها إلى أقصاها ساحلها وداخلها وبقيّة المخاليف اليمنية⁽²⁰⁾ وفي جزء كبير من العالم بعد عودة الوفود وحل الدين الإسلامي محل الأديان التي كان الحضارم يدينون بها، فقد كانت الأغلبية منهم وثنية كغيرهم من العرب، وكانت هناك أقليات تعتنق اليهودية أو النصرانية⁽²¹⁾، وأقبل زياد بن ليث الأنصاري الخزرجي البياضي عاملاً على حضرموت من قبل النبي «صلى الله عليه وسلم» فأقام في تريم وتارة في شبام، وأمدّه النبي بمعاذ بن جبل يطوف بأرجاء البلاد يعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين، وأقام زياد عنه نواباً في أنحاء القطر يجمعون الصدقات، وكان زياد يوزع صدقات الأغنياء على الفقراء ويرسل ما فاض عن الحاجة إلى المدينة⁽²²⁾، وبذلك استقبلت حضرموت عهداً جديداً في ظل الإسلام خلعت فيه حيات الجاهلية وعبادة الأوثان، واعتنقت الإسلام وتوحيد عبادة الله وتطبيق أحكام الدين الإسلامي راضية مطمئنة⁽²³⁾. وفي القرن العاشر وفي عهد السلطان بدر أبو طويرق الذي حفلت حضرموت بمجموعة من العلماء والأدباء والشعراء من رجال الدين والتصوف وكبار العلماء بالشريعة واللغة والشعر، أمثال الفقيه اللغوي العلامة محمد بن عمر بحرق، والشيخ الفقيه الكبير عبدالله بن عمر بامخرمه⁽²⁴⁾ ووالده الصوفي الشاعر الشيخ أبي بكر العيدروس الصوفي المشهور والعلامة الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات والشيخ الإمام عبدالله بن علوي بن محمد الحداد والشيخ أحمد عبداللطيف باجابر والشيخ عبدالرحيم بن عمر باوزير، والشيخ معروف باجمال والشاعر عبدالصمد باكثير⁽²⁵⁾ وغيرهم كثير من الآجلة الفقهاء والعلماء الصالحاء وحفاظ القرآن الكريم⁽²⁶⁾. وانتشرت مواطن العلم والميراث النبوي في (تريم)⁽²⁷⁾، والمسيلة وسيئون وشبام⁽²⁸⁾ التي كانت توجد بها الكتاتيب والمدارس الدينية وعدة أربطة دينية ظهرت ما قبل الحرب العالمية الثانية 1939م ومن أهمها رباط الإمام علي بن محمد الحبشي بسيئون، ورباط تريم الذي تولى إدارته والتدريس فيه الإمام عبدالله بن عمر الشاطري، ورباط غيل باوزير الذي أنشأه محمد عمر بن سلم سنة (1321-1903م)⁽²⁹⁾ وكانت هذه المراكز مراكز علمية متقدمة، واشتهر بصورة خاصة رباط تريم⁽³⁰⁾ واشتهر علماؤها كالحبيب حسن ابن صالح البحر الجفري، والشيخ عبدالله أحمد باسودان صاحب المؤلفات الكثيرة⁽³¹⁾، منهم الحبيب أحمد العطاس، والحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، والحبيب عقيل بن عبدالرحمن السقاف والإمام المجدد عبدالله بن علوي بن محمد الحداد باعلوي، والإمام الكبير الملقب بالفخر، والشيخ أبوبكر بن سالم والذي نهلوا من

علمائها وألفوا الكتب ونال على أيديهم الإجازات العلمية للكثير من أبناء الجنوب وكثر المريدون على هؤلاء العلماء في حضرموت تريم منبع العلم الشرعي من أهل السنة والجماعة⁽³²⁾.

2-2- الهجرة علماء الحضارم إلى عدن:

يقع الموطن الأساسي الأول للحضارم في مستوطنة عدن - كريتر - قبل الاستقلال الوطني، وهم إحدى الأسر الكريمة عريقة الأصل والنسب واسعة الانتشار في عدد من بقاع العالم، وهم موجودون في كثير من البلدان: في المملكة العربية السعودية، وبعضهم في بلاد الخليج العربي، مثل عُمان، والإمارات العربية المتحدة وفي الهند وسنغافورة وشرق إفريقيا يشتغلون بالعلم والتجارة وبعض الحرف الصغيرة⁽³³⁾. وموجودون أيضاً في المناطق اليمنية (شبوة، وأحور، ولحج، وصنعاء) وغيرها من المناطق الجمهورية اليمنية وقد تقلد البعض منهم مناصب قيادية في بعض هذه البلدان، ولكن موضوع بحثنا يختص بمدينة عدن ولم نقف بالتحديد على الموطن الأول الذي استوطنه الحضارم في مدينة عدن، ويصعب تحديد سكن الحضارم في مدينة عدن ففي القرن السابع للهجرة (الثالث عشر الميلادي) ذكر المؤرخ ابن المجاور عن أجناس الذين كانوا يعيشون في مدينة عدن وقال: (إن غالبية سكان البلد عرب مجمعة من الاسكندرية، ومصر، والريف، والعجم، والفرس، وحضارم، ومقادشة، وجبالية وأهل ذبحان، وزيايخ، وحبوش)⁽³⁴⁾. ويمكن تبين مساكن الحضارم بحسب شيوخهم وعلمائهم فالمؤرخ بامخرمة من الحضارم الذين سكنوا عدن فهو القائل بأن: «مساكنهم في طرفها مما يلي الساحل وقريب منه» فهي بهذا تقع على شريط صيرها الساحلي ما بين القطيع وسائلة الطويلة وتمتد نحو الغرب في اتجاه سفح جبل شمسان، وإذا تخطيت هذه السائلة فإنه أقصى حدودها كما أشار المقدسي هو مسجد أبان، وتذكر المصادر التراثية أسماء أحياء ما زالت معروفة حتى اليوم مثل حارة أبان وحارة منطقة الخساف تحت اسم جرم الشوك وحي الشاذلية وهي حافة حسين الآن نسبة إلى الوالي المدفون فيها وهو حسين الأهدل الذي توفي عام 903هـ-1497م) ⁽³⁵⁾ ويتميز هذا الحي بأنه حي العلماء والفقهاء والقضاة والمدارس والتجار⁽³⁶⁾. بالإضافة إلى القطيع الذي ذكره أمين علي حسن في - كتابه - نمو وتركيب سكان مدينة عدن - قائلاً: (أما بقية الأحياء القديمة من المدينة كما ذكرها بامخرمة وابن الديبع وابن المجاور مثل حافة الحبوش، وحافة المقادشة، وحافة اليهود بالقرب من المهلكة حالياً (مقبرة اليهود) فكانت كل هذه الحارات تقع في منطقة العيدروس والجوهر والجبل الأحمر وسائلة الطويلة بالإضافة إلى حي القطيع الذي اتخذ اسمه اسم مقبرة العيدروس ما بين باب حققات ومسجد العيدروس ويطلق على الجزء الأقرب منه إلى الساحل (المرساة) وهي محطة القوافل وفيها الآن مسجد علوي بن محمد بن عيدروس الذي توفي عام 100هـ-1591م)⁽³⁷⁾. لقد خلدت عدن والجنوب عامة بالكثير من الحضارم وبالكثير من العلماء والمصلحين والمجتهدين الحضارم ممن كان لهم

أثر فاعل وملموس في الجانب العلمي والديني وقد بدأ هذا الظهور لهذه الكوكبة منذ ظهور الإسلام حتى يومنا هذا. وكانوا قد رفعوا بشائر الخير والحق ابتداء من الصحابة الكرام الذين هاجروا إلى النبي (ص) ووقفوا إلى جوارهم وناصروه أمثال وائل بن حجر، ومعاذ بن جبل وغيرهم... كثير إلى أن نصل إلى العصور الحديثة التي لم تخل هي أيضاً من رجال الدين والعلم أمثال من سبقوهم ولعل أشهر علماء الحضارم المجددين نذكر منهم باختصار تجنياً من الإطالة الفقيه محمد بن يحيى أبو شعبة الحضرمي، الذي أقام في (مسجد التوبة) لسنوات عدة أطلقوا عليه الناس أسم مسجد «أبو شعبة» الذي قد كانت له من العلم درجات رفيعة ويُعلم فيه الفقه والحديث⁽³⁸⁾. والفقيه والعالم أبو الحسن علي بن محمد بن حجر الشحري الحضرمي المولد في العام 598هـ الذي استقر به المقام في «مسجد السماع» الذي كان يتزاحم بطلاب العلم الذين يتوافدون إليه ليتعلمون عنده، وقد أطلق على مسجد السماع لكثرة ما كان يسمع فيه من قراءة للقرآن والأحاديث وكان من طلابه الفقيه أبو الخير بن منصور الشماخي، والضياء ابن العلي المغربي، والإمام أحمد بن علي العدني الحرازي، والفقيه أحمد القزويني، والفقيه محمد بن حسين الحضرمي⁽³⁹⁾، والشيخ العلامة محمد بن عمر بحرق الذي أقام بها مدة من الزمان في رعاية أميرها مقبلاً على نفع الناس بالتدريس والإفتاء والتأليف وألف أكثر من ثلاثين مؤلفاً في الأدب والعلوم والتوحيد والفقه وعلم القراءات والنحو والصرف والطب والحساب والميقات والعروض وأكثرها مازالت مخطوطة⁽⁴⁰⁾ والسيد عبدالله بن حامد الصافي من علماء الحديث الشريف الذي أقام حلقاته في مسجد الشيخ عبدالله العمودي الذي كان من تلامذته الشيخ محمد عولقي الذي حذا حذو أستاذه في تعليم الناس ونشر العلم وآداب الشريعة الإسلامية⁽⁴¹⁾. والفقيه الإمام العالم الشيخ محمد بن أحمد بن عبدالله بافضل الحضرمي (840هـ-903هـ / 1426-1497) الذي هاجر من حضرموت إلى عدن وكانت حياته حافلة بالعلم والعمل والتعليم والفتوى قضاها في خدمة الإسلام والمسلمين «رحمه الله» وأخذ الشيخ بافضل العلم منذ الصغر في مدينة غيل باوزير- حضرموت- ثم أرتحل في طلب العلم إلى عدن قاصداً القاضي جمال الدين محمد باحميش فقرأ عليه التنبيه وغيره من كتب الفقه، وقرأ على القاضي محمد بن مسعود باشكيل في كتب الحديث والتفسير، وأجازهم القاضيان، ومن شيوخه أيضاً الحافظ السخاوي بمكة، ورحل إلى زبيد وأخذ عن فقيها الإمام الطيب الناشر، وبعد ذلك قام الإمام العالم الشيخ بافضل بالتدريس في عدن سنة 861هـ بالمدرسة الياقوتية وتصدر الشيخ بافضل الإفتاء في عدن، فكان المفتي للدولة الظاهرية (858-945هـ/1454-1538م) وقد لقب الأمام، وهومن الألقاب التي تمنح لكبار الشيوخ اللذين كان يرجع إليهم في جُل المشكلات العلمية والدينية، كما لُقّب كذلك بلقب شيخ الإسلام وهو أعلى الألقاب وأعظمها وذلك لشهرته الدينية والعلمية الواسعة والمكانة البارزة في المجتمع، وله الكثير من

آثاره ومصنفاته العلمية (نتاجه العلمي) وهي كثير تقدر بحوالي إحدى عشر كتاب ومخطوط في الفتاوى وأمور الشريعة⁽⁴²⁾، ومن تلاميذه الفقهاء الشيخ الوالي أبي بكر بن عبدالله العيدروس بن أبي بكر السكران ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف⁽⁴³⁾، المولود بمدينة تريم⁽⁴⁴⁾ في حزموت سنة 851-1447م⁽⁴⁵⁾، الذي هاجر إلى عدن ودخل في موكب مهيب يوم 13 ربيع الثانية سنة 889هـ (الموافق تقريباً ليوم 10 مايو 1484م)، بناءً على دعوة تلقاها من علمائها الذين رغبوا من الاستفادة من علمه الغزير، وعند وصوله خرج أهالي عدن وعلماءها عن بكرة أبيهم لاستقباله، وبعد أن أستقر به المقام في عدن كان أول عمل قام به بناء مسجد الذي عُرف بـ(مسجد العيدروس) في العام 890هـ وقد جعل المسجد مكاناً للتدريس ومناقشة العلم ومدارسه، بالإضافة إلى القيام على حل مشاكل المواطنين من أبناء عدن⁽⁴⁶⁾. وخلدت ذكرى دخوله عدن بإقامة الزيارة المشهورة المعروفة كل عام منذ ما يزيد عن 530 عام وحتى يومنا هذا⁽⁴⁷⁾، وإن كانت غير مرغوبة عند البعض من أبناء عدن⁽⁴⁸⁾، وأبرز ما يؤخذ على الصوفية وفقهائها بناء أضرحة وقبور الأولياء وإنارتها وزيارتها والتمسح والتبرك بها⁽⁴⁹⁾، فأقام بها حتى وفاته في 6 فبراير 1509م وبلغت مدة إقامته في عدن خمساً وعشرين سنة⁽⁵⁰⁾ وشيد فيها جامعة العيدروس الذي صار طيلة حياته قبلة القاصدين ومأوى لطلاب العلم⁽⁵¹⁾. وخلال مدة الاحتلال البريطاني لما كان يعرف بمستعمرة عدن والمحميات الغربية والشرقية للمدة الممتدة بين (1839-1967م) أي على مدى 128 سنة فقد غيرت سلطات الاحتلال البريطاني أغلب أحياء مدينة كريتر القديمة واستبدلتها بشوارع مستقيمة حديثة وخطط لها أسواق وتخص كل منها بلون من التجارة والمهن فيها حارة البز، والطعام، والحراج، والاتحاد، والبحرة الإسماعيلية اشتغل كثير منهم بالتجارة في هذا السوق، والحدادين، والخياطين، وسوق الكدر(الخبز)، والسوق الطويل فيه يتم بيع جميع الاحتياجات اليومية، وقسمت المدينة إدارياً إلى أحياء رمز لها بحروف أبجدية مثل حرف (A) ابتداء من شارع الميدان إلى حرف ((F في الخساف. ورقمت الأرقام بأرقام متسلسلة ومع ذلك استمر الناس بتسمية أحيائهم كما حافظت كل جماعة على هويتها، ولغاتها وثقافتها، ثم ظهرت أحياء سكنية خاصة لكل جماعة وطائفة مثل حافة الهنود، البانيا، وحافة الصومال، حافة اليهود⁽⁵²⁾، والعرب إلى الأولياء المجاورين لها أبان، أو حافة حسين، أو العيدروس أو الشخصيات المرموقة منها حارة القاضي، أو الشريف، أو حارة لقمان، وبقية التقسيمات الإدارية للاستعمال الرسمي والاتفاقيات والعقود واستمرت بعض هذه الأسماء التراثية حتى بعد أن وضعت للشوارع أسماء تاريخية وعربية وإسلامية وأجنبية ورغم توسع كريتر عدن منذ منتصف القرن الماضي على أسس تخطيط والشيخ البيحاني والشيخ العلامة باحميش الذي اتخذ من مسجد العيدروس والعسقلاني منبراً ومدرسة لتعليم القرآن الكريم عندما كان التعليم في مدينة عدن قبل الاستقلال الوطني بسيطاً مع تدني فرص

التعليم باستثناء بعض الكتاتيب والمدارس الابتدائية المحدودة، التي بدأت تظهر منذ نهايات القرن التاسع عشر للميلاد في عدن وفي مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى (1914-1918م). وكان النظام التعليمي يقوم على النظام التقليدي غير النظامي⁽⁵³⁾ ومن أشهر المعلمات المنتشرة في مدينة عدن معلمة (محمد الشنقطي) في حارة اليهود (حسن علي)، ومعلمة الشيخ (محمد علوان العولقي) في حارة حسين، ومعلمة الشيخ محمد الحوزي في حارة القطيع، ومعلمة (السيد محمد عبدالله طاهر النجدي) وأخيه في مسجد بانصير بشارع المتنبى، ومعلمة الشيخ (محمد المالكي) في حارة العيدروس وكلها في كريتر. وأما في المعلمة معلمة الشيخ (درهم) ومعلمة (الشريف) وهي خاصة بالصومال ومعلمة الفقيه (سالم عبدالله الكوري) وفي منطقة التواهي معلمة (الهتاري) ومعلمة الشيخ (عبدالفتاح) ومعلمة الشيخ (أحمد عوض العبادي)، ومعلمة (الفقيه حيدر) ومعلمة الفقيه (كليب) ومعلمة (السيد قاسم) وغيرها⁽⁵⁴⁾. وقد أدت المعلمات في مدينة عدن دوراً مؤثراً وكبيراً في التخفيف من الأمية والجهل بالرغم من أساليبها المتخلفة فقد كانت الملاذ الوحيد لكثير من الناس في ظل الجهل المخيم على عموم الجنوب في عهد الاستعمار البريطاني.

أما التعليم النظامي فتمثل في أول مدرسة ابتدائية افتتحت في عدن بعد الاحتلال البريطاني في العام 1836م ولكن الاستعمار أغلقها بعد سنتين فقط من افتتاحها، وكان الهدف من تلك المدرسة التبشير بالدين المسيحي بوصفه جزءاً من السياسة الاستعمارية حينذاك، التي كانت تستهدف القضاء على هوية البلدان التي تستعمرها. وكان الإنجليز قد شجعوا الهجرة الأجنبية إلى مدينة عدن بقصد إضافة إلى عروبة المنطقة - لذوبان الجنس العربي- وإيجاد خليط من السكان من ذوي ميول مختلفة، ومصالح متباينة ولطمس الهوية الوطنية للسكان العرب الأصليين⁽⁵⁵⁾. ويرتكز عليهم الاستعمار في تسيير مصالحه، وقد أثر وجود الجنسيات في الوضع التعليمي في عدن، وكان من نتائج ذلك تأسيس عدد من المدارس لتلبية حاجة المستعمرة من الموظفين الذين يجيدون اللغة الانجليزية ليتمكن من التفاهم معهم وتسيير أمورهم وأسست بعض الجاليات مدارس لها، فقد وجدت مدرسة للصومال في المعلا، وأخرى لليهود في كريتر (للذكور والإناث)، ومدرسة للهندوس، ومدرسة البادري، وهي مدرسة تابعة للكنيسة الكاثوليكية وهي من الابتدائية إلى الثانوية⁽⁵⁶⁾، وركز الإنجليز جل اهتمامهم بمدارس المبشرين، وكان لارتباط عدن بالهند محصوراً على الأجانب الوافدين إلى عدن، وهم من جنسيات مختلفة. أما أبناء البلد والجنوب العربي فلم يكن أمامهم أية فرصة للتعليم باستثناء الكتاتيب والمساجد⁽⁵⁷⁾، وقامت السلطات البريطانية في العام 1934م بفتح مدرسة في جبل حديد لأبناء السلاطين والأمراء والمشايخ في عدن للمرحلة الابتدائية والمتوسطة فقط وكان عددهم لا يتجاوز سبعين طالباً فقط وكان الهدف من ذلك توفير متعلمين بوصفهم رهائن بحيث لا يتحرك آباؤهم ضد البريطانيين في مدينة

عدن⁽⁵⁸⁾، واستمر هذا الوضع المتردي للتعليم إلى أن تخلصت عدن من تبعيتها للهند، وصارت تتبع وزارة المستعمرات البريطانية في العام 1937م وبعدها بعامين أسندت إدارة المعارف في عدن إلى أحد البريطانيين ويدعى (بي، جي، اتنبورو P.J. Aattenborough) وفي عهده تم إدخال مادة التربية الإسلامية ضمن الجدول الدراسي واستخدمت اللغة العربية لغة التعليم في حدود ضيقة، وتم إعفاء البنات من الرسوم المدرسية، والتعاقد مع مجموعة من المدرسات العربيات المؤهلات للتدريس في مدارس البنات⁽⁵⁹⁾ ونستطيع القول: إن التعليم في عدن، لم ينحس إلا في المدة ما بعد الحرب العالمية الثانية 1945م، نتيجة للضغوطات التي مارسها الأهالي، ومطالبهم الملحة لتحسين التعليم وتعريبه، مما اضطر سلطات الاحتلال لتوفير الحد الأدنى من مؤسسات التعليم في المستعمرة، إذ كان عدد المدارس في عدن في العام 1948م حوالي سبع عشرة مدرسة، بما فيها الكتاتيب (المعاملات) وتضم حوالي (5545) تلميذاً موازنة بعدد السكان البالغ عددهم (80,516) نسمة بحسب الإحصاء الرسمي، فإن الذين يتعلمون القراءة والكتابة لا تزيد نسبتهم عن 6% من سكان مدينة عدن⁽⁶⁰⁾، غير أن الأهالي تعاونوا فيما بينهم على بناء المدارس الأهلية لاستيعاب التلاميذ الذين رفضتهم المدارس الحكومية من خارج مدينة عدن، وكانت أولى المدارس الأهلية في مدينة عدن مدرسة (بازرعة الخيرية الإسلامية) من أبناء الحضارم التي بناها وأسسها في عدن الشيخ (محمد عمر بازرعة) في العام 1947م، وعين لها مدير الشيخ الأستاذ (محمد مكي) الذي قدم من الحجاز، وخلفه فيما بعد محمد صبحي وهو فلسطيني الأصل في ثلاثينيات القرن الماضي وحتى أربعينيات القرن وتلاه الشيخ (علي محمد باحميش) الحضرمي وهو عالم دين شهير وفي عهده كثفت المواد الإسلامية وكان له دور لا يسنهان به في الجانب التعليمي والديني في مدينة عدن⁽⁶¹⁾.

3-1- الشيخ العلامة: علي محمد صالح باحميش:

رائد من رواد العلم والتنوير الحضارم في مدينة عدن خلال المدة من 1930-1976م وعلم بارز من أعلام عدن التي استمرت حياته حافلة في مجال العلم والتدريس نحو «ثمان وثلاثين عاماً»⁽⁶²⁾، ولد باحميش في 10 مارس 1910م⁽⁶³⁾، درس الشيخ باحميش في معاملة الشيخ العبادي، ومن ثم هاجر إلى مصر ودرس في الأزهر الشريف وعاد بعد ذلك وأسس باحميش، والبيحاني والشيخ على بازرعة وآخرون ما يسمى بـ الجمعية الإسلامية⁽⁶⁴⁾. وفي العام 1947م، ولعل من أسباب نشوء هذه الجمعية في مدينة عدن لاسيما الجمعية الإسلامية عندما قامت السلطات البريطانية بمنع الأطفال من المحميات وشمال اليمن- من غير مواليد عدن من الالتحاق بالمدارس الحكومية النظامية، في الوقت الذي تسمح فيه للأجانب من أبناء الجاليات الأجنبية - فرس، هنود، صومال، أوروبيين بالالتحاق بالمدارس الحكومية وكذلك تحديد سن القبول بالمدارس وشروط الامتحانات ناهيك عن قلة المدارس الحكومية في عدن نفسها، ففي

خلال نصف قرن ظلت بريطانيا في عدن لم يرتفع عدد المدارس إلى أكثر من أربع مدارس ابتدائية وهذا يصب في استراتيجية المستعمر وهو تجهيل الشعب وانتقاء عدد من هذه المقاعد المدرسية بما لا يتجاوز مقصدهم وهو خدمة مكاتبتهم العاملة والشركات التجارية، وهذا ما ساعد على انتشار مدارس الإرسالية والجاليات الأجنبية⁽⁶⁵⁾، بالإضافة إلى رداءة المنهج الدراسي ففي هذا الصدد يقول مؤلف كتاب - أرضنا الطيبة هذا الجنوب - عبد الرحمن جرجرة حول المناهج الدراسية قائلاً: (لم أكن أتصور درجة جهلنا نحن أبناء الجنوب العربي بمعرفة بلادهم حتى فتشت بنفسي جميع مدارس ولاية عدن وكثيراً من مدارس بقية ولايات الاتحاد إذ وجدت مناهج معارفنا (حتى الآن) بدراسة أقطار أجنبية نائية بلاد منها الأسكيمو والكنغوا وغيرها من البلدان التي لا تمت إلينا بصلة من الصلات، بينما نحن في الجنوب العربي نجهل حتى أبسط المعلومات عن الولايات القريبة منا مثل لحج وبلاد الفضلي)⁽⁶⁶⁾ وهكذا عمل الشيخ باحميش خريج الأزهر الشريف مديراً لمدرسة بازرة الخيرية الإسلامية التي تأسست في العام 1947م التي تضم 500 طالب من أبناء عدن والمحميات وشمال اليمن⁽⁶⁷⁾، وحرصاً على أن تكون الهيئة التدريسية بكفاءات وقدرات علمية عالية بالإضافة إلى منهاج علمي ممتاز يواكب التطورات⁽⁶⁸⁾، وبلغت مستوى جيد وتخرج منها المئات من أبناء عدن والمحميات والوافدين من شمال اليمن وشهد لها الجميع وتخرج منها الكثير من الكوادر اليمنية نذكر منهم على سبيل المثال الأستاذ عبدالله باذيب والأستاذ علي باذيب والأستاذ حسين باصديق⁽⁶⁹⁾، والكثير من الأدباء والعلماء والأشخاص الذين كان لهم دور بارز في التعليم والتنوير في مدينة عدن، وكانت الدراسة من الابتدائية والمتوسطة إلى الثانوية الصغرى (الأولية) ويلتحق طلبتها - فيما بعد - بكلية عدن ويقدم المتقدم لامتحان القبول⁽⁷⁰⁾ إذ كان الكثير من أبناء الريف والمحميات الشرقية والغربية محرومين من التعليم والخدمات الأساسية بحسب قانون مستعمرة عدن آنذاك⁽⁷¹⁾، وكان الشيخ باحميش المعلم النافذ البصيرة؛ لأنه كان معلم المعلمين، وتنوعت بذلك هيئة التدريس بمشاربها وانتماءاتها السياسية، وقد أراد أن يجسد الوحدة الوطنية لأبناء الجنوب في مدرسته⁽⁷²⁾، وكان فضيلة الشيخ من دعاة الوحدة الوطنية، ومن رجالها الأفذاذ إذ نادى «رحمه الله» بضرورة الوحدة والتوحد بخطبه ومحاضراته وكتبه وأحاديثه، وعدّ الوحدة الوطنية مطلباً شريعياً قبل أن تكون دعوة شعبية جماهيرية⁽⁷³⁾ وأسس الشيخ باحميش صحيفة (الذكرى) التي كانت تصدر في العام 1948م⁽⁷⁴⁾ وهي من أولى الصحف التي صدرت في مدينة عدن واهتمت بالقضايا الدينية ونشر الثقافة الإسلامية والمباحث العلمية والاجتماعية، وقد تعرضت لحملة اتهامات من صحيفة (المستقبل) التي رأسها وأسسها عبدالله عبدالرزاق باذيب واتهمت صحيفة باذيب صحيفة الذكرى مع رئيس تحريرها باحميش بالمتخلف والانتهازي والمتخاذل⁽⁷⁵⁾، ووصف عبدالله فاضل فارح هؤلاء العلماء الاجلاء أفاكين، وقال عنهم بالحرف الواحد: «ومثل هؤلاء ممن

اتخذوا الدين والقرآن والأحاديث وسيلة للتسوّل الممتاز لا يقولون ما يقولون إلا عرضاً كوميدياً وتمثيلاً يعجز عنه كبار ملوك التمثيل، وحسن نفسك ضد أمثال هؤلاء من فقها الرعاع وبهلوانات المنابر، أليس هؤلاء وأمثالهم وثنيين بربك»⁽⁷⁶⁾ وردّوا عليه بقسوة، ولاسيما الشيخ باحميش في صحيفته (الذكرى) ومن على منابر المساجد⁽⁷⁷⁾، ويقول المؤرخ محمد علي البار في - كتابه - عدن في العصر الحديث- (وكان الأستاذ لطفي جعفر أمان يكتب فيها أيضاً ولكن بأسلوب راقٍ، وتحدث عن الصراع بين القديم والجديد دون أن يسفّ إسفاقة عبدالله فاضل فارغ⁽⁷⁸⁾ وهكذا توجّ عهد صراع بين الشبان والشيوخ وقد ولج حمأة هذا الصراع عبدالله باذيب، عبدالله فاضل فارغ، لطفي جعفر أمان، الشيخ علي محمد باحميش، والشيخ محمد سالم البيحاني وغيرهم من الشبان والشيوخ⁽⁷⁹⁾. وأغلقت صحيفة (الذكرى) في يوليو من العام 1951م ولكن باحميش لم يئأس من استمرار نضاله التنويري فاصدر صحيفة (العديني) وحلت محل صحيفته السابقة إذ نحت في معظم مقالاته ما اتسمت به أختها (الذكرى) وإن اختلفت الأسماء ونذرت نفسها للوقوف ضد بعض الصحف التي برزت وقت ذاك (منها الفكر والمستقبل) وتميزت صحيفة (العديني) بدور جديد وسخرت نفسها لمواجهة العلمانيين والتحديثيين والليبراليين ومن يدعون أنهم أنصار المرأة وسفورها، وبعد ذلك للمد الشيوعي في الجنوب آنذاك⁽⁸⁰⁾.

ولاشك أن الشيخ باحميش كان يتمتع بصراحة وشجاعة جعلت الكثير يقفون ضده ويعادونه⁽⁸¹⁾، ولعل هذا الموقف أخذ على الشيخ باحميش، ولكن هناك من يراه متفقاً في زمانه مع ما كان يجري في العالم لاسيما وأن الشيخ باحميش عليه من التأثير الأزهري الشيء الكثير وما يزر به قدح السياسة في تلك المدة وتحديداً في خمسينيات القرن والنهوض الشيوعي الماركسي اليليني الذي لم يكن لمثل هذا العالم أن يحدد بعده ولاسيما وأنه يقف على نقيض من رؤاه في الإيمان بالإسلام ديناً والقدر والبعث والنشور في تلك المدة⁽⁸²⁾، وأيضاً هناك من أرجى الصراع بين باذيب وباحميش ليس للقضية هنا وهناك تحدث في مجتمع ما وإنما لتضارب الأفكار والإيمان بأيديولوجيات تختلف وتتصارع بينها وهذا بين للصراع الأيديولوجي في تلك الحقبة لتقاسم العالم، ولا يمكن لأي باحث أياً كان أن يتخذ من حادثة ما دليلاً على عقم هذا الرجل أو ذاك، ولا استئصال ما تركه من أثر في حياة الناس لاسيما في عدن وفي مجتمع صغير ظلت المؤامرات تحيط به وتتجاذبه الأقطاب الخارجية⁽⁸³⁾ واستمر باحميش في تولي المناصب التي كانت في أيام بريطانيا، وأضاف إليها النظام الجديد بعد الاستقلال الوطني على أن يكون باحميش مستشاراً لوزير العدل، ولمع اسمه من أشهر قضاة عدن من الخمسة والأربعين الشرعيين قبل تأسيس المحاكم المدنية⁽⁸⁴⁾، وعين في مطلع العام 1954م إماماً وخطيباً لجامع العيدروس بعدن وقاضياً شرعياً لعدن خلفاً للعلامة القاضي محمد بن داوود البطاح الأهدل⁽⁸⁵⁾ الذي اتخذ الشيخ العلامة باحميش من المسجد نشر رسالته التنويرية فقد

كان يرى باحميش في المسجد (أنه مصدر التشريع، وميدان الرياضة، وبرلمان الدولة، ومحل التدريس العسكري، وملجأ الضعفاء والعجزة، ومدرسة الطالب...) واجتهد شيخنا باحميش في تأليف كتابه القيم «نحو المسجد» وتوجد لعالمنا الجليل مجموعة من الرسائل والكتب الفقهية والنصائح والإرشادات الروحية كان من أهمها فقه الصيام، ورسالة الفتاة بين السفر والحجاب، وكتاب درر المعاني، ورسالة تحذير المسلمين، وفصل الخطاب⁽⁸⁶⁾، وتعد هذه الأعمال التي تركها العلامة باحميش إثراءً للمكتبة الجنوبية آنذاك بما تحمله من قيم تنويرية وتعليمية وهي أبرز ما يميز المجتمع الخير، ولقد كان للشيخ - باحميش - إسهامات في تأسيس إذاعة عدن منذ العام 1953م إذ كان للشيخ برنامج إذاعي بعنوان: «حديث الجمعة» حيث كانت إذاعة عدن تنقل خطبة باحميش من مسجد العيدروس مباشرة⁽⁸⁷⁾. وكانت خطبه لهابة وأسلوبه المتميز لقد لفت إليه الأنظار وأعجب الناس بأسلوبه الخطابي وأفكاره المتنورة، وإن كان موقفه متشددًا من المرأة وهذا ما أكدته الباحثة في شؤون المرأة العدنية الدكتورة اسمهان العلس «قائلة ((ولعل المطل [المضطلع] على الصحف الأهلية الصادرة في سنوات النصف الثاني من القرن العشرين يلمس بوضوح ومرونة الموضوعات التي يتبناها الشيخ البيحاني وشفافيتها سواء في الخطب الدينية أو المحاضرات التي تولى تقديمها، وهذه المرونة رسمت للبيحاني صورة قريبة في أذهان أفراد المجتمع مقارنة بالشيخ باحميش الذي كان يقف على مستوى النقيض في تعامله مع قضايا المرأة⁽⁸⁸⁾). وفي صبيحة 22 يونيو 1969م استولى الجناح اليسار المتشدد بالاتحاد السوفيتي على السلطة⁽⁸⁹⁾، وفي 16 مايو من العام 1971م أصدر وزير التربية والتعليم عبدالله عبدالرزاق باذيب قراراً قضى بتأميم وإغلاق المدارس والمعاهد الخاصة في مدينة عدن⁽⁹⁰⁾ وتم إغلاق المعهد العلمي الإسلامي وصودرت جميع محتوياته، واقتيد موظفوه وعلى رأسهم الشيخ البيحاني وأطلق سراحه بعد عدة أيام⁽⁹¹⁾، وأما باحميش فقد قتل عند غروب شمس يوم الأربعاء الموافق 30 يونيو 1976م عندما داسته سيارة الموت ورمته أرضاً نقل على أثرها إلى مستشفى الجمهورية إذ ظل يعاني من المرض سنة وثلاثة أشهر، وانتقل إلى جوار ربه يوم الأربعاء 12 أكتوبر من العام 1977م⁽⁹²⁾. وبدل الرفاق المدارس الأهلية والأربطة الدينية إلى المدرسة الحزبية العليا للعلوم الاشتراكية وخلال العشر سنوات من تأسيس المدرسة وحتى المؤتمر الثاني للحزب الاشتراكي اليمني تم تخريج سبعة عشر ألف كادر من كوادر الحزب في هذه المدرسة⁽⁹³⁾ وفي العام 1979م صدرت مجموعة جديدة من إصدارات المدرسة العليا للاشتراكية العلمية بوصفها هدية من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي إلى الحزب الاشتراكي اليمني⁽⁹⁴⁾، وأستقبل الاتحاد السوفيتي وسائر الدول الاشتراكية، آلاف الطالبات والطلاب للدراسة الجامعية والتخصص في مجالات الاختصاص كافة، فساهم بدوره في أحد أبرز تشويهاات التجربة، من حيث تضخم الجهاز الإداري غير المناسب مع حجم البلد وحاجته ووارداته المالية وتشجيع

الهجرة إلى المدينة والاحتشاد في حقول العمل الذهني يقابله هجرة الجيل الجديد للحقول الانتاجية والعمل اليدوي في الرعي والزراعة والحرف.. وتم نسخ لمؤسسات الحكم من مؤسسات السوفياتية والالمانية بطريقة بدت مضحكة وعبثية⁽⁹⁵⁾، وطال النسخ شكل السلطة ومؤسساتها والتنظيم الحزبي وبرامج التثقيف الأيدلوجي التي يتولاها الخبراء والأساتذة السوفيت والألمان حتى قيام الوحدة اليمنية في العام 1990م⁽⁹⁶⁾.

4-1- الأستاذ عبدالله بن أحمد بن عوض محيرز:

اشتهر الأستاذ عبد الله بن أحمد بن محمد بن عوض باسم (محيرز) اسم الشهرة « بضم الميم وفتح الحاء وسكون الياء». لقد هاجر والده أحمد محمد عوض إلى عدن في العام 1912م من مدينة شبام بحضرموت واستقر في حي الشاذلية حالياً يعرف باسم - حارة حسين- في القسم «دال» شارع المأمون بكريتر وولد في هذا الحي في 13 أغسطس 1931م⁽⁹⁷⁾، تعلم الأستاذ عبدالله في بداية حياته قبل سن السابعة من عمره في المعلمة «الكتاب» على يد الشيخ الفقي محمد العولقي الذي حفظ القرآن الكريم⁽⁹⁸⁾ ويشير زميل المحيرز العالم والمؤرخ محمد علي البار في كتابه - عدن في العصر الحديث - أن الطالب في الابتدائية إذا حفظ القرآن أو على الأقل قراءة وحفظ ودرس كثيراً من الأحاديث النبوية، وحفظ المتون في الفقه، وحفظ كثيراً من الأشعار مثل المعلقات وغيرها، ودرس النحو وشيئا من علوم اللغة فإن حصيلته تعادل أو تفوق خريج الجامعة اليوم⁽⁹⁹⁾.

وبعد استكمال سن السابعة التحق محيرز بمدرسة السيلة الابتدائية الحكومية في منطقة السيلة⁽¹⁰⁰⁾، ثم انتقل إلى مدرسة الخليج الأمامي بكريتر⁽¹⁰¹⁾، لإكمال دراسته للمرحلة الثانوية حتى تخرجه ونيله شهادة كمبردج (Senior Cambridge Certificate) وكان من الطلاب المتفوقين في دراسته كما تدل على ذلك شهادته المدرسية⁽¹⁰²⁾ لقد كان المحيرز شغوف القراءة والاطلاع فقد كان يحفظ كتباً كاملة (لشكسبير) ويقضي وقتاً طويلاً في قراءة الكتب وكانت ثقافته متنوعة وكان اهتمامه الأساسي في مرحلة الشباب بالعلوم والرياضيات، ولكنه كان يقرأ روايات كثيرة باللغة الإنجليزية أمثال (لأجاثا كريستي) ويحفظ أشعاراً (لبايرون) و(البيوت) كما يحفظ مسرحيات (شكسبير) هذه القراءات المتنوعة أعطت في الأخير ثروة من المعلومات لذلك الفكر والعالم والمعلم الموسوعي الشامل في الكتابة والتأليف⁽¹⁰³⁾. واصل الأستاذ محيرز دراساته العليا في بريطانيا وحصل على دبلوم رياضيات من جامعة «إكسترا Exeter» وفي العام 1960م عاد بعد ذلك استاذاً للرياضيات في كلية عدن، ومن ثمّ عين نائب عميد للكلية في العام 1964م، وعميداً لها في العام 1966م⁽¹⁰⁴⁾. لقد كان للأستاذ محيرز إسهام كبير في إثراء الحياة العلمية والتعليمية والثقافية في مدينة عدن خلال المدة التي عاشها من سنين العمر (ستين عاماً وسبعين يوماً) منذ ولادته في (13 أغسطس 1931م حتى وفاته في 21 سبتمبر 1991م) ففي

العام 1950م عين مدرساً لمادة الرياضيات في كلية عدن ويصفه طلابه بأنه نابغة من نوابع القرن العشرين، وكان استاذاً ومعلماً ومربياً بكل ما تحمله معاني هذه الكلمات⁽¹⁰⁵⁾، لقد تتلمذ على يديه أجيال من الكوادر تحملوا مسؤوليات قيادية في مختلف مرافق الدولة ومن أبرز تلاميذه الذين أصبحوا مهندسين وأطباء وأساتذة جامعة ووزراء نذكر منهم: د. سعيد عبد الخير النوبان الذي تقلد وزارة التربية والتعليم ورئيس جامعة عدن، ومستشاراً لها⁽¹⁰⁶⁾ ود. أبوبكر القربي طبيب اختصاصي وتقلد مناصب متعددة منها نائب لرئيس جامعة صنعاء، ووزير الخارجية، ومحمود سعيد مدحي وزير المالية الأسبق، ود. عبدالله القرشي نائب لرئيس جامعة عدن ومحاضر في كلية التربية، ود. شائف عبده سعيد محاضر في كليتي التربية والآداب، وأحمد علي الصافي مدير عام فرع مؤسسة الهيئة العامة للقوى الكهربائية، والأستاذ خالد عمر محيرز مساعد وزير سابق، ود. رجا صالح باطويل مدير عام فرع الهيئة العامة للآثار والمتاحف سابقاً، ومحاضرة ورئيسة قسم التاريخ كلية الآداب⁽¹⁰⁷⁾. ومئات من الطلاب والمريدين، بعد الاستقلال الوطني في العام 1968م عين محيرز مديراً للعلاقات الخارجية بوزارة التربية والتعليم، وكان للمحيرز دور في تأسيس كلية التربية عدن وفي وضع اللبنة الأولى لمشروع بناء كلية التربية العليا جامعة عدن، التي بدأت الدراسة فيها في العام 1970م التي كانت ثمرة من ثمرات التعاون بين حكومة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، ومنظمة (اليونسكو) التابعة لمنظمة الأمم المتحدة⁽¹⁰⁸⁾. ولم يدم المحيرز كثيراً في وزارة التربية والتعليم فقد عين في نهاية العام 1968 مستشاراً ثقافياً في سفارتنا في لندن ولكن الأستاذ محيرز لم يمارس العمل الإداري والمكتبي إلا في النادر، بل مد نشاطه إلى ما هو أنفع لبلاده وأبقى أثراً وخلوداً، وذلك أن كثيراً من آثار وتراث بلادنا قد تسرب إلى خارج الوطن واستقر في المكتبات الأوروبية وخلال مدة عمله الأربع سنوات فقد عمل على جمع الوثائق والكتب والمخطوطات المهمة، فكان يتردد على مكتبة المتحف البريطاني وعلى المكتب الهندي في بريطانيا وكذلك أرشيف وزارة الخارجية، وقد ساعده على معرفة محتويات تلك الوثائق إجادة اللغة الانجليزية⁽¹⁰⁹⁾ فاستخرج منها الوثائق المتعلقة باليمن والخليج العربي، بعد أن زوده السفير محمد هادي عوض العولقي بأجهزة التصوير والاستنساخ وجهاز القراءة والطبع (الميكروفلم) وغير ذلك، فتدرب على اتقان استعمالها فقد صور الوثائق المتعلقة بعدن منذ الاحتلال البريطاني 1839-1950م، وبعد انتهاء مدة أربع سنوات للأستاذ محيرز في سفارتنا في بريطانيا اقترح السفير محمد هادي عوض العولقي على وزارة الخارجية بتمديد العمل له سنتين آخريتين لاستكمال أعماله التوثيقية، فزار خلالها المكتبة الوطنية في باريس ومكتبة (ليدن) في هولندا، ومكتبة (الوسكوريال) في اسبانيا وزار مكتبة (الامبروزيانا) في ميلانو في إيطاليا لتصوير نوادر المخطوطات التي يندر وجودها في اليمن⁽¹¹⁰⁾، كما ذهب إلى واشنطن فصور من مكتبة (الكونغرس) الصحف التي تصدر في عدن خلال مدة الاستعمار البريطاني لجنوب

اليمن، ويستشهد مؤرخ اليمن إسماعيل بن علي الأكويع قائلاً: (وحينما انتهت مدة عمله في بريطانيا نقل حصيلته عمله من تصوير الوثائق والمخطوطات مع أدوات التصوير والطبع ووضعها في المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف لخدمة الباحثين والدارسين)⁽¹¹¹⁾ وفعلاً فقد استفدنا من تلك الوثائق والكنوز الثمينة التي تزرع بها المكتبة الوطنية، ومكتبة المركز اليمني للأبحاث الثقافية - كريتر- ومكتبة الظفاري للبحوث والدراسات اليمنية جامعة عدن، وأنا أحد الباحثين في التاريخ الحديث والمعاصر أدلي بشهادتي في هذا المضمار أن المكتبة الوطنية - باذيب - ومكتبة مركز الدراسات والبحوث اليمنية - قصر السلطان العبدلي- ومكتبة الظفاري للبحوث والدراسات اليمنية - جامعة عدن- التي توجد فيها صور لتلك الوثائق والكتب والصحف القديمة المصورة وقد كانت معيناً لنا في دراستنا في تاريخ اليمن الحديث والمعاصر مع كثير من الزملاء. وكان للأستاذ محيرز اسهامات في إنشاء المركز اليمني للأبحاث الثقافية والمتاحف والمكتبة الوطنية⁽¹¹²⁾ ففي بداية العام 1976م تمكن الأستاذ محيرز من بناء صرح علمي شامخ ذا سمعة ومكانة علمية مرموقة بين الهيئات والمنظمات العربية والأجنبية فانضوى تحت راية الصرح العلمي هذا التاريخ والثقافة والآثار والمتاحف⁽¹¹³⁾. وكانت رسالة المركز نشر الثقافة الوطنية والتاريخ والآثار والتراث الجنوبي بصورة مضيئة إلى المجتمع⁽¹¹⁴⁾، وأيضاً الحفاظ على تاريخنا وتراثنا وآثارنا من الضياع، وغربلته من الشوائب وإبرازه بصورة مضيئة من ناحية أخرى⁽¹¹⁵⁾. لقد استطاع المحيرز من إنشاء عدد من المتاحف في مختلف المحافظات الجنوبية وأهمها كان متحف عدن الذي حوى على الكثير من النقوش والتحف المهمة والرائعة ومن يدخل تلك المتاحف يلمس بصمات الأستاذ عبدالله محيرز ومن خلال ذلك يتضح أن محيرز عمل ما في وسعه لاسترجاع ما يمكن استرجاعه من تلك النقوش والآثار والتحف والمخطوطات المسروقة والتي لم يستطع على استرجاعه من تلك فقام بتصويرها بالميكروفلوم الذي كان من مقتنيات المكتبة الوطنية بعدن وكان يطمح إلى جعل هذه المكتبة الدار اليمنية للوثائق والمخطوطات والمراجع ذات العلاقة بشؤون اليمن ولاسيما عدن عشقه الجياش.⁽¹¹⁶⁾ ومثلها مثل كثير من دور الوثائق والمخطوطات في كثير من الدول العربية والأجنبية أمثال مصر، وتركيا وغيرها من تلك الدول، ولكن أهواء السياسة وذاتيات القيادة والمسؤولية عن شؤون الثقافة آنذاك حالت دون ذلك ولاسيما بعد فصل المكتبة عن المركز⁽¹¹⁷⁾. وللأستاذ عبدالله محيرز عدد من الكتب التي تؤرخ لعدن أمثال (صهاريج عدن والعقبة وصيرة)⁽¹¹⁸⁾ وعدد آخر من الكتب والبحوث والمقالات عن عدن وكان مدير مجلة حولية ريدان لسان حال المركز اليمني للأبحاث الثقافية الذي صدر العدد الأول العام 1978م⁽¹¹⁹⁾، والتي تعثرت فيما بعد صدور العدد السابع العام 2001م وأرجع ذلك د. أحمد باطايح الذي شغل رئاسة التحرير في أيامها الأخيرة إلى تعنت مسؤولي الثقافة بعد الوحدة ومحاربتهم لهذه الحولية الدولية، مما جعل الحولية للآثار والنقوش تنتقل لجهات

غير يمنية ضمانا لاستمرارية وانتظام صدورها⁽¹²⁰⁾. ويقصد بذلك الفرنسيين لاسيما «كريستيان روبان»⁽¹²¹⁾. وفي العام 1990م عين الأستاذ محيرز نائبا لرئيس الهيئة العامة للحفاظ على المدن التاريخية. وبعد 9 شهور من تعيينه توفي الأستاذ والعالم والمعلم والمؤرخ بمرض الربو الذي كان يعاني منه في 21 سبتمبر 1991م، ودفن في مقبرة القطيع-كريتر- وقد أسف الناس عليه لما بلغه من درجة عالية في العلم والتعليم والمعرفة والتأليف والريادة وحصل على مجموعة من الأوسمة في أثناء مسيرته الثقافية اعترافا بمجدهاته العلمية⁽¹²²⁾.

المبحث الثاني: علماء الحضارم بعد الاستقلال الوطني (1967-1990م)

لقد لمع نَفَرٌ من الحضارم بعد الاستقلال الوطني من العام 67-1990م وتوزعوا في مؤسسات الدولة لاسيما المؤسسات المالية والإدارية واتجه آخرون في المؤسسات العلمية المهمة في مدينة عدن نذكر منها (وزارة التربية والتعليم) و(جامعة عدن)، وبعضهم في مؤسسات تتبنى للنهضة الثقافية، ووصل بعضهم إلى درجة الوزارة، سنتناول منهم: محمد عبدالقادر بافقيه، وعبدالرزاق باذيب، وسالم عمر بكير، ود. محمد بن سعيد الفقيه العمودي، نعرضها على النحو الآتي:

1-2- محمد عبدالقادر أحمد بافقيه:

يُعَدُّ علماً من اعلام حضرموت وله دور لا يستهان به في العلم والتنوير في مدينة عدن وباقي المناطق اليمنية الأخرى ولد في 28 أغسطس 1928م في مدينة أديس أبابا- أثيوبيا، توفي في 16 أغسطس 2002م بمدينة عدن⁽¹²³⁾، في العام 1941م أكمل دراسته الابتدائية بمدرسة مكارم الأخلاق-الشحر وفي الاعوام (1941-1944م) اكمل المدرسة الوسطى بالمكلا ثم أكملها في غيل باوزير. في الاعوام (1945-1948م) الثانوية، مدرسة حنتوب السودان⁽¹²⁴⁾ وفي الأعوام 1949-1953م أكمل البكالوريوس آداب السودان وفي الأعوام 1960-1961م نال درجة دبلوم تربية، كلية سوانزي الجامعة، ويلز-المملكة المتحدة⁽¹²⁵⁾. وفي العام 1967م عين وزير التربية والتعليم ومسؤول عن الآثار في أول حكومة وطنية في جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، وانتقل من حضرموت إلى عدن⁽¹²⁶⁾ وسكن في المعلا حافة حافون⁽¹²⁷⁾، وكان له أول إسهام في تعريب المناهج وأقر الأخذ بالمناهج والكتب الدراسية للجمهورية العربية المتحدة واعتماد امتحانات الإعدادية والثانوية من مصر⁽¹²⁸⁾، له كتاب دراسي باسم-تاريخ اليمن القديم- لطلاب التاريخ يدرس في جامعة عدن والجامعات العربية قبل الإسلام وطبع منه عدة طبقات وتعد مرجعا مهماً في تاريخ اليمن القديم⁽¹²⁹⁾، ساهم من خلال موقعه بوصفه وزيراً للتربية في وضع اللبنة الأولى في مشروع بناء كلية التربية -عدن جامعة عدن يقول في -كتاب أربيعينية محيرز - قائلاً: (وبمجيء الاستقلال انتقلت إلى عدن والتقينا في وزارة التربية بالأستاذ محيرز واشتركنا في الكثير من الأعمال التي تمت خلال العام 1968م والرامية إلى توحيد الأنظمة التي خلفها الاستعمار في نظام وطني واحد وفي مشروع كلية التربية العليا الذي زارنا في تلك الأيام مندوب

(اليونسكو) وفي العادة هذه المنظمة مع الدول الحديثة الاستقلال وكان عربياً من أبناء سوريا. فطلبت من عبدالله أن يعد مشروع تعاون مع المنظمة لإقامة «كلية التربية العليا»⁽¹³⁰⁾. ولكن هناك من يرى أن الدكتور بافقيه قد أخفق في قيادة وزارة التربية والتعليم ويقول الدكتور/ أحمد علي مسعد المحاضر في كلية التربية العليا قائلاً: [وعندما أسند لي العمل القيام بعمل المنسق الوطني عوضاً عن الخبراء الأجانب الذين كانوا يديرون المشروع خلال السنوات السابقة من قبل الأمم المتحدة الأنمائي في عدن ازدادت معرفة أكثر بالحالة التي كانت مباني الكلية تمر بها ففي صباح يوم رافقت أحد الخبراء من الأمم المتحدة في جولة تفقدية رأيت مبنى في جانب منعزل قليلاً عن بقية المباني وقررت فتحه ومشاهدة ما بداخله وعبثاً ضاعت محاولاتي العثور على مفتاح الغرفة ولم نجد بدءاً من استدعاء نجار لفتح المبنى وعندما تم فتح المبنى فقد ذكرت وصفاً كنت قد قرأته للمقابر الفرعونية القديمة من قبل خبراء الآثار ولم نتمكن من رؤية ما بداخله؛ لأن مصباح النور كان قد فقد قوته وصلاحيته الاستعمال منذ سنوات وكان داخل هذا الكهف المظلم الذي كانت المحتويات الأتربة تغطي محتوياته وفقدنا الأمل في التعرف عليها بالعين المجردة فقد كان يحتوي على أجهزة ومعدات مختبرية زودتها بها اليونسكو من ضمن معدات أخرى.. وكلما ازدادت معرفتي بالكلية رأيت تصرفات أفزع واذكي⁽¹³¹⁾ ويستشهد مسعد في موضع آخر من -مذكراته شهادتي للتاريخ قائلاً: (شهدت عدن بعد الاستقلال تدهوراً خطيراً في أوضاعها التعليمية وعمت الفوضى جميع المدارس - بنين وبنات- ولم تستطع وزارة التربية والتعليم السيطرة على تلك الوضعية ووضع حد لتلك الظاهرة المخيفة، وكأنا الحصول على الاستقلال معناها الحرية للطلبة والطالبات والمدرسين والمدرسات والعاملين والعاملات لفعل ما يريدونه واستقال الوزير الذي عين في أول حكومة الاستقلال. وقد استدعى الأمر بعد أن ازدادت الأمور تدهوراً إلى تعيين الأخ علي ناصر محمد وزيراً للتربية والتعليم إلى جانب رئاسة الحكومة كي يعيد للوزارة احترامها وللحكومة هيبتها]⁽¹³²⁾. ولكن الدكتور محمد بافقيه يقول عكس ذلك من أنه لم يستقل بل وجد نفسه في العام 1970م مجروحاً مبعداً خارج وطنه سفيراً بالمملكة المتحدة في لندن⁽¹³³⁾ وهذا يدل على نفيه من منصبه إلى خارج الوطن، بينما الدكتور صالح باصرة يرى عكس ذلك قائلاً: «يوجه البعض النقد للفقيه ومحمور هذا النقد أنه حين وصل إلى السلطة تعامل مع الاتحادات الطلابية والمنظمات غير الحكومية بوصفها سلطة وليس بوصفه رجلاً أكتوى بنار السلطة المعادية لأي نشاط معارض وهذا لاحظته البعض في أثناء شغله لمنصب ناظر المعارف في حضرموت قبل الاستقلال وفي أثناء شغله منصب أول وزير للتربية والتعليم في أول حكومة وطنية بعد الاستقلال إذ اصطدم بافقيه مع اتحاد الطلاب الحضارم ثم مع الاتحاد الوطني لطلاب اليمن ولعل بيانات الاتحاد الوطني وأحداث 1968م في ثانوية الشعب تؤكد حدوث مثل هذا الاصطدام ولكن البعض يرى أن سبب الاصطدام هو اختلاف

نظرته للمشاكل وهو مسؤول عن تعامله مع المشاكل وهو خارج دائرة صنع القرار⁽¹³⁴⁾. ومهما يكن الأمر يظل الفقيد بافقيه من الحضارم الذين هاجروا إلى مدينة عدن وأثر الحياة العلمية والثقافية بالكتب والبحوث والندوات والمؤتمرات والبحوث والدراسات العلمية المتعددة في تاريخ اليمن وحضارتها، ومهما يكن الأمر فقد كانت للمرحوم بافقيه مناقب كثيرة في مجال العلم والتنوير فقد كانت آخر محطاته في العام 1989م إذ قام بإنشاء مؤسسة ريدان للدراسات الأثرية والنقشية والنشر وذلك بالتعاون مع وزير الثقافة والإعلام الدكتور محمد جرهوم، إذ فتح فرعاً للوزارة في مدينة عدن في الشارع الرئيس بالمعلا، وتم اعتماد مبالغ لها من مصافي عدن، وتم إحالة عدد من الموظفين والموظفات من إدارة الآثار والمتاحف في عدن⁽¹³⁵⁾، ونشط في مجال التنقيبات والآثار في كثير من مدن وقرى الجنوب مع مجموعة من المنقبين العرب والأجانب وعقد الكثير من الندوات والمؤتمرات والسمنارات العلمية بعد نهاية عمل البعثات الأجنبية وذلك لعرض مناقشة نتائج الأعمال الميدانية لكل بعثة، وهو أسلوب جديد لربط المختصين في الهيئة بتخصصاتهم في مجال العمل الأثري وإنشاء مكتبة متواضعة في ديوان الهيئة وتطوير مكتبة المتحف الوطني⁽¹³⁶⁾، له الكثير من المؤلفات والبحوث والدراسات المنشورة في مجال التاريخ والآثار من أهمها آثار العقلة ونقوشها، والمستشرقون وآثار اليمن (مجلدين) والعمل الأثري في عدن منذ الاستقلال حتى قيام الوحدة اليمنية⁽¹³⁷⁾، توفي «رحمة الله عليه» مساء الجمعة الموافق 16 أغسطس 2002م على إثر مرض الربو الذي عانى منه لمدة من الزمن، يمتلك بافقيه مكتبة علمية قيمة ونادرة في شقته في حافة حافون- بالمعلا- التي تحتوي على الكثير من الكتب التي يحتاجها الكثير من الباحثين والكتاب والتي جمعها خلال سنين عمره على مدى نصف قرن فهل من مؤسسة علمية تشتري مكتبته وأبحاثه التي مازال بعضها لم ينشر ليستفيد منها الاساتذة و الطلاب والباحثين⁽¹³⁸⁾.

2-2- الاستاذ عبدالله عبدالرزاق باذيب:

هو علم من أعلام حضرموت ولد في مدينة الشحر حضرموت، ثم هاجر إلى عدن وحصل على الشهادتين (الابتدائية والإعدادية) من مدرسة بازرة الخيرية في مدينة عدن، ثم التحق بالمدرسة الحكومية الثانوية بمدينة عدن، ثم تركها في العام 1951م، وعين وزيراً للتربية والتعليم في العام 1969م⁽¹³⁹⁾، بعد إزاحة الدكتور محمد عبدالقادر بافقيه⁽¹⁴⁰⁾ وكان له الأثر البالغ واليد الطولى في تأسيس جامعة عدن وقد أكد- نظام التربية والتعليم- الذي صدر في العام 1972م بموجب القانون 1972/27م على أن وزارة التربية والتعليم هي المعنية بالكليات والمعاهد العليا، وبموجب القرار الوزاري رقم (14) لعام 1974م تم استحداث إدارة عامة للتعليم العالي في وزارة التربية والتعليم وعين عبدالله فاضل فارح مديراً لها في عهد باذيب⁽¹⁴¹⁾، ثم تولى وزارة الثقافة والسياحة في العام 1972م⁽¹⁴²⁾، كما شارك في المعارك الأدبية التي شهدتها

عدن في الخمسينيات من القرن العشرين، وجسدت الصراع بين القديم والجديد،⁽¹⁴³⁾ ثم تحول باذيب من الأدب إلى السياسة والكتابة الصحفية وبعد محاكمته من قبل المستعمر البريطاني في العام 1955م بتهمة «إثارة الكراهية ضد الحكومة وإثارة الكراهية والفرقة بين طبقات وفئات السكان» الذي تطوع له الكثير من المحامين وعمت الشوارع بالمتظاهرين ومبنى المحكمة⁽¹⁴⁴⁾، وخرج بعد ذلك إلى شمال اليمن ويشير إلى ذلك المؤرخ محمد علي البار في كتابة - عدن في العصر الحديث - قائلاً: [ونرى الأستاذ عبدالله عبد الرزاق باذيب في أول ظهوره ناقداً أدبياً ومحللاً لمجموعة من القصص مثل قصة «يوميات مبرشت» (أي لص مرتشي) لعبدالله الطيب أرسلان وهو معجب بشعر لطفي جعفر أمان أشد أعجاب، ومع ذلك ينتقد لطفي، ومحمد عبده غانم، بشدة ولا يكاد يسيغ شعره بحسب قوله، ثم تحول إلى الماركسية وبعد محاكماته ذهب للإمام أحمد بن يحيى بن حميد الدين وأشاد به، ثم سافر إلى موسكو، ومنها عاد ماركسياً خالصاً حتى وفاته رغم اختلافه مع الرفاق والذي لم يقبل أن يستدرج الى شطط الإشهار المتسرع عن حزب شيوعي على غرار ما فعل أقرانه من المؤسسين للأحزاب الشيوعية في المشرق العربي، فقد تفوق عليهم، بمسافات من ضوء، بنضجه وصبره ومثابرته وصبره، وكتب ذات يوم «يجب على التجربة المرة لسائر البلدان العربية أن تكون درساً بالنسبة إلى اليمن» ورأهن على التجذر في المجتمع والحفر في أغوار تاريخه لتوليد الأطر الفعالة المستجيبة للخطة التاريخية ومن هنا كان توجهه إلى دعم إنشاء «شبيبة السلفي» تنظيماً شبابياً واجتماعياً ديمقراطياً، فالشباب كانوا في مركز اهتمامه ومن أولى أولوياته، وكان العمل الثقافي التنويري شغله الشاغل بكل ما يشتمل عليه من متابعات وقراءات ومحاضرات ومناقشات سياسية وفكرية⁽¹⁴⁵⁾ وهكذا ذهبت أحلام باذيب ورفاقه بالتجربة اليمنية ضحية الإسقاطات «الإرادية» على عملية التغيير في البلاد وعدم نضوج مقدماتها حتى قيل إنه مات كمداً من أعمالهم التي حطمت آماله في الاشتراكية العلمية والماركسية اللينينية التي كان يحلم بها في عالم طوباوي⁽¹⁴⁶⁾. وكان لشاعر حضرموت المحضار قصائد شعرية في معارضته للاشتراكية التي تبناها باذيب؛ وذلك النهج الغريب ومعادات دول الجوار العربي وقد دار نقاش أيام مجلس الشعب الأعلى في الجنوب حول عدم إخلاص دول الاشتراكية للجنوب وحدث حوار عن بعض المصانع التي نقلت للجنوب منها مصنع الجبس والطباشير الذي نقل من المجر وعمره الافتراضي قد انتهى ومعظم العمل يدار باليد حتى شكل الطباشير علق عليه أحد المدرسين المصريين بأن شكله مثل الحلاوة، لأنه بعيد عن شكل الطباشير، وقد تعرض المحضار في مجلس الشعب للمقاطعة والاسكات عندما تكلم عن ضرورة تحسين علاقتنا بدول الجوار العربي فقال له أحد المتشذقين بالاشتراكية أسكت يا محضار أنت ما تفهم في الاشتراكية، اسكت مما أغضب المحضار وكان ميلاد قصيدته الغنائية: ما إفتهم لي ليش تقصد تعدي في الملاوي وهي قدامك الجاده ما إفتهم لي ذي سياسة حكيمة منك والا

ماتفيد سخافتك وعنادك في الملاوي اذا خلصت زادك
لاتبدل بديل الأصل تقليد الهوى عاطفه ماتقبل التهديد⁽¹⁴⁷⁾، وقال أيضاً شاعر حضرموت
عندما منع من السفر إلى الأراضي المقدسة للحج إلا إذا حضر كفيلاً يكفله وقد أدرك بحسه
المرهف فجائعية الوضع فمعنى ذلك أن النظام فوق الوطن وأن المواطنة ليست انتماء بالحق
الالهي والإنساني، وإنما هي إذعان وعبودية عبر الصكوك والنصوص الحزبية بينما الانتماء إلى
الوطن بديهة غريزية ومن يشك في انتمائك لوطنك كمن يشك في أبوتك لأطفالك وكان رد
الشاعر المحضار مزلزل قائلاً:

قلبي في القطن ساكن له نخل فيها وطين
كيف تنكرون المواطن كلا لقاله ضمين
وأنا بدور ضمين إن كان أحصل ضمين
ولا بأخرج مع الضاعين الحب تحت المطاحن

بايطحنونه طحين⁽¹⁴⁸⁾. وهكذا ومهما يكن الأمر فالأستاذ عبدالله باذيب له اسهامات ومناقب
كبيرة فهو مناضل كبير وله بصمات في التعليم الحكومي والحزبي ففي الجانب التعليمي
الحكومي فقد انضم للتعليم الحكومي ما يقارب 415 طفل، وخلال المدة 1979-1980م طبقت
في البلاد الاستفادة من نظام المدرسة العامة الموحدة الذي يُعَدُّ التعليم فيها إلزامياً لجميع
الأطفال⁽¹⁴⁹⁾ وفي الـ 6 ابريل من العام 1985م أعلنت منظمة اليونسكو العالمية أن جمهورية
اليمن الديمقراطية الشعبية تحتل المرتبة الأولى في دول شبه الجزيرة العربية من حيث
التعليم، وأن نسبة الامية تساوي 2% من عدد السكان. وجاء هذا الإعلان عقب سنوات طويلة
من الاهتمام بالتعليم العام في مراحل كافة من قبل الدولة القائمة في جنوب اليمن حينها التي
ركزت الدولة الجنوبية التي ظلت قائمة حتى الـ 22 من مايو 1990م على التعليم بشكل كبير
وتمكنت من إنهاء الامية بشكل كبير في صفوف السكان.

3-2- الأستاذ الدكتور سعيد عبد الخير النوبان:

أستاذ التربية، ولد بالشحر «الزبينة»⁽¹⁵⁰⁾ في العام 1935م محافظة حضرموت، التحق بالمدرسة
المتوسطة بغيل باوزير في العام 1950م، ثم أرسل في منحة دراسية للتعليم الثانوي بكلية
عدن، بوصفه أول مبعوث إليها من أبناء المحميات الشرقية في العام 1952م وحصل على
شهادة الثقافة العامة (8) (G.C.E) مواضيع-لندن⁽¹⁵¹⁾ عمل مدرساً بالمدرسة المتوسطة بغيل
باوزير، ومسؤول مدير مشروع البعثات الحضرمي بين السلطنتين (القطعية والكثيرية) حتى
العام 1961م، ثم سافر للدراسات العليا وحصل على درجة البكالوريوس لغة انجليزية- تاريخ
جامعة الخرطوم في العام 1965م، عين نائب مدير المعارف بحضرموت خلال عامي

(1966-1969م). ثم في العام 1970م هاجر إلى عدن وعين وكيلاً لوزارة التربية كان له دور كبير في الإشراف على المناهج الحديثة وتأليف كتبها ومتابعة طباعتها كان يمضي مدد في مطبعة «الأوفست» بجانب د. سالم أبوبكر باسليم والأخ عباس أحمد حسني وفي متابعة مشاريع التربية مع الأخ عباس حسين العيدروس في تأهيل المعلمين في أثناء الخدمة، ومثلها مع الأستاذ بازرة والأستاذ أبوبكر باقر في إدارة الامتحانات⁽¹⁵²⁾. ثم حصل على دبلوم في التخطيط التربوي من المعهد الدولي للتخطيط التربوي (I.I.E.P) يونسكو- باريس (1970-1971م) ثم عين في العام 1975م وزيراً للتربية والتعليم حتى 1980م (153)، وواصل تعليمه الجامعي وحصل على دكتوراه في التربية من جمهورية ألمانيا الديمقراطية في العام 1976م⁽¹⁵⁴⁾. وشغل من العام (1978-1981م) رئيس جامعة عدن وجاء تأسيس جامعة عدن استجابة لحاجة المجتمع إلى مؤسسة علمية تؤدي مهامها التربوية والعلمية، وتواكب تطورات العصر، فكانت بداية التأسيس مرتبطة بوزارة التربية والتعليم بوصفها المؤسسة الأسبق التي أسهمت في وضع اللبنات الأولى في صرح جامعة عدن، وقد كان لوزير التربية والتعليم، عبدالرزاق باذيب، الذي أصدر قرار تأسيس كلية التربية في عدن في العام 1970م، وله دور كبير في تأسيس جامعة عدن. وبموجب القرار الوزاري رقم (14) للعام 1974م تم استحداث إدارة عامة للتعليم العالي في وزارة التربية والتعليم وعين عبدالله فاضل فارح مديراً لها⁽¹⁵⁵⁾. وفيما بعد صدر القانون رقم (229) لعام 1975م بشأن جامعة عدن في 10 سبتمبر 1975م وسبق قانون إنشاء جامعة عدن تأسيس ثلاث كليات مثلث النواة الأولى للجامعة التي كانت تتبع إدارة التعليم العالي بوزارة التربية والتعليم⁽¹⁵⁶⁾، لم يتم تعيين رئيس للجامعة، لهذا بادر كل من علي ناصر محمد، رئيس مجلس الوزراء، وسعيد عبدالخير النوبان وزير التربية والتعليم بالوكالة (أكتوبر 1975م) إلى مخاطبة عبدالله فاضل مدير عام التعليم العالي بالوزارة لتكليفه -بمتابعة إنشاء الجهاز الإداري للجامعة مستفيداً من الكوادر الإدارية الموجودة في الكليات القائمة والوزارات واقترح أية وظائف جديدة، ومناقشة عملية ربط الكليات بالإدارة المركزية للجامعة⁽¹⁵⁷⁾، وفي مطلع العام 1976م صدر قرار جمهوري بتعيين الدكتور محمد جعفر زين أول رئيس لجامعة عدن، أما عن صاحب بحثنا هذا سعيد عبدالخير النوبان فقد أصبح وزيراً للتربية والتعليم⁽¹⁵⁸⁾. ومن هذا الموقع أشرف على الجامعة، وأصدر عدداً من القرارات الوزارية الخاصة بتنظيمها، وكانت علاقته برئيس الجامعة طيبة، فقد حول لحساب الجامعة شيكا بمليون دولار تبرعت به جمهورية مصر العربية لجامعة عدن. كما بادر الوزير النوبان إلى إصدار منشور بتاريخ 30 مايو 1976م يعكس رغبته في الشروع في التخفيف من إشراف وزارة التربية والتعليم على جامعة عدن، وقد جاء فيه: (تتم متابعة القضايا الفنية والإدارية والمالية الخاصة بجامعة عدن من قبل الأجهزة الإدارية التابعة للإدارة المركزية للجامعة، وتتوقف أجهزة وزارة التربية والتعليم من المتابعة ابتداءً من تاريخ هذا المنشور⁽¹⁵⁹⁾).

ومن خلال هذا المنشور نستنتج الاتي: أن الدكتور النوبان من مؤسسي جامعة عدن، ليس برجل انتهازي ولا من أصحاب المصالح الضيقة التي لايهمها غير مصالحها الشخصية، بل مثل الرجل الحضرمي الإداري البسيط الذي يحب النظام والقانون و الذي يقدم مصالح وطنه وشعبه على مصالحه الشخصية.

في مطلع العام 1976م بعد سفر عبدالله فارع إلى القاهرة لم يعين النوبان مديراً عاماً بدله، ولا أي وثائق تبين أو تثبت تدخل أبوبكر عبدالرزاق باذيب في شؤون الجامعة بعد تعيينه نائباً لوزير التربية والتعليم لشؤون التعليم العالي والتخصصي في العام 1978م، ومن المؤكد أن علاقة جامعة عدن بوزارة التربية والتعليم خلال عهد النوبان خلال المدة (1976-1981م) ترتبط ارتباطاً وثيقاً قضية استقلالية جامعة عدن ووضعها القانوني⁽¹⁶⁰⁾. ويؤكد مؤلفو كتاب-تاريخ جامعة عدن- إلى أن الدكتور سعيد النوبان قد دفع غالبا ثمن مطالبة باستقلالية الجامعة عن وزارة التربية والتعليم في العام 1981م⁽¹⁶¹⁾، ومن خلال تقصي دور الأستاذ النوبان في استقلال الجامعة عن وزارة التربية والتعليم ومنصب رئيس الجامعة منذ مطلع العام 1979م يتضح أن سعيد عبدالخير النوبان تفاعل بشكل ايجابي مع الآراء التي تنادي باستقلال الجامعة، والسماح بإدراج مناقشة المسألة في الدورة الثالثة لمجلس الجامعة للعام 1979 (3 أبريل) تحت عنوان: «المركزية واللامركزية» وكانت النقطة الرابعة في جدول أعمال الجلسة-التي ترأسها نائب رئيس الجامعة جعفر الظفاري: تعليقات ذاتية على القانون 22 للعام 1975م والقرار الوزاري 45 للعام 1976م. وقد أكد الحاضرون بالإجماع على ضرورة إعادة النظر في القانون والقرار الوزاري. ثم كرست دورة المجلس لشهر يونيو من العام نفسه لمناقشة نقطة واحدة» الهيكل التنظيمي والمركزية واللامركزية» تمهيدا لإجراء تعديل على القانون رقم (22) لعام 1975م في إطار قرارات المؤتمر الأول للتعليم العالي في جامعة عدن الذي كان مقررا أن يعقد في العام 1980م، وتم تأجيله إلى إبريل 1981م بسبب الأحداث السياسية التي شهدتها البلاد في العام 1980م⁽¹⁶²⁾، لكن المشروع لم ير النور، فمقترح مجلس الجامعة بتعديل القانون رقم 22 للعام 1975م تم إعداده من قبل اللجنة التحضيرية للمؤتمر الأول للتعليم العالي، ورفعته رئيس الجامعة لمجلس الوزراء في مطلع العام 1981م دون موافقة وزير التربية والتعليم الذي عاتبه في رسالة سرية يتبين لنا من خلالها أن وزير التربية طلب تأجيل انعقاد المؤتمر. وفي رد الدكتور النوبان للوزير نلمس أنه قد عقد النية على مغادرة كرسي رئاسة الجامعة، ورحب بتعيين الدكتور سالم عمر بكير في يونيو 1981م⁽¹⁶³⁾. ويتضح فيما بعد أن موضوع تعديل القانون الهادف إلى إنهاء إشراف وزارة التربية فقد حسم لصالح وزير التربية والتعليم بموجب الرسالة التي وجهها سكرتير الدائرة الأيديولوجية للحزب الاشتراكي اليمني بتاريخ 14 مايو 1981م التي تشير إلى أن التبعية القانونية لجامعة عدن

وبحسب قرار اللجنة المركزية في دورتها الثالثة في شهر إبريل إذ أقرت اللجنة المركزية أن تظل التبعية القانونية للجامعة لوزير التربية والتعليم⁽¹⁶⁴⁾. وهذا ما أكدته أدبيات ووثائق جامعة عدن الصادرة في 19 يناير 1991م وعلى وفق ذلك فإن أهم حدث في تاريخ جامعة عدن هو انعقاد المؤتمر الأول للتعليم العالي في المدة من 26-28 إبريل 1981م وقد تمخض هذا المؤتمر عن صدور الكثير من الوثائق والتوصيات كما أقر مجموعة من اللوائح التنظيمية أهمها⁽¹⁶⁵⁾. وتجدر الإشارة إلى أن النوبان قد تضمن نشر وجهة نظره في كتاب- التابن - الذي صدر بعد وفاته في العام 2004م بعنوان: "تطور جامعة عدن 1970-2000م" يقول فيها "دعونا نحاول أن نناقش مانؤمن به من فهمنا للترابط بين استقلالية الجامعات والحرية الأكاديمية ومسألة السلطة فوق المجتمع. وسؤالنا الأول: هل توجد فعلا حرية أكاديمية مطلقة؟ واستقلالية مطلقة للجامعات؟ يرى أثاند جورجي أن اعتماد الجامعات في تمويلها على الدولة جعل الأخيرة تحرص على فرض بعض آرائها فيما تقدمه الجامعات. وأن هذا النقاش خلق فجوة بين الدولة وإدارة التعليم العالي، حتى إن وزارة التربية والتعليم وبعض التنفيذيين حاولوا التدخل في سلطات الجامعة وصلاحياتها على سبيل المثال: تعيين وإعفاء عمداء الكليات. وقد فرضت الدولة ذلك كي تضمن تنفيذ سياستها في مجال التعليم العالي. وقد اتجهت الدولة إلى فرض تدخلها لشعورها بالمسؤولية تجاه المجتمع وتطوره وحرصها على أن يكون هناك مردود اجتماعي كبير لأي استثمار. لكن الجامعة- كما يرى كومس- لا تريد ذلك، وترى أن يبقى استقلالها وأن تتأكد من الحفاظ على الحرية الأكاديمية⁽¹⁶⁶⁾" ويستخلص الدكتور النوبان في نهاية دراسته إلى الاتي: أن مشوار تطوير العمل الإداري الجامعي على أسس حديثة مازال بعيداً عن التحديث وأن الإصلاح بحاجة إلى إرادة حقيقية لدى القيادة، أيضاً سياسة القبول المخطط في المجال الاستثماري الرأسمالي لتقدم نسجاً رائعاً نجد التباعد بين الهدف الأكاديمي وسياسة القبول والاستثمار والكل يعمل بصورة مستقلة عن بعضها، السياسة المالية معدومة داخل الجامعة ولا ارتباط بينها وبين العمل الأكاديمي إلا دفع رواتب الأساتذة. كما أن العمل اليومي الإداري والمالي لا ينسجم مع نشاط جامعي أكاديمي، نسبة كبيرة من الإداريين لم يستوعبوا دورهم في منظومة النشاطات الأكاديمية ويتصرفون كما يتصرفون في أي مكتب يبدأ نشاطه صباحاً وينتهي بنهاية الدوام، أهملت رعاية اللجان الدائمة التي شكلت في المؤتمر الأول للتعليم العالي (إبريل 1981م) وكان يمكن أن ينعت وأصبح شأن الجامعة أكاديمياً أفضل من وضعها الحالي. يشعر عضو الهيئة التدريسية بأن صلته بالعمل الأكاديمي ومن يقوده، تبدأ وتنتهي بأدائه بمحاضراته، وليس شريكاً ولا مساهماً ولا منتجاً، والعزلة بين الإدارة المركزية بعمادياتها ودوائرها والكليات بوصفها مؤسسة يعمق شعور الالانتماء⁽¹⁶⁷⁾. من خلال ذلك التقرير والاستنتاجات والتوصيات التي حواها كتاب النوبان يتضح جلياً أن النوبان كان يريد إصلاح

وضع الجامعة على طرائق أوروبية حديثة ومتطورة علمية راقية من خلال مطالبة باستقلال الجامعة عن هيمنة وزارة التربية والتعليم والحزب الحاكم ولهذا لم تتطور جامعة عدن وظلت طوال تاريخها تخضع للسياسة والحزبية والأهواء الشخصية للقوى المتنفذة في كل مراحل التاريخ وهذا ما أكد عليه الدكتور صالح علي باصرة في ورقة علمية في ندوة كلية الآداب -جامعة عدن -بعنوان (الوحدة والتعليم الجامعي في اليمن)، قائلاً: (عكست أهداف الجامعة ومحتوى ونظام الإدارة فلسفة السلطة في الشطرين سابقاً فبخصوص جامعة عدن، كانت البداية على قرار نموذج الجامعات المصرية والجامعات العراقية، غير أن الأمر سرعان ماتغير مع هيمنة الفلسفة الاشتراكية، وتوسع دائرة الارتباط السياسي والاقتصادي والعسكري والفكري بالاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية. وقد عكست أهداف جامعة عدن ومناهجها ونظامها الإداري وكذلك علاقتها الخارجية بفلسفة النظام السياسية في الجنوب آنذاك)⁽¹⁶⁸⁾ ولكن مايعيب صاحب بحثنا هذا أن الدكتور النوبان يظهر بمظهر المصلح ويعمل لصالح الوطن والجامعة أمام الجميع وليس له علاقة بالسياسة ودهاليزها، واستمر على هذه الحال ردحاً طويلاً من الزمن ينفذ توجيهات النظام السياسي بوصفه وزير التربية ورئيساً للجامعة وفي حقيقة الأمر أن السياسة في عصرنا صارت داء لابد أن يصيب كل فرد ولايستطيع فرد منا أن يدعي أنه ليامارس سياسة أو تعاطف مع حزب معين. ويرجع مؤلف كتاب تاريخ الجامعة إلى أن بعض عناصر المكتب السياسي للحزب الاشتراكي اليمني قد لمست شيئاً من المغالاة في استهداف النوبان والسعي إلى إزاحته من رئاسة الجامعة من خلال تطبيق قرارات اللجنة المركزية، وقامت بتقديم تقرير للجنة المركزية للمكتب السياسي حول الأوضاع في جامعة عدن القيادية في الجامعة وكلياتها، وتحديد مؤهلات كل منها. وبيّن التقرير أن عميد كلية التكنولوجيا لم يكمل الدراسة الجامعية في الهندسة، ومسجل عام الجامعة لم يتجاوز المرحلة الثانوية، وأحد نواب رئيس الجامعة يحمل شهادة البكالوريوس. وتطرق التقرير كذلك لإشكالية التوفيق بين)توفر الكفاءة العلمية والخبرة والنظرة الثاقبة والرؤية البعيدة)وبين توافر الالتزام الحزبي، وانتقد التقرير بشدة التغيير المستمر في قيادات الجامعة مثلما حدث في كلية التربية -عدن التي تعاقب عليها خمسة عمداء وعدد من النواب في أقل من عشر سنوات بين الأعوام(1970-1980م) ويشير التقرير إلى أن هذه الكلية هي أقل الكليات استقراراً في مناهجها وهيئة تدريسيها ومختبراتها..الخ)⁽¹⁶⁹⁾. وهكذا وبعد شد وجذب داخل اللجنة المركزية والمكتب السياسي للحزب تم تعيين الدكتور سالم عمر بكير نائباً ثالثاً لرئيس الجامعة، وشغل هذا المنصب حتى الأول من يناير 1982م حينما تم تعيينه رئيساً للجامعة بدلاً عن الأستاذ الدكتور سعيد عبد الخير النوبان⁽¹⁷⁰⁾. وهكذا بعد صور قانون إنشاء الجامعة الذي أجاز إنشاء كليات أخرى تم في عهد النوبان منها⁽¹⁷¹⁾. ولكن يظل النوبان من أولئك الرجال والهامات الوطنية

الحضرمية التي كان لها الأثر الطيب في التعليم في مدينة عدن الذي سيظل محفوراً في ذاكرة الأجيال القادمة وعلماء أكاديمياً من أعلامها فمن خلال الإحصائيات التي حصلنا عليها من أعداد الطلاب الخريجين من كليات جامعة عدن للمدة (1972/71م-1982م) إذ بلغ إجمالي الطلاب⁽⁷⁰²⁾ طالب وطالبة في عهد النوبان⁽¹⁷²⁾، بالإضافة، إلى تأهيل أعضاء هيئة التدريس خلال المدة (1981-76م) وبلغ إجمالي من أوفدتهم الجامعة (134) للماجستير والدكتوراه، معظمهم توجهوا إلى دول اشتراكية مثل (الاتحاد السوفيتي، وألمانيا الديمقراطية، والمجر، وبلغاريا، وتشيكوسلوفاكيا⁽¹⁷³⁾). بعد إقالة النوبان من رئاسة الجامعة وفي العام 1981م تم تعيينه مستشار مجلس جامعة عدن وعاد للتدريس في كلية التربية عدن قسم التربية -أستاذ الإدارة والتخطيط التربوي حتى وفاته في 24 يونيو 2004م⁽¹⁷⁴⁾، وله العديد من المؤلفات جاهزة للطبع تقدر بحوالي خمسة أبحاث، وبحوث ودراسات منشورة عددها تسع عشرة دراسة، وترجمات منشورة عددها خمس، أشرف على الكثير من الرسائل العلمية في كلية التربية ماجستير دكتوراه عددها ثماني عشرة رسالة وأطروحة علمية واشترك في نقاش تسع رسائل دكتوراه وماجستير في مجال التربية والتعليم⁽¹⁷⁵⁾. ولهذا لن يختلف اثنان في أن الأستاذ الدكتور سعيد عبدالخير النوبان كان أحد الشخصيات التربوية والأكاديمية والعلمية الحضرمية التي كان لها الأثر البالغ في الإسهام الكبير في الجانب العلمي في الجنوب ولاسيما مدينة عدن وذلك من خلال توليه أعلى المناصب القيادية التي تولها بعد رحيل المستعمر البريطاني في مجالات التربية والجامعة وحقل التدريس. ولم ينصاع لكثير من الضغوطات و الإجراءات الحزبية والسياسية التي اتخذت بعد تنحيه من الوزارة وأثرت سلباً في مستوى التعليم الأساسي والثانوي وحصل على مجموعة من الأوسمة منها: وسام الآداب والفنون 1979م تقديراً لجهوده في تطوير النظام التعليمي في اليمن، ووسام الإخلاص في العام 1985م تقديراً لجهوده في الحملة الوطنية للقضاء على الأمية ووسام الاستقلال الوطني، وميدالية جامعة عدن 1982م، وميدالية اليونسكو في العام 1990م⁽¹⁷⁶⁾.

4-2- الاستاذ الدكتور سالم عمير بكير:

أستاذ اللغة العربية وموسوعة علمية وفكرية ومؤرخ وشاعر الدان الحضرمي والشبواني ثالث رئيس لجامعة عدن⁽¹⁷⁷⁾، ولد في مدينة المكلا بتاريخ 11 يناير 1946م، عاش في أسرة متوسطة الحال، درس الابتدائية في المدرسة الشرقية-بحافة البلاد سابقا-حي الشهيد خالد حالياً، كان متفوقاً في دراسته، فقد تم اختياره ضمن مجموعة من التلاميذ ليكمل دراسته المتوسطة في المدرسة الوسطى (غيل باوزير) بعد ذلك رشح للدراسة في جمهورية السودان ودرس الثانوية فيها في بداية الستينات بدرجة (امتياز) ثم التحق بعد ذلك بسلك التدريس بوزارة التربية والتعليم في منطقة الحجي الابتدائية بمديرية دوعن⁽¹⁷⁸⁾، وفي سبتمبر من العام 1967م غادر مدينة

المكلا ليكمل دراسته الجامعية في الجامعة الامريكية في بيروت في منحة دراسية على حساب السلطنة القعيطية، وفي بداية السبعينات أكمل دراسته الجامعية في الأدب العربي والانجليزي وتعين مدرس في كلية التربية عدن⁽¹⁷⁹⁾، ثم رئيساً للقسم، من مؤسسي اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين في العام 1976م سافر للدراسة إلى الاتحاد السوفيتي لتحضير أطروحة الدكتوراه في- التاريخ الحديث والمعاصر- وفي العام 1980م حصل على درجة الدكتوراه من اكااديمية العلوم الاجتماعية في موسكو، وأدرج اسمه في قسم التاريخ بوصفه عضواً في الهيئة التدريسية وساهم في إلقاء المحاضرات على طلبة الدراسات العليا في مجال الأدب العربي والتاريخ⁽¹⁸⁰⁾ كلف نائب لرئيس الجامعة، ثم عين رئيساً لجامعة عدن خلفاً للأستاذ الدكتور النوبان خلال المدة من 1982م-1986م⁽¹⁸¹⁾. ومن خلال تتبع السيرة والمسيرة للأستاذ بكير نلاحظ أنه خلال ترأسه رئاسة الجامعة عمل على تطوير الجامعة فقد اتمت في عهده كليات الجامعة الأساسية ماعدا كلية التربية شبة مع إنشاء معهد اللغات الأجنبية⁽¹⁸²⁾ وتخرج منها حوالي (5863) طالب وطالبة حتى نهاية العام 1985م⁽¹⁸³⁾، وبلغ إجمالي أعضاء هيئة التدريس إلى (464) من الجنسين⁽¹⁸⁴⁾ وبلغ عدد الموظفين حوالي (173) من كلا الجنسين في الإدارة المركزية للجامعة⁽¹⁸⁵⁾ بعد أحداث 13 يناير 1986م تم انتخابه في سكرتارية اللجنة المركزية في الدائرة الأيديولوجية واستمر يعمل في إطار اللجنة المركزية ويقوم بالتدريس في الجامعة كانت له اليد الطولى في العديد من القرارات والمؤتمرات التربوية وساعد إلى حد كبير في مجال التربية والتعليم بشكل عام والجامعة بشكل خاص⁽¹⁸⁶⁾. توفي في 2 يوليو 1998م له العديد من الأعمال الفكرية والإبداعية وفي أكثر من مجال بعضها في مجال الإدارة الجامعية، ولاسيما وأنه شغل نائب رئيس الجامعة ثم رئيساً للجامعة ولمدة تزيد عن ثمان سنوات وبعض الأعمال الفكرية منشورة، وبعضها لم ينشر والبعض الآخر بوصفها مسودات وعلى أشرطة الكاسيت والفيديو، ويرجع بعض المؤرخين إلى أن بكير شغل لمدة طويلة بمناصب حزبية وسياسية ومنظمات جماهيرية ومن ثم شغلته تلك عن نشر أعماله ورغد المكتبة العلمية بالمفيد لشعبه وتلاميذه وللعلم¹⁸⁷، وقامت أسرته بعد وفاته بإهداء مكتبته الشخصية الثرية بالكتب العلمية والتاريخية لجامعة عدن ويوجد له جناح خاص في المكتبة المركزية في الدور الثالث بمدينة الشعب باسم بكير.

5-2 الأستاذ الدكتور محمد بن سعيد بن الفقيه العمودي:-

هو علم من أعلام حضرموت و أول عالم عربي كيميائي يكتشف مركباً كيميائياً وقد تحدث العالم كله عنه وعن اكتشافه لمركب كيميائي وقد أسماه ” قيدون “ تيمنا باسم منبت آل العمودي في حضرموت -بلاد الشيخ سعيد بن عيسى العمودي⁽¹⁸⁸⁾. ولد الأستاذ الدكتور العمودي في العام 1943م قرية - قيدون - محافظة حضرموت، درس الابتدائية والإعدادية والثانوية العامة قسم علمي من اسمرا اريتريا، وحصل على البكالوريوس تربية (فيزياء / رياضيات كلية التربية

جامعة عدن في العام 1977م، وكان من مؤسسي نقابة الطلاب المنتمي (لتنظيم الجبهة القومية) المسيطر على نقابة كلية التربية العليا- عدن - إذ قاد نشاطات طلابية نقابية ضد الإدارة الأكاديمية في نهاية العام الجامعي 1972-1973م أي في شهري يونيو- يوليو 1973م باحتجاز الاستاذ د. عميد الكلية عبدالله فاضل، بالإضافة الى اعتقال بعض أفراد الطاقم الإداري وضغطت على الحكومة وعبر القنوات التنظيمية للحزب الحاكم التنظيم السياسي للجبهة القومية لإجراء تغيير في عمادة الكلية العليا واستبدال شخص آخر بمندوب منظمة اليونسكو⁽¹⁸⁹⁾ وحاصل على دبلوم فيزياء في العام 1987م جامعة فريدريك ألمانيا، وحصل على درجة الدكتوراه من أكاديمية العلوم والتكنولوجيا- فرنسا في العام 1980م⁽¹⁹⁰⁾، وعين نائب عميد كلية التربية- عدن، وعميد كلية التكنولوجيا جامعة عدن، ورئيسا للجامعة، وله الكثير من الكتب والأبحاث العلمية باللغة العربية والإنجليزية نذكر منها الكتب المنهجية لطلاب الجامعة التي تدرس إلى اليوم مهارات في الحاسوب لطلبة كليات التربية- كتاب منهجي⁽¹⁹¹⁾ العمودي وآخرون كتاب الحاسوب لطلبة أول ثانوي⁽¹⁹²⁾. و كتاب الحاسوب لطلبة أول ثانوي المعهد الفني⁽¹⁹³⁾ وكتاب البرمجة الهيكلية لطلبة كليات التربية كتاب منهجي⁽¹⁹⁴⁾ وبهذا يُعدّ البروفسور والعالم الكيميائي محمد بن سعيد بن الفقيه العمودي آخر علم من أعلام حضرموت في موضوع دراستنا الذي تم تنحيته من رئاسة جامعة عدن في حرب صيف عام 1994م.

الخاتمة:

بعد رحلة البحث والتنقيب في المراجع راصداً لدور علماء الحضارم العلمي والديني في مدينة عدن في تلك المدة 1930-1990م توصلت للنتائج والتوصيات الآتية:

أ- النتائج:

- اثبتت هذه الدراسة العلمية المتواضعة دور الحضارم في مدينة عدن في الجانب العلمي والديني وفي التنوير والتحديث من خلال تلك الكوكبة الحضرمية المتنورة التي هاجرت واستوطنت مدينة عدن.
- اثبتت الدراسة أن للحضارم دوراً لا يستهان به في نشر العلم الشرعي في مدينة عدن وباقي مناطق الجنوب العربي.
- يلمس الباحث التأثير الديني والعلمي من ميراث النبوة والرسالة الوسطية الشرعية لشيوخ تريم الصوفية في مدينة عدن منذ وصول أبي بكر بن عبدالله العيد روس وماتلاه من الشيوخ والفقهاء والعلماء الحضارم ولذوي النزعة وآخرهم الشيخ العلامة باحميش والتأثير الواضح لما تلقاه من علوم مختلفة حتى وفاته.
- الطولى في مجال التربية والتعليم من وزراء ورؤساء جامعات ومراكز علمية مرموقة خلال مدة الدراسة ومازال الكثير يعلم في المجال العلمي والديني إلى اليوم.
- بين الباحث أوجه الشبه و الاختلاف بين الحضارم ولاسيما باحميش و باذيب وكل واحد منهم منهجه في الحياة وفي تصارع الأيديولوجيات في تلك الحقبة لتقاسم العالم بين القطبين.
- ثبت الباحث وحدة الهدف الذي ناضل من أجله باحميرز والنوبان و بافقيه وإن اختلفت بعض الوسائل في تحقيق غايتها إذ جمع بينهم نسيج فكري واحد، نابع من المصدر نفسه في تلقي العلم اذ كانا من خريجي جامعات اوربية واحدة , فالمنطلقات الفكرية واحدة ولكن تنفيذها اعتمد على خصوصية كل منهما.
- اثبتت الدراسة أن الأستاذ باذيب وبكير والعمودي تأثروا بالفكر الشرقي الاشتراكي وانعكست على سلوكهم وأعمالهم مواقفهم في مجال العلم والتربية وتماشيا مع ذلك النهج الاشتراكي ظهر خلاف النوبان ومحميرز وبافقيه وعندما سقط النهج الاشتراكي سقطوا معه ولم تشفع لهم أعمالهم ومناقبهم العلمية تلك لان قرارات تعينهم سياسية ولم تكن بانتخابات حرة ونزيهة من قبل اعضاء هيئة التدريس بالجامعة وهذا الحال استمر حتى اليوم.

ثانياً التوصيات:

1. يوصي الباحث بجمع ما خلفه علماء الحضارم العلمي والديني في مدينة عدن خلال المدة المؤرخة بـ 1930-1990م

2. تقسيم ذلك الإرث العلمي والديني على أساس علمي بين بحوث علمية تختص بالعلوم الإنسانية، والعلوم التطبيقية.
3. و بين بحوث تختص بالجانب الديني، منها: بحوث تختص بأحول الفقه والشريعة، وعلوم اللغة عامة والنحو خاصة.
4. إعادة نشر الخطب التي كان يلقيها علماء الدين الحضارم في عدن من خلال تسجيلات صوتية تؤرخ لجهدهم في التوعية الدينية.
5. نشر بحوث أولئك العلماء، والإفادة منها، واعتمادها بحوث رصينة يعتمد عليها الباحثون في بحوثهم الجامعية.

1. كينج، جيليان، القاعدة إلامبراطورية الإمامة، عدن مكانتها في السياسة الاستراتيجية البريطانية عدن المستعمرة، مجلة اليمن، العدد الرابع والثلاثون أكتوبر 2014م - مارس 2015م الصادرة عن مركز الظفاري للبحوث والدراسات اليمنية - جامعة عدن، دار جامعة عدن، ط1، 2015، ص435، البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث "من الاحتلال البريطاني 1839 إلى الاستقلال 1967م كنوز المعرفة، جدة، ط1، 212، ج2، ص295، عبدالله، هناء عبدالكريم فضل، الجاليات في عدن "دراسة تاريخية 1839-1967م" دار الوفاق عدن، ط1، 2014، ص41، نبيل مصطفى، المثلث الذهبي "المغرب-اليمن-عمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2002، ص14.
2. مجموعة مؤلفين، عدن بوابة اليمن الحضارية "وثائق الندوة العلمية المنعقدة في عدن خلال المدة من 18-19 يناير 2011م، دار جامعة عدن، ط1، 2011، ص231، بلفقيه، عيديرس علوي، اليمن "أرضه - سكانه - موارده"، دار جامعة عدن، ط1، 2010، ص1، ج1، ص525.
3. للمزيد ينظر: البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق ص276-277، نبيل مصطفى، المثلث الذهبي "المغرب-اليمن-عمان، مرجع سابق، ص13.
4. ترد عبارة أرض حضرموت في بعض النقوش السبئية مثل: 5-52106-10,750-Ja612 CIAS39.11,5-6,2112 5-no4,03-Ir13&3,13,31&1 ويقصد بذلك أرض حضرموت القديمة والقبيلة، ويقول الهمداني "حضرموت من اليمن جزؤها الأصغر" نسبت إلى حضرموت بن يقطن بن عابر بن شالخ، وقيل اسم حضرموت؛ عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائلة بن الغوث بن قطن بن عريب بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ، وظلت تعرف بهذا الاسم قروناً طويلة دون انقطاع ولم يزل الاسم يزاوَل الممالك القديمة وورد في التوراة باسم (حضرميت). بافقيه، محمد عبدالقادر، توحيد اليمن القديم، ترجمة على محمد زيد وآخرون، صنعاء المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية-الافاق للطباعة والنشر، ط2، 2007، ص160، الارياني، مظهر بن علي، تاريخ اليمن نقوش مسندية وتعليقات، صنعاء مركز الدراسات والبحوث اليمني 1990م، ص243، 244، 246، بافقيه، محمد بن عمر الطيب، تاريخ الشجر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، بيروت، عالم الكتب، 1999م، ص11، المقحفي، إبراهيم، معجم البلدان والقبائل اليمنية، صنعاء، دار الكلمة-بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات 2002م، ج1، ص97.
5. الحامد، صالح، تاريخ حضرموت، مكتبة الارشاد، جدة، ب(ت)، ج1، ص13-14. الشاطري، أحمد محمد أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة -جدة، ط1983، ج2، ص39-40، السقاف، ابن عبدالله، إذ القوت في ذكر بلدان حضرموت 1017-1018، بامؤمن، عوض، الإيلاف في تاريخ

- بلاد الاحقاف، ص30، وعكاشة، السلطنة القعيطية، ص7
6. سورة الاحقاف، الآية21.
 7. اللغوي، ابن زكريا، مجمل اللغة، ج5، ص1245، تفسير الفخر الرازي مج14 ج18، ص27.
 8. باوزير، سعيد، صفحات مرجع سابق، ص5.
 9. باوزير، محمد بن هاوي، بلاد الاحقاف.. حضرموت الاسم والموقع من خلال المصادر التاريخية، مجلة اليمن، العدد الرابع والثلاثون أكتوبر-مارس2015م، مرجع سابق ص310.
 10. باوزيرالمرجع، نفسه ص7.
 11. الفرغ، محمد حسين، اليمن في تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب-صنعاء، ط1، 2001م، ص19، باوزير المرجع نفسه، ص7
 12. باوزير، المرجع نفسه، ص8.
 13. بانافع، يحيى بن عبدالمليم، الخبر النافع في تراجم وسير المشايخ ال ابي بانافع، مكتبة تريم الحديثة، ط1، 2019م، ص25. باوزير، سعيد، المرجع السابق، ص25.
 14. وذكرت في النقوش باسم "سابوتاSabota" وباسم "شب Shabb" التي تعني الشب أو الملح، وتشير بوضوح الى مناجم الملح وفي سفر التكوين الجزء 1-7 ذكراً "شبا Sheba" عاصمة مملكة حضرموت، وتقع عند نهاية وادي المعشار الذي هو امتداد لوادي العطف وعرماء. طوحل، خالد عبدالله، العوالق وتكوينهم السياسي الحديث1918-1967م "دراسة تاريخية سياسية، دار الوفاق، ط1، 2015م، ص15. فيلبي، هاري سانت جون، بنات سبأ، رحلة في جنوب الجزيرة العربية، تعريب. د. يوسف مختار الأمين، مكتبة العبيكان، ط1، 2001م، ص142-143.
 15. الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، مرجع سابق، ص20، باوزير، سعيد عوض، صفحات، مرجع سابق، ص24. بانافع، الخبر النافع، مرجع سابق، ص25.
 16. باوزير، مرجع السابق، ص27.
 17. باوزير، مرجع السابق، ص28.
 18. الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، مرجع سابق، ص84-85.
 19. المرجع نفسه، ص85
 20. الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، مرجع سابق، ص87.
 21. مصباح، محمد سالم، وآخر، العمارة الطينية "عندالمعماري عوض سليمان عفيف وأخوانه-مسجد المحضر" مكتبة تريم الحديثة، ط1، 2019م، ص16-17.
 22. باوزير، المرجع نفسه، ص28.
 23. الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر، أدوار التاريخ الحضرمي، دار التراث للدراسات والنشر، ج(ب،ت) ص87.

24. مجلة آداب الحديدة الاصدار الثاني للعام الجامعي 2012-2013 م ب(ت،ط)ص103.
25. بانافع،الخبر النافع،مرجع سابق،ص33،40.
26. باوزير،سعيد،صفحات، مرجع سابق،ص116.بانافع،الخبر النافع، مرجع سابق،ص73-84.
27. وهي إحدى مدن وادي حضرموت المشهورة فقد حظيت منذ مدة زمنية على أهمية تاريخية بحكم نشأتها بوصفها مدينة قديمة،ورد ذكرها ضمن المدن التي يعود نشأتها إلى القرن الرابع قبل الميلاد،وهي (شيام وسيئون وتريم) وتقع شمال شرق شبام وادي حضرموت وفيه يبدأ وادي المسيلة، وفي العصر الإسلامي أصبحت تريم مركزاً من مراكز العلم والمعرفة في اليمن،وأشتهرت بالأربطة والمساجد والزوايا، ومن أشهرها رباط تريم، ويعرف بأزهر حضرموت وقد افتتح في 2 أكتوبر 1887م للمزيد: ينظر مصباح، محمد سالم، العمارة الطينية، مرجع سابق، ص21،22،23، بانافع، مرجع سابق، ص37.:: العمري حسين عبدالله، تريم، الموسوعة اليمنية1، مؤسسة العفيف - صنعاء، ط2، 2002م مج1، ص665-666، طاهر، علوي عبدالله، (الرباط) الموسوعة اليمنية، مج2، ص1378.
28. مصباح، محمد سالم، العمارة الطينية، مرجع سابق، ص18، بانافع، مرجع سابق، ص37.
29. (الشاطري، أحمد محمد، ادوار التاريخ الحضرمي، مرجع سابق، ص422-425، مجلة حضرموت الثقافية، فصلية، تصدر عن مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، السنة الأولى العدد(4)ابريل-يونيو 2017م، ص46.
30. مازال هذا الرباط يواصل دوره الريادي والتنويري بعد أن توقف في مدة حكم الرفاق وعاد بعد عام 1990م للمزيد ينظر: البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، ج3، مرجع سابق، ص388.
31. البار، عدن في العصر الحديث، ج3 مرجع سابق، ص152.
32. طوحل، العوالق، مرجع سابق، ص59، بانافع، الخبر النافع، مرجع سابق، ص28-70، 33، 29. السليمان، محمد عيدروس، أدوار عولقية في التاريخ السياسي لحضرموت (1500-1900م)، مجلة حضرموت الثقافية، مرجع سابق، ص17، الغزالي عبدالله صالح، قبائل ردفان الاجعود، مرجع سابق، ص138.
33. إنغرام، وليام هارولد، زنجبار تاريخها وشعبها، ترجمة د.عدنان خالد عبدالله، إصدار هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، ط1، 2012م ص31. وستارك، فرايا، مشاهد من حضرموت، ترجمة زين عيدروس واخر، دار جامعة عدن، ط1، 2001م، ص22. عمشوش، مسعود سعيد، الحضارم في مهاجرهم، ط1، 2017م ص59، 30، 6. باراس، خالد أبوبكر، أيها الماضي.. وداعاً.. ذكريات وخاطر "المطبعة الحديثة للأفست-المكلا، ط2012، 1م، ص57.
34. بلفقيه، عيدروس، اليمن "أرضه - سكانه - موارده"، مرجع سابق ج1، ص525.

35. الكبسي، محمد حمود أحمد، وآخر، معالم مدينة عدن بين الاصاله والحداثة، عدن بوابة اليمن الحضاري، الندوة العلمية-جامعة عدن خلال المدة من 18-19 يناير 2011م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط1، 2011م، ص100-101، عبد النعيم، أسامة طلعة، جامع العيدروس في عدن "دراسة آثارية معمارية، عدن بوابة اليمن، الندوة العلمية، مرجع سابق، ص459.
36. محيرز، عبدالله أحمد، صيرة، أبحاث متعمقة عن بعض معالم عدن ومرافقها الاقتصادية والعسكرية، مطبعة جامعة عدن، ط1، 1991م، ص41.
37. حسن، أمين علي محمد، نمو وتركيب سكان مدينة عدن- تطورات الخدمات التعليمية في مدينة عدن، مركز عبادي للدراسات والنشر- صنعاء، ط1، ص20.
38. حسين، بلال، عدن تاريخ وطن وانسان، مرجع سابق، ص444.
39. حسين، غلام بلال، عدن "تاريخ وطن وانسان" مرجع سابق، ص444.
40. للمزيد ينظر: بامطرف، محمد عبدالقادر، الجامع، دار الهمداني، ط2، ب(ت) ج5، ص 538. باوزير، سعيد، أوراق، مرجع سابق، ص139.
41. البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق، ص439.
42. من اهم نتاجه العلمي: العدة والسلاح في احكام النكاح، نور الابصار مختصر الأنوار في عما الأبرار، ختصر قواعد الزركشي، الفتاوي، المحاضر والسجلات الشرعية، صيغ توثيق شرعية، المناسك.
43. المشهور، أبوبكر العدني ابن عبدالله العيدروس، سلسلة أعلام تريم(13)أربطة التربية الاسلامية - عدن، ط2، 2002م، ص17، بافقيه، محمد بن عمر الطيب، تاريخ الشجر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد صنعاء، ط1، 1999م، ص83 ومابعدها.
44. العمري، حسين عبدالله، تريم، الموسوعة اليمنية، مج2 مجلدات مؤسسة العفيف، صنعاء، ط2، 2002م، ص665-666، طاهر، علوي عبدالله، (الرباط) الموسوعة اليمنية، مج2، ص1378.
45. المشهور، جلاء الهم والحزن، ص29-30. العيدروس، النور السافر، مرجع سابق، ص77.
46. حسين، بلال غلام، عدن تاريخ وطن، مرجع سابق، ص442.
47. حسين، غلام بلال، عدن تاريخ وطن... وحكاية انسان (1939-1967)م، جرافيك للطباعة والاعلان، عدن خورمكسر، ط2، 2013م، ص440، 578 ومابعدها.
48. الاصنج، أحمد سعيد، نصيب عدن من الحركة الفكرية "خطرات ومحاضرات للأديب العدني، جمع واعداد الاستاذ عبدالله فاضل فارح، دار جامعة عدن، ط2، 2007م، ص69-70.
49. المسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة، مكتبة الارشاد- صنعاء، ط1، 1999م، ص3.

- 41، المحضر، محمد عبدالله، ماجاد به الا زمان من أخبار مدنية حبان، ص12.
50. العيدروس، محي الدين عبدالقادر بن شيخ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية-بيروت، 1985م، ص77-78، باسنجلة، عبدالله بن محمد بن أحمد، تاريخ الشحر المسمى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد صنعاء، ط1، 2007م، ص32.
51. المشهور، جلاء الهم والحزن، مرجع سابق ص138، 30، 29.
52. بلفقيه، عيدروس علوي، اليمن أرضه - سكانه - موارده، مرجع سابق، ص525.
53. ويعتمد على مايعرف بالكتاب (المعلامة) وهو نظام تعليمي حريقوم به معلم فرد، يتولى التدريس فيه دون تدخل من الحكومة، ويتميز هذا النوع من التعليم في عدم خضوعه لسن عمرية محددة وليس له نظام قبول معين، ولسنوات دراسية محددة ويركز على تعليم القرآن ومبادئ القراءة والحساب وانتشرت الكتاتيب (المعلامات) في عدد من أحياء عدن وشملت معظم المساجد وأخذت في التطور منذ مابعد الحرب العالمية الأولى واستمرت الى الستينات من القرن العشرين للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين، تاريخ جامعة عدن "التأسيس والتطوير" الكتاب الاول 1970-1975م، اصدار خاص بالذكرى الأربعين لتأسيس جامعة عدن، ط2، 2011م، ص15.
54. مجموعة مؤلفين، تاريخ الجامعة، التأسيس والتطوير، مرجع سابق، ج1، ص15.
55. غانم، مجيد علي، مجلة التربية الجديدة، مركز الدراسات والبحوث-عدن 1-4 للسنتين 15، 14 سبتمبر/ديسمبر/ديسمبر 1988م/يونيو 1989م، ص8.
56. البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق، ج3، ص297.
57. عبدالله، هناء عبدالكريم، الجاليات في عدن، مرجع سابق، ص78-79، مجموعة مؤلفين، تاريخ جامعة عدن، التأسيس والتطوير، مرجع سابق، ج1، ص16.
58. البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق، ص297.
59. مجموعة مؤلفين، تاريخ جامعة عدن، مرجع سابق، ج2، ص18.
60. مجموعة مؤلفين، تاريخ جامعة عدن، ج2، ص18.
61. الارضي، علي صلاح، تاريخ التعليم في عدن، 1839-1967م، دار جامعة عدن، ط2، 2012م، ص122، مجموعة مؤلفين، تريخ جامعة عدن، ج2، مرجع سابق، ج2، ص19.
62. طوحل، خالد عبدالله، باحميش رائد من رواد حركة التنوير في عدن، مجلة كلية الاداب-جامعة عدن، العدد التاسع، نوفمبر 2012م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ص303.
63. باوزير، أمين سعيد عوض، أبرز أعلام الدعاة والتنوير في عدن خلال مائة عام من الزمن 1900-2000م، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط1، 2008م، ص118.

64. بالو، أحمد حسين، ندوة إحياء المئوية لميلاد الشيخ العلامة محمد بن سالم البيحاني أحد أبرز رواد التنوير الديني في اليمن-جامعة عدن 30-31 ديسمبر 2008م، ص120، باوزير، أعلام عدن، مرجع سابق، ص120.
65. أدهل، عبده حسين، الاستقلال الضائع، دار العهد للطباعة والنشر-القاهرة، ط2، 1993م، ص94.
66. للكزيد ينظر: جرجره، عبدالرحمن، أرضنا الطيبة هذا الجنوب، منشورات المكتب التجاري بيروت-لبنان، ط1، ص5.
67. الهمداني، أحمد علي، محمد علي لقمان رائد حركة التنوير في اليمن، ج1، ط1، 2016م، ص596.
68. للمزيد ينظر: الارضي، علي صلاح محمد، تاريخ التعليم في عدن 1839-1967م، دار الثقافة العربية للنشر، ط1، 2001م، ص4، 12. البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، ج3، مرجع سابق، ص410.
69. البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، ج3، مرجع سابق، ص412-414.
70. البار محمد علي، عدن في العصر الحديث، ج3، المرجع السابق، ص413.
71. طوحل، خالد عبدالله، الاحتلال البريطاني الهندي
72. بامطرف عمر عوض، أوراق، ص12.
73. بامطرف، أوراق، المرجع السابق، 13،
74. حسين، بلال غلام، عدن تاريخ وطن وانسان، المرجع السابق، ص643. البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق، ج3، ص449.
75. رابضة، أوراق، مرجع سابق، ص5.
76. البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق، ج3، ص448.
77. المرجع نفسه، ص448.
78. للمزيد ينظر: البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق، ج3، ص449.
79. الهمداني، أحمد علي، عدن من الريادة الزمنية الى الريادة الإبداعية.. دارجامعة عدن، ط1، 2007م، ص84.
80. البار، محمد، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق، ج3، ص449.
81. المرجع نفسه، ص449.
82. طوحل، خالد عبدالله، باحميش رائد التنوير، مرجع سابق، ص314.
83. طوحل، خالد، المرجع نفسه، ص314.
84. حسين، بلال، بلال غلام، عدن "تاريخ وطن، مرجع سابق، ص38.

85. باوزير، أمين سعيد، وآخر، أوراق ومشاهد من حياة الشهيد المجاهد علي محمد صالح باحميش، قطوف من سير معاصريه الأمجاد، (ب، ت)، ط1، 2006م، ص140.
86. رابضة، أحمد صالح، ندوة البيحاني، مرجع سابق، ص6.
87. باوزير، أعلام عدن، مرجع سابق، ص120.
88. العلس، إسمهان، المرأة والشيخ البيحاني، ندوة البيحاني، مرجع سابق، ص284. وما بعدها، العلس، أوضاع المرأة اليمنية في ظل الإدارة البريطانية لعدن 1937-1967م، دار جامعة عدن، ط2005، ص194.
89. طرابلسي، فواز، جنوب اليمن في حكم اليسار "شهادة شخصية"، حاورته بشرى المقطري، رياض ريس للطباعة والنشر، ط2015، ص45-46.
90. بالوا، أحمد حسين، ندوة البيحاني، مرجع سابق، ص163.
91. بالوا، أحمد، المرجع نفسه، ص163.
92. باوزير، أمين، أوراق، مرجع سابق، ص24، البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق، ج3، ص449.
93. للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين سوفيت، تاريخ اليمن المعاصر، مرجع سابق، ص321.
94. مجموعة مؤلفين سوفيت، تاريخ اليمن المعاصر، مرجع سابق، ص321.
95. النقيب، فضل، مذكرات دفاتر الأيام، اصدار وزارة الثقافة، دار الكتب- صنعاء، ط2006، م1، ص87-88.
96. للمزيد ينظر: طرابلسي، فواز، جنوب اليمن في حكم اليسار، مرجع سابق، ص101-102.
- النقيب فضل، دفاتر الايام، مرجع سابق، ص88.
97. محيرز، عبير خالد، عدن في كتابات المؤرخ الاستاذ عبدالله محيرز، الندوة العلمية عدن- ثغر اليمن، دارجامعة عدن، ط1999، م1، ج1، ص127، مجموعة مؤلفين، عبدالله محيرز، أستاذ الرياضيات عاشق التاريخ، مؤسسة 14 أكتوبر للطباعة والنشر، ب(ت، ط)، ص52.
98. عرفت عدن بالكتاب أو المعلمة التي ظهرت في مدة ما قبل الاستقلال الوطني وهي بمثابة تعليم تقليدي من خلال قيام المعلم (الفقيه) بتدريس القرآن الكريم والقراءة والكتابة. للمزيد ينظر: أحمد، طه علي، دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في مقاومة عملية التعريب الثقافي قبل الاستقلال الوطني، في مدينة عدن- الندوة العلمية الاولى حول عدن ثغر اليمن- جامعة عدن 1999م، ص274.
99. البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، ج3، مرجع سابق، ص439، 441.
100. محيرز، عبير، الاستاذ عبدالله محيرز ومكتبته، بحث تخرج لاستكمال إجازة بكالوريوس تربية مقدم لقسم التاريخ - كلية التربية جامعة عدن، غير منشور 1998-1997م، ص6.

101. محيرز عبيد، المرجع نفسه، ص6.
102. محيرز عبيد، الأستاذ عبدالله محيرز ومكتبته، المرجع السابق (الملاحق)، ص6.
103. علي، هاشم علي، صعوبة أن تكون متميزاً، محيرز استاذ الرياضيات، مرجع سابق، ص53.
104. مجموعة مؤلفين، محيرز استاذ الرياضيات، مرجع سابق، ص6.
105. مجموعة مؤلفين، محيرز أستاذ الرياضيات، مرجع سابق، ص28 وما بعدها. وحسين، بلال غلام، عدن تاريخ وطن، مرجع سابق، ص82.
106. للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين، تاريخ جامعة عدن 1967-1981م، ج2، دار جامعة عدن، ط1، 2010م، ص38.
107. للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين، محيرز استاذ الرياضيات، مرجع سابق، ص32، 9، محيرز عبيد، عبدالله محيرز ومكتبته، مرجع سابق، ص9، حسين، بلال غلام، عدن تاريخ وطن، مرجع سابق، ص83.
108. مجموعة مؤلفين، عالم النقوش والآثار والتاريخ.. المؤرخ محمد عبدالقادر بافقيه، دار جامعة عدن، ط1، 2004، ص21، 5. مجموعة مؤلفين، محيرز استاذ الرياضيات، مرجع سابق، ص12، مجموعة مؤلفين، تاريخ جامعة عدن، ج2، مرجع سابق، ص33.
109. الأكوع إسماعيل بن علي، محيرز استاذ الرياضيات، مرجع سابق، ص4.
110. مجموعة مؤرخين، الندوة العلمية، عدن - تغر اليمن، مرجع سابق، ص127.
111. الأكوع، إسماعيل بن علي، شهادة حق كتاب - محيرز استاذ الرياضيات، مرجع سابق، ص5.
112. مجموعة مؤلفين، الندوة العلمية الاولى عدن - تغر اليمن، مرجع سابق، ص128.
113. مجموعة مؤلفين، محيرز استاذ الرياضيات، مرجع سابق، ص36.
114. المرجع نفسه، ص35.
115. محيرز عبدالله، العقبة، مؤسسة 14 أكتوبر للطباعة والنشر- عدن، ب(ط،ت)، ص7 وما بعدها، محيرز، عبدالله، صيرة، أبحاث متعمقة عن بعض معالم عدن ومرافقها الاقتصادية والعسكرية، دار جامعة عدن، ط1، 1999م، ص13 وما بعدها.
116. باطويل، رجاء صالح، محيرز المربي والموجة والعاشق، مجموعة مؤلفين، بامحيرز استاذ الرياضيات، مرجع سابق، ص61.
117. باصرة، صالح علي، محيرز أستاذ الرياضيات وعاشق التاريخ، مرجع سابق، ص17.
118. عدن في كتابات المؤرخ عبدالله محيرز، مرجع سبق ذكره، ص128.
119. بطايع، أحمد بن أحمد، عالم النقوش محمد عبدالقادر بافقيه، مرجع سابق، ص47.

120. باطايع، المرجع نفسه، ص46-47.
121. المرجع نفسه، ص46.
122. من أهمها: وسام الآداب والفنون وسهام العلوم من الدرجة الأولى- شهادة تقديرية في مجال التربية والثقافة والعلوم، للمزيد ينظر: محيرز، عيبر، كتابات المؤرخ محيرز، مرجع سابق، ص128.
123. بافقيه، شيخ محمد عبدالقادر، كتاب السيرة والمسيرة عالم النقوش والتاريخ المؤرخ محمد عبدالقادر بافقيه، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط، 2004، 1م، ص5. مجموعة مؤلفين، تاريخ جامعة عدن، الكتاب الاول، مرجع سابق، ص181.
124. مجموعة مؤلفين، تاريخ جامعة عدن، الكتاب الاول، مرجع سابق، ص181.
125. نفس المرجع، ص5.
126. مجموعة مؤلفين، عبدالله محيرز استاذ الرياضيات، مرجع سابق، ص12.
127. حافون: إحدى المناطق الجميلة لمدينة المعلا، قيل إن تسميتها محرفة من الإنجليزية (هاف مون) وتعني نصف القمر، وهناك من أشار إلى أن من أطلق عليها هذا الاسم هم عمال الميناء الصوماليين، الذين أسموها باسم ميناء رأس حافون في الصومال. وحافون حي راق يتسم بالهدوء، وتغمره الأشجار المحيطة بمنازله المكونة من عمارات معظمها ذات ثلاثة طوابق وفيلات، يحمل تصميمها الطابع الإنجليزي، كانت مقرا لسكن كبار المسؤولين والضباط الإنجليز وعائلاتهم، وتضم بين جنباتها كنيسة شيدت في عام 1963، وإلى جانبها حديقة تعرف بـ (البجيشة)، وملعب للأطفال قريب من الخط الرئيسي الذي أقامته بلدية عدن في نوفمبر 1961، ومقبرة تضم جثامين البريطانيين الذين قضاوا في عدن تعرف بـ (مقبرة النصارى. سعيد، شائف عبده، بافقيه السيرة والمسيرة، مرجع سابق، ص62).
128. سعيد، شائف عبده، الأستاذ الدكتور محمد عبدالقادر بافقيه والندوة العلمية للحضارة، مرجع سابق، ص59.
129. المرجع نفسه، ص59. باطايع، أحمد بن أحمد، السيرة والمسيرة، مرجع سابق، ص45.
130. بافقه محمد" في عاصمة الضباب، مجموعة مؤلفين، محيرز أستاذ الرياضيات وعاشق التاريخ، مرجع سابق، ص12، مجموعة مؤلفين، تاريخ جامعة عدن "التأسيس التطور الكتاب الاول 1970-1975م، "النسخة الثانية المنقحة" إصدار خاص بالذكرى الاربعين لتأسيس جامعة عدن، ط، 2، 2011م، ص28.
131. للمزيد ينظر: مسعد، أحمد علي، شهادتي للتاريخ، مرجع سابق، ص82.
132. المرجع نفسه، ص83.
133. "عاصمة الضباب" محمد عبدالقادر، عبدالله محيرز استاذ الرياضيات، مرجع

- سابق، ص13.
134. "الفقيد بافقيه والبعد السادس في حياته العلمية والعملية" باصرة صالح علي، السير والمسير، مرجع سابق، ص27.
135. مجموعة مؤلفين، عالم النقوش، المرجع السابق، ص52.
136. باطايح، أحمد بن أحمد، بافقيه السيرة والمسيرة في مجال الآثار والتاريخ والتراث مجموعة مؤلفين، عالم الآثار والنقوش، مرجع سابق، ص55.
137. المرجع نفسه، ص57.
138. النوبان، عبد الخير "بافقيه.. هل سبق زمانه" مجموعة مؤلفين، عالم الآثار والنقوش، مرجع سابق، ص18.
139. مجموعة مؤلفين، عبدالله محيرز أستاذ الرياضيات، مرجع سابق، ص13.
140. سبق الإشارة له
141. مجموعة مؤلفين، تاريخ جامعة عدن ج2 (1976-1981) دار جامعة عدن، ط1، 2014م، ص15.
142. معجم البابطين لشعراء العرب رابط الكتروني: www.almoajam.org
143. له خمس قصائد نشرت في مجلة «المستقبل» - عدن: «إلى الملاح التائه» - عدد 2 - 1949، و«ذنوبي عليّ نار» - عدد 5 - 1949، و«حاصد القبور» - عدد 7 - 1949، و«الأغلال الثائرة» - عدد 9 - 1949، و«فناء» - عدد 13 - 1949. له عدة مقالات بعنوان: «توابل» مؤسسة 14 من أكتوبر - عدن 1977، وله مؤلف بعنوان: «كتابات مختارة» (جزآن) - دار الفارابي - بيروت 1981. شاعر ثوري، عجن شعره بفكره السياسي وانتمائه الحزبي، نظم الموزون المقفى (مع تعدد القوافي)، كما كتب شعر التفعيلة، تحمل تجربته الشعرية روح التجديد، فتحرر من قيود الصنعة، وحلّق بلغة عذبة وصور مجنحة؛ بما يعكس اتساع أفقه الشعري ورحابة تجربته التي نلمح فيها أصداء رومانسية؛ وفيها ينزع إلى الرمزية ومناجاة الطبيعة، وتشيع في معانيه مشاعر الحزن والأسى، أفاد من بعض الأساطير القديمة مثل أسطورة بروميثيوس بما يعكس تنوع ثقافته. لغته عذبة رقيقة، ومعانيه واضحة، وصوره كلية. للمزيد ينظر: الحكيمي عبدالفتاح، النقد الأدبي والمعارك القلمية في اليمن (من 1932 إلى 1955) - مؤسسة الثورة للطباعة والنشر - صنعاء 1999م، ص12 وما بعدها، كتاب أربعون يوماً على وفاة القائد الوطني والعمالي الخالد عبدالله عبدالرزاق باذيب، مؤسسة أكتوبر - عدن 1976م، ص5 وما بعد..، الهمداني، أحمد علي، عدن من الريادة الزمنية إلى الريادة الإبداعية، مرجع سابق، ص84، البار، محمد، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق، ج3، ص449.

144. شميري، نجيب عبدالرحمن، وآخر، القضاء في جنوب اليمن (عدن وحضرموت) للمدة من القرن الأول وحتى الرابع عشر الهجري، دار جامعة عدن، ط1، 2013م، ص166-168. هایل، منصور، أطيف عدن هذيان الحطب "شهادات سياسية، فنون للطباعة والنشر،- تونس، ط2019، ص36
145. هایل، منصور، أطيف عدن هذيان الحطب "شهادات سياسية، مرجع سابق، ص36.
146. البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، ج3، مرجع سابق، ص424-425. للمزيد ينظر: هایل، منصور، أطيف عدن هذيان الحطب، "شهادات سياسية، مرجع سابق، ص44.
147. رابط الكتروني "https://www.youtube.com/watch?v=88kTY2C9ERU"
148. للمزيد ينظر: مذكرات النقيب، دفاتر الايام، مرجع سابق، ص84.
149. مجموعة مؤلفين سوفيت، تاريخ اليمن المعاصر 1917-1982م، ترجمة محمد على البحر وآخر، مكتبة مدبولي، ط1، 1999م، ص322.
150. اسم من أسماء مدينة الشحر الوديعة الواقعة على شاطئ البحر العربي وعاصمة حضرموت التاريخية للمدة من الزمن، وازدهرت فيها التجارة والصناعة واشتهر أهلها ببراعة بحرية: وملاحه واصطياد فكانت ثغر حضرموت ومنفذها الى الأفطار والأمصار وشهدت هجرات الحضارم إلى شرق آسيا وجنوبها وإلى شرق إفريقيا وإلى موانئ الخليج العربي.. وفي هذا المحيط المفعم بالجو الديني والروحي السمع، وبالحياة الزاخرة بالنشاط والمجتمع الحذق تشكلت شخصية النوبان المتسمة بروح التحدي وإثبات الذات. للمزيد ينظر: عرم، صالح عوض، كويران واخرين، النوبان التربوي، مرجع سابق، ص193.
151. كويران، عبدالوهاب، سعيد عبدالخير النوبان "التربوي والمؤرخ بحوث مختارة، دارجامعة عدن للطباعة والنشر، ب(ت) ص5.
152. عرام، صالح عوض، النوبان... فخر الزينه، "كويران، وآخرين، مرجع سابق، ص194.
153. كويران، النوبان التربوي والمؤرخ، مرجع سابق، ص6.
154. كويران، عبدالوهاب، سعيد عبدالخير النوبان "التربوي والمؤرخ، مرجع سابق، ص5.
155. مجموعة مؤلفين، تاريخ جامعة عدن ج2 (1976-1981) دار جامعة عدن ط2014م، ص15.
156. وهي: كلية التربية العليا في العام 1970م، كلية ناصر للعلوم الزراعية (لحج) 1973م، كلية الاقتصاد 1974م. للمزيد ينظر: كتيب الإدارة العامة للإعلام والمطبوعات، جامعة عدن وأفاق تطورها، مرجع سابق، ص14.
157. مجموعة مؤلفين، تاريخ جامعة عدن، مرجع سابق، ص15.
158. مجموعة مؤلفين، تاريخ جامعة عدن، مرجع سابق، ص15.

159. المرجع نفسه، ص16.
160. مجموعة مؤلفين، تاريخ جامعة عدن، مرجع سابق، ص16.
161. مجموعة مؤلفين، تاريخ جامعة عدن، مرجع سابق، ص16.
162. المرجع نفسه، ص21 وما بعدها.
163. لقد بحثنا عن تلك الرسالة ولم نجد وفتشنا في وثائق كثيرة في مركز الظفاري وفي المكتبة الوطنية وبعض المراكز العلمية ولم نجد شيئاً من تلك الاعتقادات التي يبني عليه مؤلفو كتاب تاريخ الجامعة ولم نحصل سوى على شهادة أحمد علي مسعد مدير عام العلاقات الخارجية الذي كان يقوم برئاسة اللجنة التنظيمية للمؤتمر قائلًا: (قمنا بتوجيه دعوات للعديد من رؤساء الجامعات العربية ورؤساء الجامعات الصديقة التي تربطها بجامعة عدن برتكولات صداقة ومعظمها حينذاك من الدول الاشتراكية وكنت شديد التشاؤم في بلادنا بعد كارثة مؤتمر الدبلوماسيين الأول... وحتى ليلة الافتتاح لم يصل أحد من المدعوين حتى وفد جامعة صنعاء المكون من الدكتور الزنداني رئيس جامعة صنعاء، والدكتور المحاضر في الجامعة ابوبكر السقاف لم يصل إلا بعد جلسة الافتتاح... ومع هذا فقد استمر المؤتمر التقييد بجدول أعماله كما خطط له وقام رئيس الوزراء علي ناصر محمد بافتتاح المؤتمر بكلمة نالت إعجاب واستحسان الحاضرين واستمر المؤتمر وعقد جلساته لمدة ثلاثة أيام.. ولم يحضر أحد من خارج البلاد وأصبنا بصدمة شديدة وخيبة أمل كبيرة وخرج المؤتمر بعدة قرارات وتوصيات لتطوير وتحسين الأداء في الكليات الجامعية ورصد مبالغ كافية لتلبية احتياجاتها وأوصى المؤتمر بضرورة توفير ميزانية خاصة للجامعة حتى تتمكن من القيام بأعمالها بصورة سليمة وسريعة بعيداً عن الروتين والبيروقراطية التي تتحكم في أجهزته المالية. للمزيد ينظر: مسعد أحمد علي، فصول من ذاكرة الثورة والاستقلال "شهادتي للتاريخ"، مطابع الكتاب المدرسي - وزارة التربية والتعليم، ط1، 1999م، ص93-94.
164. مجموعة مؤلفين، تاريخ جامعة عدن، مرجع سابق، ص23.
165. اللوائح هي: لائحة التدريب والتأهيل، والاشتراك بالمؤتمرات والندوات العلمية، ولائحة الزيارات والاستزاه، والتأليف والنشر والترجمة، والانتداب الداخلي، والشؤون التربوية الثقافية، وانضباط الهيئة التعليمية العاملة في الجامعة، المجلس الأكاديمي، الألقاب العلمية (الترقيات) البحث العلمي والدراسات العليا، النصاب التدريسي والبحثي، والقبول. للمزيد ينظر: كتاب صادر عن الإدارة العامة للإعلام والمطبوعات، جامعة عدن وأفاق تطورها، ب(ط، ت) ص13. المكتبة المركزية - جامعة عدن - برقم قيد 1036 بتاريخ 2 يناير 2002م.
166. كويران، النوبان التربوي والمؤرخ، مرجع سابق، ص37-64.

167. كويران، النوبان التربوي والمؤرخ، مرجع سابق، ص 64.
168. مجموعة مؤرخين، تاريخ جامعة عدن، مرجع سابق، ص 25.
169. ولكن للأسف لم يقدم مؤلفو كتاب -تاريخ جامعة عدن - نسخة من التقرير أو مكان وجوده أو مصدره في حاشية البحث أو ملاحقة لهذا تظل تلك الاحتمالات التي ساقها مؤلف الكتاب مشكوك فيها حتي يتم الحصول على أصل التقرير أو مكان وجوده وهذا لايحوز في عرف كتابة التاريخ أن تكتب مثل تلك الشهادات بدون الاعتماد على وثائق رسمية للمزيد ينظر: مجموعة مؤرخون، تاريخ جامعة عدن، مرجع سابق، ص 28-29.
170. كويران وآخرون، النوبان التربوي والمؤرخ، مرجع سابق، ص 6، مجموعة مؤلفو، تاريخ جامعة عدن، مرجع سابق، ص 28.
171. كلية الهندسة 1974، كلية التربية (المكلا) 1974م، كلية الطب 1975م، وكلية الحقوق 1978م وكلية التربية زنجبار (ابين) 1979م، وكلية التربية صبر 1980م. للمزيد ينظر: كتيب، الإدارة العامة للإعلام، جامعة عدن وآفاق تطورها، مرجع سابق، ص 14.
172. مجموعة مؤرخين، تاريخ جامعة عدن، مرجع سابق، ص 128.
173. مجموعة مؤرخين، تاريخ جامعة عدن، مرجع سابق ص 139.
174. حداد، عبدالله صالح، "الأستاذ النوبان ودعوة وفاء وحزن لفقده، مرجع سابق، ص 199.
175. كويران وآخرون، النوبان التربوي والمؤرخ، مرجع سابق، ص 7-12. وللמיד ينظر: باجنيد، خالد عمر عبدالله، "النوبان العملاق الخالد، النوبان التربوي المؤرخ، مرجع سابق، ص 191 وما بعدها.
176. كويران، عبدالوهاب، النوبان التربوي والمؤرخ، مرجع سابق، ص 10.
177. باصرة، صالح علي، ورحل العالم سالم عمر بكير، مجموعة مؤلفو، فقيد العلم والمعرفة، دار جامعة عدن، ط 1، 1998م، ص 3، العماري، محمد أبوبكر، كلمة وفاء وبعض الذكريات، مجموعة مؤلفين، فقيد العلم والمعرفة، مرجع سابق، ص 88.
178. بكير، ماريا أحمد، سيرة حياة الدكتور سالم عمر بكير "مجموعة مؤلفين، فقيد العلم والمعرفة، مرجع سابق، ص 7، 10.
179. بكير، ماريا، المرجع نفسه، ص 7.
180. للمزيد ينظر نبذة تاريخية عن بكير، المكتبة المركزية - مكتبة بكير - جامعة عدن مدينة الشعب الدور الثاني مكتبة سيويه.
181. نبذة تاريخية عن بكير، المرجع السابق، بكير، ماريا أحمد، سيرة حياة الدكتور سالم عمر بكير "مجموعة مؤلفين، مرجع سابق، ص 9.
182. وهي التربية عدن، وكلية ناصر الزراعية لحج، والتكنولوجيا، والطب، والحقوق، والتربية

- حضر موت، والتربية زنجبار، والتربية صر. ينظر، كتيب صادر عن إدارة التوثيق التربوي جامعة عدن، الجامعة في 14 عاماً، معهد الوسائل التعليمية، ط، 1985، ص 1-2.
183. كتيب، الجامعة في 14 عاماً، مرجع سابق، ص 57، 2.
184. من محتلف الالقاب العلمية من استاذ الى معيد للمزيد ينظر: كتيب إدارة التوثيق، الجامعة في 14 عاماً، مرجع سابق، ص 55.
185. كتيب إدارة التوثيق، الجامعة في 14 عاماً، المرجع نفسه، ص 53.
186. بكير، ماري، فقيد العلم والمعرفة، مرجع سابق، ص 9.
187. باصرة، صالح علي، ورحل العالم سالم بكير، المرجع السابق، ص 3، 9 وما بعدها.
188. للمزيد ينظر: دوعن برس رابط الالكتروني: (wadi Dawan press..www)
189. أعضاء القيادة الطلابية: أمين الشيباني، سالم عبدالله الخضر، محمد سالمين برقة، نجيب عبدالله سعيد، للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين، تاريخ جامعة عدن، الكتاب الاول، مرجع سابق، ص 108.
190. يقول الدكتور العمودي (كنت أعمل على أطروحتي للدكتوراه في فرنسا لاستخراج المركبات الكبريتية التي توجد في البترول الكويتي بكميات عالية في طريق الضوء وتحويلها أيضاً إلى مركبات مفيدة ووجدت في الأدبيات (Does not dimerize) أن إحدى هذه المركبات لا تتحد مع بعضها وبالفعل حاولت عدة مرات لأفعلها، ولم أوفق بحسب ما استنتج غيري. لم اقتنع ووصلت الى قناة أنها تتكون ، ولكنها تتكسر بسرعة وبالفعل فكرت أدرسها بواسطة الرنين النووي المغناطيسي "Nuclear Magnetic Resoanance" وبالفعل بين التشخيص ان التفاعل تم وانه يمكن تحضير هذا المركب تحت درجة برودة منخفضة وقبل إكمال التشخيص سميته "قيدون" ولكن هذه التسمية غير علمية وعند النشر أعطيته الاسم العلمي المتعارف عليه وتم نشره في المجلة البريطانية. للمزيد ينظر: Muhammed: S.EI-Faghi EI-Amoudi, P.Geneste and J.L.Olive» The Photodimerization of (Benzo(b)thiophen-3-MethyI 1-Oxide». Tetrahedron Lett., 11, 999 (1978).
191. العمودي وآخرون، مهارات لطلبة كليات التربية - جامعة عدن، ط 2004-2007م
192. منشورات وزارة التربية والتعليم الجمهورية اليمنية، 2007م
193. منشورات وزارة التعليم الفني بالجمهورية اليمنية، 2007م
194. العمودي وآخر، كتاب البرمجة الهيكلية بلغة C مطبعة جامعة عدن 2011م.

أمن الطاقة والصراع الاستراتيجي للقوى العظمى في منطقة حوض البحر الأحمر

د. ابوبكر فضل محمد عبدالشافع

باحث بمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان

المستخلص:

اصبحت منطقة البحر الأحمر بطرفيها الافريقي والعربي مسرحا للتنافس والصراعات الدولية لمكانتها في الاستراتيجيات الدولية ماضيا وحاضرا ومن المتوقع مستقبلا، كإحدى المناطق الغنية بالطاقة والواعدة بكميات كبيرة من احتياطات العالم ولموقعها الاستراتيجي. ونتيجة لذلك أصبحت المنطقة في محور الاهتمام العالمي؛ لما تمثلها من أهمية جيوبوليتيكية واستراتيجية واقتصادية متنامية، باعتبارها ممرا لمعظم الطاقة المستخرجة من دول الخليج العربي والقرن الافريقي والمتجهة الى الولايات المتحدة والصين والهند واليابان وأوروبا وغيرها، كما أنها شريان ناقل للتجارة العالمية من الدول الآسيوية ودول الغرب واليهما، الأمر الذي أدى بدورها إلى احتدام الصراع الدولي فيها، وقد أسهم الصراع الإستراتيجي من قبل القوى الدولية الكبرى والصاعدة في المنطقة من أجل انشاء القواعد العسكرية والموانئ التجارية، في إضفاء المزيد من التعقيد والتشابك على مجمل الصراعات التي تشهدها المنطقة، وهو ما أثر سلبا على أمن المنطقة برمتها وترك ظلال قائمة على مستقبلها السياسي والاقتصادي. ومن المتوقع أن يستمر اعتماد هذه القوى على الطاقة والتنافس في التمتع بالمنطقة عسكريا وتجاريا في المستقبل. تنبع أهمية الورقة من قوة وتأثير الطاقة وأمنها في الاستراتيجيات الدولية وقد شكلت المنطقة بؤرة الصراعات الدولية ماضيا وحاضرا لما تمثلها من أهمية استراتيجية واقتصادية. وتهدف الورقة الى التعرف على الصراع الدولي في المنطقة من أجل تأمين أمنها الطاقوي والتموضع الاستراتيجي وأهمية المنطقة وامكانياتها الطاقوية وممراتها الاستراتيجية والقواعد العسكرية فيها. تستخدم الورقة طريقة تكامل المناهج في معالجة اشكالية الورقة. وقد توصلت الورقة الى العديد من النتائج أهمها أن أمن الطاقة والموقع الاستراتيجي لدول حوض البحر الاحمر اصبحا دافعا للصراع بين القوى الدولية، نظرا لارتباطهما باستراتيجيات هذه القوى ومساعدتها للتحكم في الأمن والسياسة والاقتصاد الدولي، مما انعكس آثار تلك الصراعات على أمن المنطقة. وتوصي الورقة بصياغة تصورات استراتيجية تعمل على ترسيخ الشراكات الاستراتيجية للاستفادة من الموارد والميزات التي تتوافر في المنطقة وتوظيفها لمصلحة شعوب المنطقة وتحقيق أمنها الانساني.

الكلمات المفتاحية: أمن الطاقة، الصراع الإستراتيجي، القوى العظمى، البحر الأحمر.

Abstract:

Read Sea area both African and Arabian parts become area for international competition conflicts. The area Due to the strategic location since past to future, it is considered to be as one of richest energy zone and promising for high reserves in the world, that resulted to be interested area globally for geopolitical, strategic, economic development. That area consider as crucial passage for explored energy and oil from Gulf Arab countries and horn Africa countries heading to USA, Chania, India, Japan and Aruba etc. as well as this area consider usage for international commercial transportation, interconnection between Asia and western Countries Aruba, all mentioned factors led to be the area internationals conflicts zone.

The strategic conflict from biggest, rose up international forces in the area contributed to setting up and establish militaries bases, commercial ports, that complexes the root of conflict which witness in the area and it has negative impact in entire the area which contributed to Ambiguous politics and economic future. The energy forces are expected to continue for competition to gain energy, commercial militaries bases in future. The importance of this paper coming from security and strategic of energy and their strong influences in future.

The area become center for international conflict due to the biggest international forces are races and compete to secure their oil and energy. The main objective of the paper to highlights to international conflicts in the area which caused by protection and security the energy and strategical location and interest of the biggest international forces to the area as well as ability of transport the energy through the passageway and relocations of militaries bases too.

The methodology used in this paper are complete method to handle papers harps/design.

The research resulted to several recommendation, but the most important result is , security of energy, strategic location for Red Sea countries attract conflicts between international forces due to the interrelating to strategic of international forces and security of their interests; economics, security control. The factors above reflect to the causes of conflict in the area.

The paper recommended to redrafting the strategic to enhance strategic partnership which led to utilization of resources and better usage distinguish available in the area to be benefits of people in the area and to achieve human security too.

Opening words; security of energy, strategy conflict, greatest forces, Read Sea.

تمهيد:

أصبحت الطاقة ومشتقاتها أساس التقدم الاقتصادي والعسكري والتكنولوجي وعماد قيام المجتمعات المتطورة، واحتلت أهمية متعاظمة لدى المجتمعات الصناعية الكبرى والصاعدة، ليس لكونها شريان الحياة الاقتصادية فقط، بل لأهميتها في تحديد قوة الدولة ووضعها العالمي، في ظل وجود خلل بين هيكل النظام الدولي وبنيته وتوزيع مصادر الطاقة. ولأهمية توافر

مصادر الطاقة الكافية والأمنة للدول الصناعية الكبرى، بما لا يؤثر في وضعها الاقتصادي ومكانتها الدولية، في ظل تنافس القوى الصاعدة، للسيطرة على مصادر الطاقة التي تتسم بالندرة مع تزايد الاستهلاك العالمي. كل ذلك أسهم في جعل أمن الطاقة قضية مركزية في الاستراتيجيات الدولية وجزءاً لا يتجزأ من الأمن القومي للدولة. وبرز أمن الطاقة على الساحة الدولية مع زيادة التقدم الاقتصادي والتكنولوجي، وتطور أكثر في فترة مابعد الحرب الباردة في إطار التطور في مفهوم الأمن عموماً. وقد أضحت أمن الطاقة أحد أبرز تجليات المفاهيم الأمنية التي بدأت تتشكل وتأخذ مكانتها في التفاعلات الدولية ضمن العديد من التغيرات والمفاهيم المعاصرة، التي باتت تشكل السياسة الخارجية للقوى العظمى والصاعدة.

وقد أصبحت منطقة البحر الأحمر بطرفيها الأفريقي والعربي مسرحاً للتنافس والصراعات الدولية لمكانتها في الاستراتيجيات الدولية ماضياً وحاضراً ومن المتوقع مستقبلاً، كإحدى المناطق الغنية بالطاقة والواعدة بكميات كبيرة من احتياطات العالم ولموقعها الاستراتيجي. ونتيجة لذلك أصبحت المنطقة في محور الاهتمام العالمي؛ لما تمثلها من أهمية جيوبوليتيكية واستراتيجية واقتصادية متنامية، باعتبارها ممراً لمعظم الطاقة المستخرجة من دول الخليج العربي والقرن الأفريقي والمتوجهة إلى الولايات المتحدة والصين وأوروبا، كما أنها شريان ناقل للتجارة العالمية من الدول الآسيوية ودول الغرب واليهما، الأمر الذي أدى بدورها إلى احتدام الصراع الدولي فيها، وقد أسهم الصراع الإستراتيجي من قبل القوى الدولية الكبرى والصاعدة في المنطقة، وإنشاء القواعد العسكرية والموانئ التجارية في إضفاء المزيد من التعقيد والتشابك على مجمل الصراعات التي تشهدها المنطقة، وهو ما أثر سلباً على أمن المنطقة برمتها وترك ظلال قاتمة على مستقبلها السياسي والاقتصادي. ومن المتوقع أن يستمر اعتماد هذه القوى على الطاقة والتنافس في التموقع بالمنطقة عسكرياً وتجارياً في المستقبل، ولذلك النتيجة الطبيعية هي زيادة حدة الصراع بين هذه القوى مما يؤثر على أمن دول حوض البحر الأحمر. توجد بعض الدراسات السابقة في هذا المحور منها دراسة عارف عادل مرشد بعنوان: أمن البحر الأحمر بين أمن الطاقة ومصالح القوى الإقليمية والدولية، ورقة علمية منشورة عن مؤسسة الفكر العربي. ودراسة البروفسير صلاح الدين عبدالرحمن الدومة، بعنوان أمن القرن الأفريقي، (الخرطوم: الدار السودانية للكتب، الطبعة الثانية، 2007م). ودراسة صلاح الدين حافظ، بعنوان: صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1982م).

إشكالية الورقة: أصبحت الطاقة المحدد الرئيسي للصراع الدولي في العالم، وأن القوى الكبرى في سعيها لتحقيق أمنها الطاقوي تنافست وتصارعت على الطاقة في المناطق الحيوية المنتجة لها، وفي الممرات البحرية الاستراتيجية، لا سيما منطقة البحر الأحمر، مما أثر تلك

الصراعات على أمن المنطقة. وعلى ضوء هذه الإشكالية: ما دوافع الصراع الاستراتيجي للقوى العظمى بمنطقة حوض البحر الأحمر؟ وإلى أي مدى تأثر أمن المنطقة بتلك الصراعات؟

فرضيات الورقة: تنطلق الورقة من فرضيتين أساسيتين وهي، أن أمن الطاقة قضية مركزية في الاستراتيجيات الدولية للقوى العظمى والصاعدة كقضية أمن قومي لها، وأن منطقة البحر الأحمر بموقعها الجيوستراتيجي ووفرة الطاقة فيها، أصبحت دافعا للصراعات الدولية، نظرا لارتباطها باستراتيجيات تلك القوى، ومساعدتها للتحكم في السياسة والاقتصاد الدوليين. وأن تلك الصراعات لها آثار على أمن المنطقة.

تركز الورقة على صراع الاستراتيجيات للقوى العظمى الثلاث: الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي (روسيا حاليا) والصين في الفترة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى الوقت الراهن (-1945 2020م)، وستتم مناقشة تلك القضية من خلال المحاور الرئيسة التالية:

المحور الأول: مفهوم أمن الطاقة

أولاً: مفهوم الأمن: يتسم مفهوم الأمن الذي يعد أحد المفاهيم المركزية في العلاقات الدولية بالتغيير والتطوير، وهو في حقيقته مفهوم متغير غير جامد، شهد توسعا في أبعاده لتتجاوز التهديدات العسكرية إلى غير العسكرية التي لا تقل أهمية عنها، والتي تنوعت بين تهديدات سياسية واقتصادية واجتماعية وبيئية، واعتمد وحدات تحليلية غير الدولة القومية لموضوعه، فضلا عن تنوع مصادر تهديده. فهو مفهوم في حالة حركة ديناميكية⁽¹⁾. وقد أدت التغييرات التي طرأت على البيئة الأمنية المعاصرة وبروز تهديدات جديدة، مثل الارهاب والجريمة المنظمة والأمراض، وهي تهديدات ترتبط بعوامل الخطر في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والبيئية، وتعمق الأهداف المهددة لتشمل الأمن بكل مستوياته⁽²⁾. ونتيجة لذلك ظهرت مفاهيم جديدة في حقل الدراسات الأمنية كالأمن المائي والأمن الغذائي والأمن الإنساني وأمن الطاقة.

ثانياً: مفهوم أمن الطاقة: يرجع بدايات ظهوره إلى قرار ونستون تشرشل سنة 1912م، لتنوع مصادر الطاقة⁽³⁾. حيث أشار إلى أن «أمن الطاقة يكمن في التنوع والتنوع فقط»، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن فما زال التنوع هو المبدأ الحاكم لقضية أمن الطاقة⁽⁴⁾. ومع الحوادث التي شهدتها النظام الدولي من أزمة حظر النفط العربي في عام 1973م والثورة الاسلامية الايرانية في عام 1979م التي نتج منها ارتفاع كبير في أسعار النفط زاد الاهتمام بهذا المفهوم عالميا، خصوصا لدى الولايات المتحدة الأمريكية وكبرى الدول الصناعية المستهلكة للطاقة، وتزايدت أهميته مع تزايد التهديدات الارهابية بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001م بإستهداف المنشآت النفطية ولا سيما في منطقة الخليج ذات الثقل الاستراتيجي في سوق الطاقة الدولية⁽⁵⁾.

تمحورت المقاربات التقليدية في مفهوم أمن الطاقة على أمن العرض، من خلال التركيز على توفير الانتاج الكافي من مصادر الطاقة بأسعار في متناول الجميع، وأن أمن الطاقة لأي دولة يتحقق في حالة واحدة وهي أن تتوافر لديها موارد للطاقة آمنة وكافية. هذا التعريف للمفهوم، دعمه تدخل القوى الكبرى في العديد من المناطق الرئيسية المنتجة للطاقة لضمان تدفقها. فالتعريف التقليدي لأمن الطاقة، ارتكز على تجنب أزمات الطاقة، وأزمة الطاقة هي ذلك «الموقف الذي تعاني منه دولة ما من نقص في العرض من مصادر الطاقة، وهو ما يتزامن مع ارتفاع سريع في الأسعار بشكل يهدد الأمن القومي والاقتصادي للدولة».

وإذا كان الاقتراب التقليدي ارتكز على قطع الإمدادات، كونها مصدر التهديد الوحيد لأمن الطاقة، إلا أنه منذ الأزمة النفطية عام 1973م، فقد شهد سوق الطاقة العالمي مجموعة من الأزمات والتحويلات لم ترتبط بوقف الإمدادات. وأبرز تلك التحويلات كان بروز ما يطلق عليه وطنية الطاقة⁽⁶⁾. وقد أولت الدول المستهلكة التي تعتمد في تلبية حاجاتها من الطاقة على الخارج أهمية إلى خطر تعرقل الإمدادات. وبناء على ذلك يتمحور الجدل الذي يدور في الدول المستهلكة للطاقة، حول تنويع مصادر العرض والوصول الآمن إلى مصادر الطاقة في ظل تزايد حدة التنافس بين الدول الكبرى المستهلكة للطاقة واستقرار أسعار الطاقة في الأسواق العالمية وهامش الأمن في حالات الطوارئ وطرح مصادر بديلة للطاقة. وبالنسبة إلى الشركات التجارية العاملة في سوق الطاقة يتمحور مفهوم أمن الطاقة لديها في وجود نظام استثماري قانوني ومستقر في الدول المنتجة⁽⁷⁾.

فتبني كل دولة مفهوما خاصا بأمن الطاقة أدى إلى غياب مفهوم متفق عليه بين الدول، ما ساهم بدوره في غياب أوجه التعاون بين طرفي المعادلة (الدول المستهلكة والدول المنتجة)، الأمر الذي يوجد ما يسمى بمعضلة الطاقة، والتي هي سعي الدولة نحو تحقيق أمنها الطاقوي بما يؤثر في سياسات الدول الأخرى المستهلكة للطاقة.

المحور الثاني: مفهوم الصراع الاستراتيجي

تعتبر ظاهرة الصراع الدولي بين القوى الكبرى في العالم من الظواهر المؤثرة على الأمن والسلم الدوليين، وهي تهدد استقرار بقية الدول واستقلالها. وهذه الظاهرة كثيرة التغير والتطور بشكل دائم، ويعود ذلك إلى العوامل المتعددة التي تؤثر في طبيعة الصراع، والكيفية التي يدور حولها، والاهداف التي تسعى اطرافه للوصول إليها.

فالقوى العظمى تتطلع دائما إلى القيام بدور مميز في ادارة الشؤون الدولية، وتعمل من خلال ذلك على تحقيق مصالحها الحيوية واهداف استراتيجيتها العليا. والصراع الاستراتيجي في جوهره، يقوم بسبب التعارض بين المصالح والاهداف، وتنافس هذه الدول على بسط سيطرتها ونفوذها بكل الوسائل المتاحة⁽⁸⁾.

وباستخدام القوى الدولية للاستراتيجيات في صراعاتها الدولية لتحقيق أهدافها، وصفت بالصراعات الاستراتيجية لتعقيداتها وأهميتها، وأصبحت لها نظريات وأبعاد، وتطورت نظريات الصراع الاستراتيجي ووسائله في اعقاب الحرب العالمية الثانية، وفي ظل نظام التوازن الدولي ثنائي القطبية، وتحت تأثير التقدم الهائل في صناعة الأسلحة النووية والصواريخ، وظهور قوة دولية عظمى جديدة وهي الصين. فبعد ان كان الصراع يدور بطريقة مباشرة بين القوى الكبرى، أصبح في ظل ميزان الرعب النووي يجري بطريقة متنوعة وغير مباشرة.

ويرى هانز مورجنتاؤ، أن القضية التي تحكم العلاقات الدولية، سواء في السلم أم الحرب هي الصراع الدائم بين الدول الكبرى من اجل الوصول الى الوضع الأفضل في سبيل تحقيق اهدافها القومية. لذا تستند كل دولة لبلوغ غاياتها الى تخطيط استراتيجية متكاملة، تعتمد على دراسة أوضاعها في ضوء امكاناتها المادية والمعنوية أولاً، ثم دراسة الاوضاع المختلفة في الدول المواجهة لها في الصراع واستطلاع استراتيجيتها.⁽⁹⁾

وقد ركزت الصراعات الاستراتيجية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حول السيطرة على الطاقة والمواقع الاستراتيجية. وبنهاية الحرب الباردة تعددت أدوات الصراع الاستراتيجي المستخدمة في الصراعات الدولية منها العسكرية والاستخباراتية والاقتصادية والثقافية والاعلامية والدبلوماسية وغيرها، بمعنى آخر أن القوة والتأثير المستخدمة في الصراعات الدولية تعددت وتنوعت منها القوة الصلبة والناعمة والذكية.

المحور الثالث: تعريف وأهمية منطقة حوض البحر الأحمر

يمتد البحر الأحمر من مينائي السويس والعقبة شمالاً إلى باب المندب جنوباً، ثم يتسع جنوب لتكوين خليج عدن وتبلغ مساحته 437969 كم² وأنه قد سمي بالبحر الأحمر لأن به نوعاً من الطحالب التي تطفو على مياهه يميل لونها إلى الإحمرار مما يضيف على مياه البحر هذا اللون. ويبلغ طول البحر الأحمر حوالي 2000 كم ويتراوح عرضه بين 400 كم (في النصف الجنوبي) وبين 200 كم (في النصف الشمالي). وتطل على مياهه تسع دول هي مصر، والأردن، وإسرائيل، والسعودية، والسودان، واليمن، وإريتريا، وجيبوتي، والصومال⁽¹⁰⁾. وكان قديماً يطلق عليه بحر القلزم وان اسم البحر الأحمر جاء نتيجة لتكوين الطحالب في الشعب المرجانية ذات اللون البني المائل للحمرة الذي انعكس على مياهه وصار سبباً لتسميته الحالية⁽¹¹⁾.

وتتمتاز طبيعة سواحل البحر الأحمر بأنها قاحلة وخلوها من مصبات الأنهار والأمطار التي تقوم عليها الحياة الزراعية المستقرة، كان لها أثر كبير في قلة كثافة السكان ومراكز العمران والموانئ الواقعة على البحر. كما أن ضيق الرصيف القاري أثر في تقليل ارتباط السكان بمياه البحر الأحمر وخاصة أن الشعب المرجانية تغطي معظم أجزائه، وقد أدت تلك الشعب إلى صعوبة الملاحة في البحر الأحمر⁽¹²⁾. وعلى الرغم من ذلك فإن تلك الخصائص جعلت التجارة النشاط الحضاري

الرئيسي لشعوب البحر الأحمر، ومن ثم نشأت العلاقات الحضارية بين شعوب البحر⁽¹³⁾.

الأهمية الجيوستراتيجية:

اكتسب البحر الأحمر أهمية سياسية واستراتيجية واقتصادية منذ عصور التاريخ السحيقة، ذلك أن القدماء عرفوا فيه ميزة الربط بين الساحل الآسيوي والساحل الأفريقي. وعرفوا فيه كذلك ميزة الربط بين المحيط الهندي جنوبا والبحر الأبيض المتوسط شمالا، كأقصر طريق للملاحة والتجارة، وكان الهدف الاقتصادي والسياسي واضحا لهم، وهذه الميزة لازالت حتى اليوم تمثل أهمية جيوبوليتيكية واستراتيجية بالغة عند واضعي القرار السياسي ومخططي الاستراتيجيات ومحركي الصراعات الإقليمية والدولية.

وسواء أكانت الصراعات بين الشعوب القديمة في مصر والجزيرة العربية وسواحل إفريقيا، أو بين دويلات العصور الوسطى، أو بين امبراطوريات الاستعمار الأوربي في القرن التاسع عشر المتمثلة في بريطانيا وفرنسا والبرتغال وإسبانيا، أو بين القوى العظمى الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي سابقا، فإن البحر الأحمر بمدخله الشمالي عند السويس، وبمدخله الجنوبي عند باب المندب والقرن الأفريقي، ظل وسيظل يلعب دور محور الصراع في هذه المنطقة من العالم⁽¹⁴⁾.

وللمنطقة أهمية جيواقتصادية، بإعتبارها ممرا للنفط المستخرج من دول الخليج والقرن الأفريقي والمتجه إلى أوروبا والولايات المتحدة والصين والهند وغيرها، كما أنها شريان ناقل للتجارة العالمية شرقا وغربا. ومن هنا كانت وما زالت محط أنظار القوى الكبرى، وأصبحت من أهم بؤر الصراع الدولي. وجاء إنشاء إسرائيل وظهور إيران الخمينية ليزيدا من حدة الاستقطاب الدولي في بيئتها⁽¹⁵⁾. وتزداد أهمية المنطقة في الاستراتيجيات الدولية لقربها من أعلى مخزون نفطي في العالم، حيث يوجد 70% من احتياطي النفط العالمي في منطقة الخليج القريب من البحر الأحمر. ولهذا فإن أمن المنطقتين (البحر الأحمر والخليج) يبقى هاجسا دوليا. كما أن نسبة كبيرة من النفط تمر من الخليج عبر مضيق هرمز إلى خليج عمان ومنه إلى خليج عدن وباب المندب إلى البحر الأحمر وعبر قناة السويس إلى البحر المتوسط. ولهذا فإن البحر الأحمر مهم من جهة تخفيض نفقات نقل النفط إلى المستهلكين في الغرب وتقصير الوقت. وتتداخل أهمية البحر الأحمر مع الخليج العربي، لإرتباط المنطقتين بأهم مضيقين وهما باب المندب في البحر الأحمر وهرمز في الخليج. ومن يسيطر عليهما يستطيع السيطرة على البحر الأحمر والخليج. وكذلك تلعب الجزر في كليهما دورا مهما في محاولة السيطرة عليهما، ولهذا فإن البحر الأحمر والخليج العربي يعتبران من الناحية الجيوبوليتيكية والأمنية وحدة استراتيجية متكاملة⁽¹⁶⁾.

وبالنظر إلى كل هذه الأهمية الاستراتيجية قديما وحديثا على السواء فقد جلب الواقع الجغرافي

للبحر الأحمر المتاعب والمشاكل للدول المطلة على سواحله أو حتى القربية منه، وإذا كان هو طريق الحياة والتجارة والنفط والثراء للآخرين فقد لعب دور الآلام لأصحاب سواحله خاصة عند نقاط اختناقه في مدخله الجنوبي في منطقة القرن الأفريقي ومدخله الشمالي في مصر فقد تحملوا العبء الأكبر والأصعب من تلك الأطماع والصراعات على مر التاريخ⁽¹⁷⁾. وقد انعكس ويلات تلك الصراعات على أمن شعوب المنطقة ودولها.

الأهمية الجيوبوليتيكية:

يمثل البحر الأحمر أكبر ظاهرة إنكسارية في العالم «الأخدود الأفريقي العظيم»، ويتمتع بمكانة خاصة في الإستراتيجيات العالمية والإقليمية، ويتصف بسمات خاصة كمسرح حرب، وموقع استراتيجي وإقتصادي ذي أهمية على مستوى الإقتصاد العالمي والعلاقات الدولية. وبهذه الميزات الفريدة أضفى عليه أهمية جيوبوليتيكية. وزادت هذه الأهمية بعد افتتاح قناة السويس عام 1869م، حينما شقت اليابسة التي تجمع قارتي آسيا وأفريقيا، لتربط مياه البحر الأحمر بمياه البحر الأبيض المتوسط ليشكل بذلك أكبر عامل إختزال في جغرافية النقل البحري، الأمر الذي وضع المنطقة برمتها في قلب الخريطة الإستراتيجية الدولية⁽¹⁸⁾.

ويمكن القول أن البحر الأحمر جيوبوليتيكيًا، يتميز بميزتين أساسيتين في التحكم الاستراتيجي:

أولاً: يتميز البحر الأحمر بطول سواحله، فالسواحل الطويلة لها قدرة طاغية على التحكم في مياه البحر وفي الملاحة، ونتيجة لهذا فإن الدول المطلة على هذا البحر المتحكم في سواحله تؤدي دوراً أساسياً في لعبة الصراع الدائرة حوله، وتتحكم بالتالي في هذا الشريان السياسي والعسكري والاقتصادي.

ثانياً: امتلاء البحر الأحمر بالجزر المتناثرة شمالاً وجنوباً، والتي يرقى بعضها إلى أهمية استراتيجية بالغة تعادل أهمية نقاط الخنق والحصار والتحكم الاستراتيجي. وطبقاً للمراجع الدولية فإن مياه البحر الأحمر تحتوي على حوالي 380 جزيرة معروفة ومرصودة، بعضها أهل بقليل من السكان ومعظمها خال مهجور، والجدول التالي يوضح ذلك:

الدولة	طول الساحل بالميل البحري	عدد الجزر	أهم جزيرة
السعودية	930	144	فرسان
إريتريا	435	126	دهلك، حالب، فاطمة
اليمن	300	41	ذقر، حنيش الكبرى، بريم
السودان	400	36	سواكن
مصر	750	26	شدوان، تيران، صنافير
جيبوتي	20	6	موليلة (أم ليلة)
الأردن	13	—	—
إسرائيل	4	—	—
المجموع	2852	379	

جدول من إعداد الباحث

هذه الجزر تضيف على المنطقة الميزات الجيوبوليتيكية، وأن الإستفادة منها هي منبع الصراع الإقليمي والدولي الهادف إلى السيطرة على مواقع التحكم الإستراتيجي⁽¹⁹⁾.

وبتطبيق القواعد الجيوبوليتيكية على البحر الأحمر، يمكن رصد المميزات التالية⁽²⁰⁾:

1. يمتاز بالموقع الفريد الذي يتوسط القارات الكبرى الأساسية آسيا وإفريقيا وأوروبا، وقد لعب دورا تاريخيا في ازدهار الحضارات الآسيوية والافريقية والمتوسطية التي نشأت على شطآنه أو بقربها، بفضل قيامه بدور الشريان الحيوي لنقل التجارة فيما بين الشرق والغرب منذ عصور التاريخ القديمة وحتى اليوم.
2. يتميز كذلك بأنه يقع في الوسط بين البحار الشرقية والغربية، أو بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي، وهو يشبه الجسر العائم بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب.
3. ثم هو يتميز في عصرنا الحالي بأنه يتوسط بين بحيرات البترول الضخمة التي ما زالت تحتفظ بأكثر من 90% من احتياطي العالم في الشرق الأوسط وإفريقيا، وبين أكثر مناطق العالم استهلاكاً لهذه السلعة الاستراتيجية بحكم أنها مناطق تضم دول العالم الصناعية المتقدمة.

المحور الرابع: دوافع الصراع الاستراتيجي

أولاً: الموقع الجيوستراتيجي

تتمتع منطقة حوض البحر الأحمر بموقع جيو-ستراتيجي متميز، تشمل البحر الأحمر والدول المشاطئة له وخليج عدن، وتؤثر جيواستراتيجيا على القرن الأفريقي ودول حوض النيل وبحر

العرب والمحيط الهندي، والخليج العربي بصفته العربية واليرانية. فالمنطقة ملتقى الطرق البحرية التي تربط بين شرق افريقيا والجزيرة العربية ويران والهند وجنوب شرق آسيا، وكلها مناطق تجارية نشطة وغنية بمصادر الطاقة وبالموارد الطبيعية المهمة.

وتتميز هذه المنطقة بأنها تشرف على موقعين استراتيجيين مهمين، يؤثران في المصالح الدولية تأثيرا كبيرا: باب المندب، المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، ومضيق هرمز، بوابة الخليج العربي. ويعتبر مضيق باب المندب والجزر الكثيرة المنتشرة شمالا، ميزة دفاعية للدول المطلة عليه. ويشكل البحر الأحمر المنفذ إلى البحر الأبيض المتوسط، وذلك من خلال قناة السويس في مصر. ويعتبر الشريان الرئيس للتجارة الدولية ونقل النفط من الشرق الأوسط إلى الدول الغربية في أوروبا وأمريكا. ويتصل هذا الموقع أيضا بمضيق هرمز عن طريق خليج عدن وبحر العرب وبحر عمان، وينفذ إلى الخليج من بوابته الجنوبية بين دولتي إيران (محافظة بندر عباس) وعمان (محافظة جزيرة مسندم). وللمضيق ممران فقط صالحان للملاحة: أحدهما في مياه عمان الإقليمية، وهو ممر الدخول إلى الخليج، والآخر في مياه إيران الإقليمية، وهو ممر الخروج من الخليج⁽²¹⁾.

وكذلك أن هذا الموقع المتميز أضاف للمنطقة بعدا استراتيجيا هاما من واقع أنها تسيطر على ممرات مائية حيوية إضافة إلى أنها مدخل هام لإفريقيا من جهة الشرق، بالإضافة إلى أن البحر الأحمر يقع عند منطقة التقاء ثلاثة قارات وتطل عليه عشرة دول تتنافس الدول العظمى على السيطرة عليها وذلك لوفرة الموارد الحيوية في باطنها، منها النفط ولما لتلك الدول من أهمية استراتيجية، لذا تسعى الدول العظمى للبحث عن موطئ قدم لها في هذه المنطقة، حتى تتمكن من تأمين مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية⁽²²⁾.

ثانيا: الدوافع الأمنية والعسكرية

على الرغم من التطور التكنولوجي الهائل الذي طرأ على مجال التسليح ووسائل إدارة الصراع العسكري، ورغم تطور السفن الحربية والغواصات والصواريخ الباليستية العابرة للقارات، والأقمار الصناعية، إلا أن المناطق الإستراتيجية من وجهة نظر الجغرافيا العسكرية لا يمكن أن تفقد أهميتها الحيوية بسهولة⁽²³⁾.

وتشير بعض الدراسات للبحر الأحمر إلى عدم ملاءمته للأعمال القتالية. ويرجع ذلك إلى صحراوية سواحلها وافتقارها إلى الموانئ العميقة بالداخل بسبب الحوائط الصخرية العالية التي تمتد على طول ظهيرها. فالطبيعة الجيوبوليتيكية للبحر الأحمر تجعل من الصعب تمركز القطع البحرية الكبيرة فيه، كما أن ضحالة مياهه تجعل من عمل الغواصات فيه أمرا صعبا. ولكنه يصلح أساسا للأعمال القتالية المحدودة، والتحكم الاستراتيجي في مداخله.

وقد ذكر البروفسير صلاح الدين الدومة في كتابه أمن القرن الأفريقي أن البحر الأحمر

يتميز بأنه يوفر سهولة مناورة الأساطيل من مسرح عمليات لمسرح عمليات آخر وفقا للظروف السياسية والعسكرية⁽²⁴⁾. وقد دفعت ميزة المنطقة وبيئتها البحرية الاستراتيجية، القوى الإقليمية والدولية إلى إنشاء عدد من القواعد العسكرية الدائمة والمؤقتة، وإرسال القوات إلى المنطقة. تشمل حسابات القوى العسكرية الأجنبية بمنطقة حوض البحر الأحمر، عند المخططين العسكريين الوجود العسكري البحري في القرن الأفريقي وخليج عدن والبحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي، فالوجود العسكري الدولي في المنطقة يضم قواعد للقوات البرية والبحرية، وموانئ ومطارات عسكرية صغيرة ومعسكرات تدريب، ومنشآت شبه دائمة، ومراكز دعم لوجستي.

وهناك دوريات أجنبية متعددة تجوب المنطقة بسفنها لمراقبة أعمال القرصنة والتصدي لها، وذلك من دون الحاجة إلى قواعد عسكرية، مثل دوريات ألمانيا وكندا والهند وإيران وغيرها⁽²⁵⁾.

وتعد القواعد العسكرية من أهم أدوات الدول في بسط نفوذها الخارجي، وإبراز نفوذها الاقليمي والدولي، وتعد جيوتي ونظرا لموقعها المحوري بؤرة الصراع الدولي، وكذلك نجد عدة قواعد بدول الخليج العربية.

القواعد العسكرية الأمريكية:

تهدف مهام القوات الأمريكية في المنطقة إلى تحقيق هدفين، هما مكافحة الإرهاب والقرصنة وتأمين مصالحها الحيوية لا سيما أمنها الطاقوي. «ونتيجة لأهمية المنطقة وبيئتها البحرية الاستراتيجية اندفعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى إنشاء عدد من القواعد العسكرية الدائمة في الخليج (قطر والبحرين والإمارات والكويت والعراق)، وفي المحيط الهندي في جزيرة ديوغو غارسيا، وعلى شواطئ شرق أفريقيا في مدينة مومباسا في كينيا. وأبرمت الولايات المتحدة أيضا اتفاقات عدة مع بعض دول المنطقة لمنحها بعض التسهيلات العسكرية في قواعدها»⁽²⁶⁾.

بعد التفجيرات الإرهابية للأهداف الأمريكية في منطقة القرن الأفريقي وعقب أحداث 11 سبتمبر 2001م بالولايات المتحدة الأمريكية، بدأ التفكير الأمريكي في إقامة القاعدة الأمريكية الأكبر في أفريقيا داخل جيوتي، وذلك في محاولة للحد من نشاط الجماعات المتطرفة وتقديم الخدمات الإنسانية والعمل عن قرب مع الحكومات المحلية.

وفي جيوتي بدأت أمريكا استخدام «معسكر ليموني» عام 2001م، واصبح قاعدة بحرية تابعة للبحرية الأمريكية. وهي القاعدة الوحيدة الدائمة للولايات المتحدة في القرن الأفريقي، ويبلغ عدد الجنود فيها حوالي 4000 جندي⁽²⁷⁾.

القاعدة العسكرية الصينية:

تقع في جيبوتي، وهي أول منشأة دعم لوجستي للجيش الصيني في الخارج، وقد بدأ إنشاء هذه القاعدة في فبراير من عام 2016م وتم افتتاحها في أغسطس من العام 2017م، وقد جهزت القاعدة على استيعاب حوالي 10000 جندي. تقوم القاعدة بمهام جمع المعلومات، وعمليات الاجلاء وحفظ السلام قبالة سواحل اليمن والصومال، اضافة الى مكافحة القرصنة والارهاب⁽²⁸⁾.

القواعد العسكرية الفرنسية:

تمتلك فرنسا قاعدتين مهمتين في المنطقة ومحيطها الجيوبوليتيكي: الأولى في جيبوتي، منذ وقت طويل، وتعتبر أكبر قاعدة فرنسية في أفريقيا، والثانية في أبوظبي في يونيو 2009م، علاوة لذلك تملك فرنسا قاعدتين بحريتين في جزيرتي مايوت ورينيون في جنوب المحيط الهندي، تعتبران أراضي فرنسية في ما وراء البحار⁽²⁹⁾. كذلك تمتلك فرنسا قاعدتين بحريتين في جزيرة مايوت ورينيون في جنوب المحيط الهندي، تعتبران أراضي فرنسية في ما وراء البحار. وهناك قواعد عسكرية بالمنطقة لعدد من الدول الكبرى منها اليابان وإيطاليا، وهناك وجودا عسكريا إقليميا تشمل إسرائيل وإيران وتركيا وغيرها.

ثالثاً: الدوافع الاقتصادية

تنافست وتدافعت القوى الدولية الكبرى والصاعدة في منطقة حوض البحر الأحمر، من أجل توفير أمنها الطاقوي وزيادة نفوذها السياسي والاقتصادي. و«تتجلى الدوافع الاقتصادية والتجارية نحو منطقة حوض البحر الأحمر، بإعتبارها ممرا تجاريا عبر السنين تمر عبرها السلع القديمة من توابل وعطور ومنتجات غابية من جنوب شرق آسيا إلى افريقيا باتجاه أوروبا، ثم جاء اكتشاف النفط بالمنطقة بكميات كبيرة، ليؤكد الأهمية الاقتصادية للمنطقة»⁽³⁰⁾. ويعد الطلب والعرض على الطاقة من الناحية الاقتصادية أحد العوامل الرئيسة التي تؤثر في التصورات الخاصة بأمن الطاقة للدول. وترجع هواجس الدول الأمنية والاقتصادية الحالية إلى أن الطلب على الطاقة على اختلاف مصادرها وانواعها يرتفع بوتيرة متزايدة، لكن ارتفاع الانتاج العالمي من النفط والغاز الطبيعي لا يزال غير كاف لمواجهة الطلب المتزايد، ولا سيما في ظل ارتفاع معدلات النمو في دول صاعدة اقتصاديا، مثل الصين والهند⁽³¹⁾. فقد أشار تقرير منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك)، المعنون «آفاق النفط في العالم 2030م» إلى أن الاستهلاك العالمي للطاقة شهد نموا متسارعا. وستستحوذ الاقتصادات الناشئة (الصين، الهند، البرازيل) على الحصة الأكبر من الاستهلاك، حيث سيزداد خلال الفترة بين 2009م - 2030م في الدول الصاعدة بحدود 22 مليون برميل يوميا. وسيصاحب ذلك زيادة الطلب على النفط التي ستصل إلى 105 ملايين برميل يوميا بحلول عام 2030م، أو بزيادة قدرها 21 مليون برميل يوميا مقارنة بعام 2009م⁽³²⁾.

المحور الخامس: استراتيجيات القوى العظمى بالمنطقة

شهدت منطقة حوض البحر الأحمر تقاطع العديد من الإستراتيجيات للقوى الدولية، لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي (روسيا حالياً)، والصين، وبجانب هذه القوى الثلاث هنالك عدة استراتيجيات للعديد من القوى الأخرى بالمنطقة لا يسع المجال لذكرها.

استراتيجية الولايات المتحدة:

برزت الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى بعد الحرب العالمية الثانية، وإن جاء دخولها متأخراً لكنها لعبت دوراً حاسماً في هزيمة دول المحور (ألمانيا، اليابان، إيطاليا)، فأصبحت ندا للاتحاد السوفيتي في الشرق، وهي بحكم موقعها الجغرافي تشاطيء محيطين هما الأطلسي والباسفيكي، وهذه إن كانت ميزة جيوبوليتيكية إلا إنها تفرض عليها أعباء إضافية، مما حدا بالجنرال الأمريكي ماهان «الداعية لقوة البحر» أن ينادي بشق قناة بنما ليصل بين أكبر مسطحين مائيين في العالم بغية تخفيض الأعباء عن الولايات المتحدة وإختزال الوقت والمسافة⁽³³⁾. ومن ثم سعت أمريكا في تبني نظريات ماهان وتقوية أساطيلها لبسط نفوذها على العالم الخارجي والبقاء قريباً من المواقع الإستراتيجية بما يكفل لها الحفاظ على مصالحها القومية وحماية حلفائها والتصدي للنفوذ السوفيتي المتعاضم. وحتى نهاية الحرب الباردة كانت السياسة مرتكزة على التمسك بالمراكز التي تحصلت عليها من الدول التي تطل على المحيط الهندي والتي تشكل العناصر الأساسية للإستراتيجية الأمريكية، والتي تقوم على ضمان إنتاج الطاقة في الخليج العربي وتمريه عبر قناة السويس، والدفاع عن القارة الأفريقية وخاصة شرقها في مواجهة التسلل السوفيتي⁽³⁴⁾.

وقد بنت الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجيتها للتحكم في منطقة

البحر الأحمر على ثلاث أنماط هي (35):

استراتيجية الإحتواء:

وتتم ذلك بالتحكم في البحر الأحمر والمنطقة المحيطة به، وذلك عن طريق القواعد العسكرية والتسهيلات البحرية لقواتها هناك، وإيضاً وجود قواتها في نقاط تخفي استراتيجية تمكنها من الوثوب على البحر الأحمر عند التعرض لأي خطر يهدد أمنها أو مصالحها أو أمن الدولة الصديقة أو الحليفة لها. وتحولت استراتيجية الإحتواء بعد إعلان (مبدأ نكسون) في عام 1969م، إلى إستراتيجية المشاركة الإقليمية. فمن أجل تدفق النفط الخليجي لها ولحليفاتها في أوروبا، أحاطت الولايات المتحدة المنطقة بعدد من القواعد العسكرية والتسهيلات أهمها قاعدة (ديغو غارسيا) في المحيط الهندي، بحسبان أن البحر الأحمر والخليج العربي منطقة جيوبوليتيكية واحدة.

استراتيجية التقرب غير المباشر:

تسعى الولايات المتحدة عبرها لتطويق المنطقة، وذلك بالتحكم في مداخل المضائق والمنافذ البحرية والحرص على الوجود في الجزر ذات المواقع الاستراتيجية التي تتحكم في الملاحة البحرية.

استراتيجية الملاحظة:

وتتم دائما عن طريق ما يطلق عليها منطقة الإهتمام، ويتم ذلك عن طريق التصريح الواضح أو التلميح، والقصد من ذلك ايصال الإشارة إلى الطرف الآخر. أو عن طريق خلق العلاقات الوطيدة مثل علاقات الولايات المتحدة مع مصر والسعودية، علاوة على خصوصية علاقاتها مع إسرائيل.

ولقد جرت في المنطقة أحداث كانت لها أثر في تغيير كافة الموازين الإستراتيجية، منها إنهيار نظام الشاه الإيراني عام 1979م الحليف القوي لأمريكا. وتوقيع إتفاقية كامب ديفيد عام 1979م بين مصر وإسرائيل، وإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل. والإجتياح السوفيتي لأفغانستان عام 1979م. كل ذلك أدى إلى وجوب إعادة ترتيب الأوراق الأمريكية والتعديل في إستراتيجية واشنطن في المنطقة، لذا فإن فكرة التدخل العسكري المباشر، بدلا من استراتيجية التقرب غير المباشر، كان أمرا لا بد من التفكير فيه بجدية أكثر، وهذا ما عرف ب(مبدأ كارتر) الذي كان يهدف إلى استخدام القوة العسكرية ولكن بالطبع دون التخلي عن (مبدأ نكسون) القاضي بالإعتماد على القوة الإقليمية الحليفة، إلا أن الظروف في تلك الفترة لم تكن مواتية لتطبيقه واستمر الاعتماد على مبدأ نكسون. وعلى ضوء ذلك تم تنفيذ مشروع أمريكي بإنشاء وتدريب قوات عرف بإسم (قوات التدخل السريع) والتي وضعت خصيصا وجرى تدريبها للقتال في مناطق مشابهة لبيئة الشرق الأوسط⁽³⁶⁾.

الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي:

بنهاية الحرب الباردة ظهرت بيئات وتهديدات أمنية جديدة، منها الإرهاب، وحتى تتمكن الولايات المتحدة الأمريكية من محاربة هذه الفئة التي تؤيدها بعض دول المنطقة، تطلبت وضع استراتيجيات لمواجهة تلك التهديدات، منها الإستراتيجية الأمريكية الشاملة لمقاومة انتشار الأسلحة، تتمثل في الآتي⁽³⁷⁾:

- تقوية جهود الحد من انتشار الأسلحة لمنع الدول والإرهابيين من الحصول على المواد والتكنولوجيات، وإجراءات مراقبة التسليح والتصدير المتعددة الأطراف.
- إدارة العواقب بفعالية للرد على التأثيرات الناجمة عن استخدام اسلحة الدمار الشامل.
- بناء قدرات استخبارية أفضل، وأكثر تكاملا لتوفير المعلومات الدقيقة وفي الوقت المناسب حول التهديدات التي قد تبرز من أي مصدر كان.

- التنسيق عن كثب مع حلفائها بوضع تقييم مشترك لأكثر التهديدات خطورة.
 - الاستمرار في تحويل طبيعة القدرات العسكرية الأمريكية لتتمكن من تأمين القدرة على تنفيذ عمليات سريعة ودقيقة لتحقيق نتائج حاسمة.
- هناك أسباب جعلت الولايات المتحدة تتخوف من منطقة البحر الأحمر، نتيجة للوجود الاسلامي المتشدد فيها، وأن المنطقة تعيش حالة من التمزق وعدم الاستقرار، ومن هنا سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى إيجاد قواعد عسكرية منخفضة التكاليف سياسيا وأمنيا لتعزيز المصالح الأمريكية في الخليج وأفريقيا..وفي مواجهة الصراعات والارهاب في المنطقة، استخدمت الولايات المتحدة استراتيجية الجهود الدبلوماسية والاهتمام بالمعلومات الاستخبارية استنادا لتوصيات صناع السياسة الخارجية بأمريكا، أن الدبلوماسية الدولية يجب أن يكون الخيار الأول في حل الأزمات وليس العمل العسكري، ويجب أن تكون المعلومات السرية وتطبيق القانون هما الخط الأول للدفاع ضد الإرهاب وأن تكون القوة العسكرية الملاذ الأخير. ولابد من استعادة مبادئ مراقبة الأسلحة ونزع السلاح، ومنع انتشارها⁽³⁸⁾. وتسعى الولايات المتحدة إلى الدفع بمجموعة من القادة الجدد ونشر قيم الديمقراطية حتى تصبح أدبيات السياسة الأمريكية مفاهيم حاکمة بالمنطقة، وهي تسعى من وراء ذلك إلى عدة أمور منها⁽³⁹⁾:
- تسعى الولايات المتحدة الأمريكية في إطار استراتيجتها للسيطرة على البحر الأحمر وما يتعلق به من امتيازات إستراتيجية ولهذا حرصت على وجود قواعد لها في كل من اريتريا وجيبوتي وهذا يأتي ضمن حرصها على الاقتراب من مناطق البترول في العراق والخليج العربي ومنطقة وسط آسيا.
 - مشروع القرن الافريقي الكبير وجد حيزا كبيرا في الفكر الاستراتيجي الأمريكي وتم التعبير عنه بشكل واضح ورسمي في وثائق الخارجية الأمريكية، هذا المشروع يشمل شرق افريقيا ومنطقة البحيرات العظمى ووسط افريقيا، وهي منطقة غنية بالمياه واحتياطيات الطاقة والموارد الطبيعية الأخرى.

استراتيجية الاتحاد السوفيتي:

يرجع إهتمام الاتحاد السوفيتي بموانئ المياه الدافئة على البحر الأحمر والبحر المتوسط والمحيط الهندي منذ أيام القيصر بطرس الأكبر عام 1682 - 1725م والذي أعلن أن من يسيطر على تلك المنطقة يحكم العالم، وقد أوضحت كتابات الأدميرال سيرجي غوشكوف مدى حاجة الاتحاد السوفيتي إلى تسهيلات البحر الأحمر في الخمسينات والستينات، خاصة بعد إدخال الولايات المتحدة الغواصات النووية إلى المنطقة، وقد بدأ الإتحاد السوفيتي في التغلغل في المنطقة بعد أن وطد مركزه في الشرق الأوسط من خلال الصراع العربي - الإسرائيلي وقد عمد إلى استخدام ذلك الصراع كجسر يعبر به إلى التغلغل

واكتساب النفوذ في منطقة البحر الأحمر⁽⁴⁰⁾.

ويمكن القول أن الاستراتيجية السوفيتية في المنطقة تسعى للاقترب من المواقع الأمريكية، بغرض إجهاد السيطرة والتهديدات الأمريكية، والتحكم في مصادر الطاقة بالمنطقة، على الرغم من اكتفاء الاتحاد السوفيتي ذاتيا من الطاقة، في إطار ما يعرف ب(استراتيجية الحرمان) أي حرمان الدول الرأسمالية من الطاقة⁽⁴¹⁾.

روسيا:

إن روسيا هي الوريث الشرعي للاتحاد السوفيتي، وسعت للحصول على قواعد ومنافذ بحرية في المياه الدافئة وكانت مطلبا حيويا في سياستها الخارجية، وذلك تأميناً لمصالحها وأهدافها المنتشرة في جميع أجزاء العالم، في ظل مشاكلها الأمنية والاقتصادية والسياسية. وشهدت الفترة الأخيرة عودة قوية للاهتمام الروسي بالمنطقة؛ في محاولة منها لاستعادة مناطق نفوذها القديم. وتدرّك روسيا أهمية هذه المنطقة في أنها تتحكم في طريق التجارة العالمية. وممرًا حيويًا ومهماً لأي تحركات عسكرية، وهي مركز عبور السفن والطائرات العابرة لكل القارات، وكذلك نقطة تزود بالوقود. فتواجد روسيا في المنطقة يعد مهماً، للحفاظ على قاعدتها البحرية المتواجدة في المحيط الهادئ، والمشاركة في القوات الدولية التي تستهدف محاربة القرصنة، والتي قد تتعرض لها قوافل تجارية روسية⁽⁴²⁾.

استراتيجية الصين:

في ظل تزايد الاستهلاك الصيني من الطاقة، وتوقعات تزايد اعتمادها على الطاقة المستوردة من الخارج لمواكبة ثورتها الصناعية وصعودها الاقتصادي باعتبارها قوة عالمية منافسة للولايات المتحدة على المسرح الدولي، وللحصول على نفط الشرق الأوسط الذي تعتمد عليه الولايات المتحدة بصورة رئيسة؛ اتخذت الصين عددا من الخطوات في هذا السياق تمثلت في تنمية علاقاتها الثنائية مع دول المنطقة المنتجة للنفط، مثل إيران والسعودية والكويت، وعقدت اتفاقيات طويلة الأمد مع شركة «أرامكو» السعودية و«الهيئة الكويتية للبترو» وشركة «إيران الوطنية للنفط»⁽⁴³⁾. وبتزايد الطلب الصيني بحدة على الطاقة، وتراجع الإنتاج المحلي منها، دفع بكين إلى البحث عن مصادر خارجية مستقرة للطاقة. وأصبحت الصين في عام 2004 ثاني أكبر مستهلك للنفط في العالم بعد الولايات المتحدة. وتوقعت بعض الدراسات أن يزداد استهلاك الصين من النفط بنسبة 10% سنوياً، وأن تزداد أيضاً واردات الصين من النفط والغاز من 33% حالياً من احتياجاتها الإجمالية من النفط والغاز إلى 60% في عام 2020م. وتشير التقديرات إلى أن 25% من واردات الصين الإجمالية من النفط تأتي حالياً من إفريقيا؛ مما حدا بالصين إلى أن تضع في أعلى سلم أولوياتها الاحتفاظ بعلاقات قوية مع موردي الطاقة الإفريقيين لها⁽⁴⁴⁾. وقد اتخذت الصين استراتيجية تنويع المصادر، ولذا رأت أن أفريقيا جديرة بالاهتمام لكونها تمتلك

ثروات طبيعية هائلة، 22% من احتياطي الغاز والنفط في العالم، و25% من احتياطي الذهب، و80% من البلاتين، و50% من احتياطي العالم من الماس وغيرها⁽⁴⁵⁾. واعتبرت الصين أن باب المندب والبحر الأحمر من أهم الروابط البحرية في تجارتها، وأحد أهم أضلاع تقوية طريق الحرير لحماية سفنها والتواصل المباشر مع أفريقيا الجنوبية.

وقد التزمت أثناء التوقيع في عام 2014 بتطوير منطقة حرة قرب مينائي جيبوتي ودوراليه، بالإضافة إلى إقامة مشاريع ضخمة بلغت قيمتها 9,8 بليون دولار، تشمل تشييد ستة موانئ، من أهمها ميناء متعدد الوظائف في دوراليه، وقاعدة عسكرية لحماية نفطها الوارد من الشرق الأوسط (43% من أجمالي النفط الوارد)، مما يعكس رغبتها في الحصول على مواقع لوجيستية هامة قريبة من ملتقى الطرق البحرية بين أفريقيا وآسيا، وغير بعيدة عن أوروبا، وذلك لحماية ثلث بضائعها البحرية التي تنقل عبر باب المندب والبحر الأحمر، وإيجاد موقع قدم ثابت قرب منطقة حيوية لتأمين احتياجاتها من الطاقة. ووفقاً لورقة السياسة الدفاعية للصين التي صدرت في مايو عام 2015، فإن القوات المسلحة ستعمل على خلق وضع استراتيجي ملائم مع التركيز على استخدام القوات والوسائل العسكرية. وتتوافق هذه الصيغة مع مبادرتي الصين "سلسلة اللؤلؤ" و "حزام واحد، طريق واحد". تهدف مبادرة "سلسلة اللؤلؤ" إلى إنشاء خط من الموانئ البحرية بطول المحيط الهندي لتأمين الممرات البحرية التي عادة ما تمر بها السفن التجارية للصين. وتهدف مبادرة "حزام واحد، طريق واحد" إلى إنشاء شبكة طرق برية وبحرية تجارية تربط الصين مع الشرق الأوسط وأوروبا. وحسب ما يراه المراقبون، فإن قاعدة الصين في جيبوتي ستساعد على تحقيق الهدف الأخير حيث تمر صادرات صينية يومياً من خليج عدن وقناة السويس إلى أوروبا تبلغ قيمتها مليار دولار⁽⁴⁶⁾. ويمر بمضيق باب المندب 20% من حجم التجارة العالمية، وللصين النصيب الأكبر منها، إضافةً إلى أن 50% من واردات النفط إلى الصين تصلها من المملكة العربية السعودية والعراق وجنوب السودان. وتمر بالمنطقة حوالي 80% من الواردات النفطية البحرية الصينية عبر هذا الطريق مروراً بالمحيط الهندي، لذلك فهي موقع حيوي للحفاظ على مصالح الصين الاقتصادية⁽⁴⁷⁾.

المحور السادس: أثر صراع القوى الدولية على أمن المنطقة

ابتليت منطقة حوض البحر الأحمر ومحيطها الجيوسراتيجي، بثلاثة انواع من الصراعات المتداخلة فيما بينها، منها الصراع الدولي، والصراعات بين دولها، والصراعات الداخلية كالحروب الأهلية ذات الامتدادات العرقية والطائفية والجهوية. وقد أسهمت الصراعات الدولية في تعقيد هذا المشهد، وشكلت تلك الصراعات أساس التحديات التي واجهت عمليات بناء الدولة والاندماج الوطني والتعاون الاقليمي. ومن ثم تداخلت هذه التهديدات والمخاطر والصراعات لتشكل سمة للمنطقة والتي يمكن تسميتها، بمنطقة الصراعات متعددة المستويات، داخلية واقليمية ودولية.

فظلت المنطقة تعاني من تهديدات أمنية معقدة وبمستويات متعددة ومختلفة ومتشابكة من مستوى الفرد إلى الجماعة صعودا نحو الدولة والاقليم برمته، وكانت محصلة تلك التهديدات هشاشة الدولة ومؤسساتها وضعف التعاون الاقليمي. هذا الضعف أنتج لاعبين من غير الدول، تحركوا لسد الفراغ الأمني والاقتصادي والاجتماعي الذي تركته دول المنطقة الضعيفة، وظهور حركات وجماعات مطلبية وانفصالية، والجماعات الإرهابية. إضافة إلى التهديدات النابعة من موجات الهجرة غير الشرعية، وتجارة الأسلحة والمخدرات العابرة للحدود. تلك الأزمات أكدت عجز النظم السياسية بالمنطقة من بناء الدولة الوطنية المستقرة الآمنة، وعجزت تلك الأنظمة عن التعامل مع الواقع أو التوليفة المجتمعية المتعددة، وهو ما خلق أزمات وموجات عنف سياسي واسعة النطاق. فالدولة أضحت غير قادرة على تحقيق أمن مواطنيها؛ بل صارت أحد مصادر التهديدات لشعبها، وذلك عبر سيطرة إثنية/ طائفية/ نخبة عسكرية، على مقاليد السلطة، وهي الصورة التي ولدت العنف البنيوي. فصنفت غالبية دول المنطقة ضمن الدول الفاشلة والعاجزة، من واقع حجم التهديدات الأمنية والإنسانية التي تعيشها. وعلى سبيل المثال فالمنطقة تعد من أفقر مناطق العالم، بإستثناء السعودية، وتواجه شعوب المنطقة نقصا غذائيا ومجاعات مدمرة ومتكررة، ونزوح ولجوء بأعداد كبيرة، وتتجلى تلك المآسي الإنسانية في السودان والصومال واليمن وأثيوبيا وإريتريا.

مستقبل الأمن في منطقة حوض البحر الأحمر

نتيجة لأهمية منطقة البحر الأحمر الإستراتيجية ونظرا لموقعها الجغرافي الذي تتميز بها عن باقي المناطق في العالم إضافة إلى إمتلاكها الثروات المعدنية والموارد الطبيعية الضخمة كالنفط والغاز واليورانيوم والذهب والمياه، فإنها من المتوقع أن تزداد أهميتها وتجذب إهتمام الدول الكبرى بصورة أكبر وبالتالي تتصارع وتتنافس القوى الدولية في المنطقة، من أجل بسط النفوذ السياسي وضمان المصالح الإقتصادية وتحقيق أمن الطاقة.

وعلى الرغم من الأهمية الجيوستراتيجية للمنطقة، إلا أنها من المتوقع أن تستمر التهديدات في المنطقة برمتها حيث أصبحت هذه التهديدات تشكل هاجسا أمنيا متفاقم، وهي مشكلة معقدة ومتعددة الأبعاد، والبعد الأساسي فيها يتمثل في أزمة بناء الدولة، وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وخطر الإرهاب مع تزايد إنتشار تهريب الأسلحة وتجارة المخدرات والهجرة السرية والتهديدات البيئية وغيرها من المخاطر.

ومن المتوقع أن تستمر الأخطار المحدقة بالأمن الإنساني في المنطقة، نظرا لما تحملها من تناقضات بنيوية مرتبطة ببناء الدولة الوطنية، من فشل السياسات التنموية وغياب الاستقلال الرشيد والأمثل للإمكانيات المتاحة، إلى جانب غياب العدالة التوزيعية للموارد وتحدي الحروب الأهلية. وأن الخروج من هذه المستنقعات الأزموية لابد من إنهاء الحروب في هذه الدول

وإحلال السلام الدائم وإقرار المصالحات الوطنية وإصلاح الدول والمؤسسات للقيام بوظائفها على أكمل الوجوه، ووضع السياسات والاستراتيجيات الناجعة، للاستفادة من الإمكانيات المتاحة لهذه الدول، وكذلك محاولة الاستفادة من الوجود الكبير للدول الكبرى في المنطقة في تقوية المؤسسات وأحداث التنمية وذلك بغية الوصول إلى تحقيق الأمن الإنساني بالمنطقة وصيانة وضمان أمن المنطقة برمتها. ومن الإشرافات الكبيرة بالمنطقة ظهور القيادات الجديدة من ذوي الرؤى التنموية والسلمية، مثل أبي أحمد في أثيوبيا، وعبدالله حمدوك بالسودان.

الخاتمة:

شهدت منطقة حوض البحر الأحمر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تنافسا وصراعا محمومًا بين القوى العظمى الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، وقد استمرت تلك الصراعات طيلة مرحلة الحرب الباردة. ومع بداية النظام العالمي الجديد في التسعينيات من القرن الماضي ومطلع القرن الحادي والعشرين، تصاعدت حدة هذه المنافسة وتعددت أطرافها، بدخول القوى الصاعدة كالصين والهند حلبة الصراع، حيث يبدو الصراع الأمريكي - الصيني في المنطقة الأصعب والأكثر شراسة، ذلك أنه ينطوي على عنصر الطاقة التي تعد أولوية لدى الطرفين وتؤثر بشكل أساسي ورئيس على الأمن القومي لهما، بالإضافة إلى الموقع الإستراتيجي لمنطقة حوض البحر الأحمر لما تتمتع بها من أهمية استراتيجية وخصائص جيوبوليتيكية، وكذلك تذخر المنطقة بموارد ضخمة لا سيما الطاقة.

وقد اتسمت مصالح القوى الدولية في المنطقة بالتشابك والتعقيد، نتجت عنها الصراعات وعدم الاستقرار والتهديدات الإرهابية، تلك الصراعات أثرت على أمن المنطقة برمتها بضعفها العربية والأفريقية كما انعكست على شعوب المنطقة من هشاشة في الأمن وعدم الاستقرار وضعف في التنمية.

النتائج:

1. أصبحت منطقة البحر الأحمر بكل مميزاتها الجيوسياسية وخصائصها الجيوبوليتيكية، واحدة من المناطق الاستراتيجية المهمة في التقسيم الجيوبوليتيكي للعالم، وملتقى أهم نقاط التحكم الاستراتيجي.
2. شهدت موازين القوى المعاصرة بالمنطقة حركة تحولات وتغييرات جزرية، بين قوى دولية وأخرى إقليمية في البيئة الجيوسياسية للبحر الأحمر صعودا وهبوطا. وغياب مشروعا استراتيجيا لدول المنطقة للاستفادة الكبيرة من ميزات المنطقة وامكانياتها.
3. تأثر أمن المنطقة بالصراعات والاستراتيجيات الدولية والتي جلبت مآسي وكوارث إنسانية لشعوب المنطقة.

التوصيات:

1. على صناع القرار بالمنطقة وضع شراكات استراتيجية استثمارية، وخلق آفاق للتعاون، فالمنطقة تمتاز بفرص وآفاق للاستثمارات الضخمة لابد من الاستفادة منها.
2. ومن المداخل الاستراتيجية للتعاون وخلق الشراكات الاستراتيجية في المنطقة قطاع البنية التحتية، والذي يشمل الطاقة والسدود والطرق والجسور والسكك الحديدية والموانئ البحرية والنهرية والسياحة والاتصالات والأسواق ومراكز الانتاج والخدمات.

المراجع:

1. ابوبكر فضل محمد، مهددات الأمن الدولي، (دراسة حول الإرهاب والتسليح تنظيم داعش نموذجاً)، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الدراسات الاستراتيجية، كلية العلوم السياسية والدراسات الاستراتيجية، جامعة الزعيم الأزهرى، 2015م، ص 10.
2. أليزابيث سكونز، «تمويل الأمن في سياق عالمي» في: التسليح ونزع السلاح والأمن الدولي: الكتاب السنوي 2005م، فريق الترجمة حسن حسن وعمر الأيوبي، بإشراف سمير كرم (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005م)، ص 427.
3. عبدالقادر دندن، الإستراتيجية الصينية لأمن الطاقة وتأثيرها على الاستقرار في محيطها الإقليمي: آسيا الوسطى - جنوب آسيا - شرق وجنوب شرق آسيا، اطروحة دكتوراة في العلاقات الدولية، غير منشورة، جامعة الحاج لخضر - باتنة، 2013م، ص 44.
4. خديجة عرفة محمد، أمن الطاقة وآثاره الاستراتيجية، الطبعة الأولى (الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2014م)، ص 52.
5. عمرو عبدالعاطي، أمن الطاقة في السياسة الخارجية الأمريكية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (الدوحة، سبتمبر 2014م)، ص 45.
6. خديجة عرفة محمد، مرجع سابق، ص 52 - 53.
7. كاميل برونسكي، «الطاقة والأمن: الأبعاد الإقليمية والعالمية»، في: التسليح ونزع السلاح والأمن الدولي: الكتاب السنوي 2007م (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007م) ص 329.
8. عبدالناصر سرور، الصراع الاستراتيجي الأمريكي - الروسي في اسيا الوسطى وبحر قزوين وتداعياته على دول المنطقة (1991-2007م)، جامعة الأقصى، مجلة جامعة الأزهر، غزة، سلسلة العلوم الانسانية 2009م، المجلد 11، العدد B-1، ص 45.
9. هانز مورجانشا، السياسة بين الأمم، ط1، ترجمة خيرى حماد، القاهرة، الدار القومية، 1965م، ص 33.
10. أحمد الأصبحي وآخرون، الأمن القومي العربي في منطقة البحر الأحمر، (عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط، 2001م)، ص 19.
11. عبدالمحسن السلطان، البحر الأحمر والصراع العربي - الإسرائيلي: التنافس بين استراتيجيتين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984م، ص 26.
12. محمود توفي، البحر الأحمر في الاستراتيجية الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد 57 (يوليو 1979م)، ص 32.
13. عبدالمنعم عبدالحليم سيد، البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، (الاسكندرية: دار

- المعرفة الجامعية، 1993م)، ص 14.
14. صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1982م)، ص 62.
15. إجلال رأفت، تقاطع المصالح القومية للدول العربية المطلة على البحر الأحمر ودول القرن الأفريقي، في العرب والقرن الأفريقي: جدلية الجوار والانتماء، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت- أكتوبر 2013م، ص 209-214.
16. أحمد الأصبحي وآخرون، مرجع سابق، ص 43 - 44.
17. صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ص 63.
18. محمد يوسف حسن عيسى، وسائل التفاعل مع السياسة الأمريكية في القرن الأفريقي، الفترة من 2001-2013م، رسالة دكتوراة غير منشورة في العلوم السياسية، جامعة النيلين، 2013م، ص 69-70.
19. صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ص 59 - 61.
20. المرجع نفسه، ص 66 - 67.
21. إجلال رأفت، مرجع سابق، ص 215 - 216.
22. المعز فاروق محمد احمد، مرجع سابق، ص 110.
23. صلاح الدين عبدالرحمن الدومة، أمن القرن الأفريقي، الطبعة الثانية، (الخرطوم: الدار السودانية للكتب، 2007م)، ص 80.
24. المرجع نفسه، ص 94 - 95.
25. إجلال رأفت، مرجع سابق، ص 208.
26. المرجع نفسه، ص 208.
27. رانيا ابو شمالة، أهم القواعد العسكرية في المنطقة العربية: التواجد والنفوذ، منتدى السياسات العربية، 20 أكتوبر 2019م، على الرابط www.Arab Policy Forum.
28. رانيا ابو شمالة، أهم القواعد العسكرية في المنطقة العربية: التواجد والنفوذ، منتدى السياسات العربية، 20 أكتوبر 2019م، على الرابط www.Arab Policy Forum.
29. مضوي الترابي، مرجع سابق، ص 217 - 218.
30. أحمد الحسب عمر، الأهمية الاقتصادية للبحر الأحمر، سلسلة أوراق استراتيجية، مركز الدراسات الاستراتيجية، (الخرطوم: 1998م)، ص 19.
31. كاميليا برونسكي، مرجع سابق، ص 333.
32. عمرو عبدالعاطي، مرجع سابق، ص 69.
33. معتصم عبدالوهاب، استراتيجيات الدول الكبرى في البحر الأحمر، سلسلة أوراق استراتيجية،

- العدد (1)، (الخرطوم: مركز الدراسات الاستراتيجية، 1998م)، ص 31.
34. عمار السجاد الشيخ، اتجاهات وفرص وحدة القرن الأفريقي: دراسة استشرافية، اطروحة دكتوراة غير منشورة في العلوم السياسية، جامعة النيلين، 2010م، ص 56.
35. الأمين عبدالرازق ادم، مرجع سابق، ص 77 - .
36. المعز فاروق محمد احمد، مرجع سابق، ص 152 - 153.
37. المعز فاروق محمد احمد، مرجع سابق، ص 157.
38. حمدي عبدالرحمن حسن، التوازن الاقليمي في شرق افريقيا: القضايا وآفاق المستقبل، شبكة المشكاة الاسلامية، ص 6 - 7.
39. عمار السجاد الشيخ محمد، مرجع سابق، ص 58 - 59.
40. مجدي حماد، الاتحاد السوفيتي وكوبا والقرن الافريقي، مجلة السياسة الدولية، العدد 54، مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، (1978م)، ص 31 - 33.
41. محمد توكل، روسيا تبحث عن «نفوذها الضائع» في القرن الأفريقي، على الرابط: <https://88%aa.com.tr/ar/%D8%AF%D9>
42. عمرو عبدالعاطي، مرجع سابق، ص 69 - 71.
43. بيتر بروكس، وجي هاي شين: «النفوذ الصيني في إفريقيا تهديد كبير لمصالح واشنطن، 28 ديسمبر / 2006. [http://www.siironline.org/alabwab/derasat\(01\)/349.htm](http://www.siironline.org/alabwab/derasat(01)/349.htm)
44. هشام جابر، القرن الافريقي: سباق دولي محموم لأجل النفوذ، 5/10/2017م، على الرابط: WWW.aljazeera.net
45. شادي خليفة، الخليج الجديد، «لماذا تبني كل من الصين والسعودية قواعد في جيبوتي، 28 سبتمبر / 2016م، <http://thenewkhalij.org/ar/node/47119>
46. علاء الدين أغا، الصين في افريقيا.. مسرح عسكري مختلف، 24 يوليو 2017م، على الرابط: <https://elbadil-pss.org>

دور المنظمات الإنسانية في معالجة آثار الهجرة القسرية (دراسة حالة السودان 2019م)

د. غادة الهادي يوسف أحمد

أستاذ مساعد - كلية العلوم البيئية وإدارة المخاطر الكوارث - جامعة الرباط الوطني

مستخلص الدراسة

تعدّ الهجرة وانتقال الإنسان من مكان لآخر واحدة من الظواهر القديمة قدم البشرية نفسها، بحكم أن الإنسان دوماً وأبداً يبحث عن ظروف أفضل للعيش فيه، وفي العصر الحديث ونتيجة للتغيرات السياسية والطبيعية والأمنية خاصة في القارة الأفريقية فقد دفعت تلك الظروف بالكثير من الجماعات لطرق باب الهجرة غير الشرعية للحصول على المكاسب التي ذكرناها وفي سبيل الخروج من الأوضاع الإنسانية التي تعيشها البلدان المصدرة لتلك الهجرات، ولهذه الهجرات القسرية وغير الشرعية الكثير من الآثار التي تترتب عليها، ولهذا فهذه الدراسة تختص بالبحث عن دور المنظمات الإنسانية في معالجة آثار الهجرة القسرية في السودان، لأن تحديات الهجرة القسرية ليست تحديات أحادية الجانب أو ثنائية بل تحديات تعاني منها كل دول العالم، وبالتالي فإن مسؤولية التصدي لها لا تقع علي عاتق السودان وحده بل بتضافر الجهود الدولية والاقليمية، وبالرغم من أوضاع السودان وتدهور الوضع الاقتصادي والأمني فيه فإنه يعتبر الثامن عالمياً من حيث استقبله للاجئين حيث بلغ عددهم 1.2 مليون لاجئ، هدفت الدراسة لإلقاء الضوء علي أبعاد مشكلة الهجرة القسرية في السودان، إبراز أنواع وحجم المساعدات المقدمة من المنظمات الإنسانية لمعالجة مشكلة اللاجئين والنازحين، الخروج بتوصيات تساهم في تخفيف مشكلات الهجرة القسرية، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ومنهج دراسة الحالة، توصلت الدراسة لعدة نتائج من أهمها: أن مشكلة النزوح الداخلي هي مشكلة عالمية لا يعاني منها السودان وحده، حيث بلغ عدد النازحين داخلياً حوالي 40.3 مليون شخص جراء النزاع والعنف في (56) دولة وإقليمياً بحلول نهاية 2016 م، تشكل مشكلة الهجرة القسرية ضغطاً شديداً على الموارد المحدودة بالسودان مما يتطلب جهوداً أكبر من المجتمع الدولي ممثلاً في المنظمات الإنسانية لحل أو التخفيف من حدة المشكلة، أثر بند الانقطاع سلباً على مقدرة السودان في التعامل مع مشكلة اللاجئين والنازحين، تزايد عدد النزاعات المسلحة والكوارث الطبيعية أدى الى زيادة حجم الهجرة القسرية في العالم، توصي الدراسة بالتالي: على المنظمات الإنسانية دعم جهود السودان في إيجاد نظام معلومات يستطيع من خلاله حصر أعداد المتأثرين من الهجرة القسرية وأماكن تواجدهم، ضرورة مزيد من التعاون بين

منظمات العمل الإنساني وأجهزة الدولة المختصة فيما يتعلق بالهجرة القسرية، النظر في بند الانقطاع الذي أثر كثيراً على مقدرة الدولة في توفير الاحتياجات داخل معسكرات اللاجئين بشرق السودان.

Abstract

Immigration and the movement of people from one place to another is one of the ancient phenomena of mankind itself, by virtue of the fact that man is always and forever looking for better conditions to live in, and in the modern era and as a result of political, natural and security changes, especially in the African continent, these conditions have pushed many groups to forcibly Immigrate fearing their lives and looking for better life.

The study is concerned with searching for the role of humanitarian organizations in addressing the effects of forced migration in Sudan, because the challenges of forced migration are not unilateral or bilateral challenges but challenges that all countries of the world suffer from, and therefore the responsibility to address them does not lie with Sudan alone, but with the concerted international and regional efforts ,despite Sudan's situation and the deteriorating economic and security situation in it, it is considered the eighth global in terms of receiving refugees, as they numbered 1.2 million refugees. Therefore, the study aimed to focuses on the dimensions of the problem of forced migration in Sudan, highlighting the types and size of aid provided by humanitarian organizations to address the problem of refugees and displaced persons in the country, come out with recommendations that contribute to manage the problems of forced migration, the study used the descriptive, analytical and the case study approach. The study reached several results, the most important of which are: that the problem of internal displacement is a global problem that Sudan alone does not experience, as the number of displaced people around the world within the year 2016 reached about 40.3 million people fleeing violence and conflicts.

The problem of forced migration is putting a severe strain on the limited resources in Sudan, which requires greater efforts from the international community represented in humanitarian organizations to solve or reduce the severity of the problem, the cessation clause negatively affected Sudan's ability to deal with the refugee and displaced problem. The study recommends the following: Humanitarian organizations should support Sudan's efforts to establish information system through which to trace the numbers of those affected by forced migration and their whereabouts, the need for more cooperation between humanitarian organizations and the competent state agencies regarding forced migration, to consider the cessation clause by international community , that greatly affected the state's ability to provide needs inside refugee camps in eastern Sudan.

المقدمة العامة:

الهجرة ظاهرة قديمة لكنها أصبحت السمة السائدة اليوم، وتختلف مسمياتها حسب دوافعها ومسبباتها، فنجد هنالك الهجرة الاقتصادية، الهجرة من أجل طلب العلم و الهجرة القسرية (اللجوء و النزوح)، ومهما اختلفت الأسباب أو الدوافع للمهاجر فأن الأثر النفسي، الاجتماعي، الاقتصادي والأمني يشكل عبئاً كبيراً عليه، وعلى المجتمع المضيف، كما أصبحت الهجرة تشكل ضغطاً على موارد دول المهجر التي أصبحت بطبيعة الحال غير كافية لمواطنيها، وهذا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالهجرات القسرية نتيجة الكوارث الطبيعية أو كوارث النزاعات التي ينتج عنها تدفقات كبيرة من اللاجئين والنازحين الهاربين من ويلات الحروب وانعدام سبل العيش الكريم والأمن.

وتحديات الهجرة القسرية ليست تحديات أحادية الجانب أو ثنائية بل تحديات تعاني منها كل دول العالم، وإن اختلفت درجة الحدة من دولة الي أخرى، وبالتالي فإن مسؤولية التصدي لها لا تقع علي عاتق السودان وحده بل بتضافر الجهود الدولية والاقليمية، وبالرغم من تعدد التحديات التي تواجه البلاد وتدهور الوضع الاقتصادي والأمني فإن السودان يعتبر الثامن عالمياً من حيث استقباله للاجئين من الدول المجاورة (دولة جنوب السودان، ارتريا، أثيوبيا... الخ) ومن خارج القارة الافريقية (دولة فلسطين، سوريا) حيث بلغ عدد اللاجئين 1.2 مليون لاجئ (اوتشا 2018م).

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الاعداد الكبيرة للاجئين و النازحين في السودان في ظل تدهور الوضع الاقتصادي الذي ادي الي فرض عبء اضافي علي الدولة للوفاء باحتياجات المواطنين واللاجئين والنازحين علي حد سواء مما انعكس سلباً علي مستوي المعيشة وتوفير الخدمات الأساسية في البلاد مثل التعليم، الصحة، خدمات المياه والاوزاع الأمنية مع ضعف المساعدات التي تقدمها المنظمات الانسانية لحل الازمة.

أ/ أهداف الدراسة:

- تهدف الدراسة البحثية إلى عكس الحجم الحقيقي لمشكلة الهجرة القسرية في السودان ودور وكالات ومنظمات الأمم المتحدة والمنظمات الانسانية في التعامل معها وذلك عبر.
1. إلقاء الضوء علي أبعاد مشكلة الهجرة القسرية في السودان.
 2. إبراز أنواع وحجم المساعدات المقدمة من المنظمات الانسانية لمعالجة مشكلة اللاجئين والنازحين
 3. الخروج بتوصيات تساهم في تخفيف مشكلات الهجرة القسرية.

ب/ أهمية الدراسة:

1. تأتي أهمية الدراسة من التالي:
1. أنها تحاول أن تقف على بعض المشكلات التي تؤرق الدول والمجتمعات ألا وهي ظاهرتي اللجوء والنزوح.
2. الوقوف على بعض المفاهيم والتعريفات المرتبطة بهذه الدراسة.
3. تحاول أن تعدد المنظمات الانسانية الدولية والإقليمية والمحلية العاملة في مجال تقديم المساعدات للاجئين والنازحين.
4. تعمل على توضيح الاحتياجات الفعلية للاجئين والنازحين في مختلف أنحاء السودان.
5. تتلمس الآثار التي تتركها موجات الهجرة القسرية على الواقع السوداني.

ت/ منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ومنهج دراسة الحالة، كما اعتمدت على التقارير والمصادر الأساسية.

ث/ أسئلة الدراسة:

تشير الدراسة التساؤل الرئيسي التالي:
إلى أي مدى يمكن القول بأن المنظمات الانسانية لها دور واضح في معالجة آثار الهجرة القسرية بالسودان؟

الأسئلة الفرعية:

1. هل يعاني السودان من تدفق موجات من اللاجئين والنازحين؟
2. هل لتلك الموجات من اللاجئين والنازحين آثار على السودان في بعض الجوانب؟
3. ماهي الدول التي تمثل رافداً لتلك المجموعات اللاجئين في السودان؟
4. ما هي الاحتياجات الحقيقية لأولئك اللاجئين والنازحين؟
5. ما هي المنظمات الدولية والإقليمية والمحلية الانسانية التي تعمل في مجال تقديم العون والدعم بمختلف أنواعه لأولئك اللاجئين والنازحين؟
6. ما هي التحديات التي تواجه السودان في التعامل مع ظاهرتي اللجوء والنزوح؟

ج/ فروض البحث:

تنطلق الدراسة من الفرضيات التالية:

1. المساعدات التي تقدمها المنظمات الانسانية للدولة غير كافية لحل مشاكل الهجرة القسرية.
2. تشكل الهجرة القسرية ضغطاً شديداً علي الموارد والخدمات الأساسية في السودان.

3. تقليص المساهمات الدولية لدعم اللاجئين أثر تأثيراً كبيراً علي مقدرة السودان في تحسين الأوضاع في المناطق المتأثرة باللجوء والنزوح.
4. ضعف الوعي والخدمات الانسانية والأمنية بمعسكرات اللاجئين والنازحين أدى الي انتشار جرائم الاتجار بالبشر.

المحور الأول: المفاهيم المرتبطة بموضوع الدراسة:

هنالك الكثير من المفاهيم المرتبطة بمحور الدراسة والتي يجب تعريفها وتتمثل في التالي:

أ/ المنظمات الانسانية: لا يوجد تعريف محدد حول المنظمات الانسانية في البحوث والدراسات الخاصة بالموضوع فقد ذهب الكثير من العلماء والكتّاب الى تعريف المنظمات الدولية بصورة عامة دون تعريف محدد للمنظمات الانسانية ومن خلال ماذكر من تعريفات خرج الباحث بالتعريف التالي للمنظمات الانسانية (... أنها ذلك الكيان القانوني الدائم الذي تقوم الدول بإنشائه من أجل تحقيق أهداف مشتركة، تسعى إلى تقديم العون الانساني والحماية للمجتمعات البشرية المتضررة جراء الكوارث الطبيعية ومن صنع الانسان مثل الحروب والنزاعات المسلحة ويلزم لبلوغها منح هذا الكيان إرادة ذاتية مستقلة تم التعبير عنها بأجهزة خاصة ينشئها ميثاق المنظمة مثال لذلك المفوضية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، برنامج الغذاء العالمي، منظمة الصحة العالمية، اللجنة الدولية للصليب والهلال الأحمر. ..)

ب/ اللجوء: اللجوء بمفهومه الحديث يؤرخ له بالربع الاول من القرن العشرين حينما كان العالم يقاسي من عواقب الحرب العالمية الأولى والثورة الروسية وانهيار الامبراطورية العثمانية، حيث أدت هذه الأحداث الي وجود تحركات سكانية كبيرة في أوروبا وآسيا الصغرى مما أدى إلى لجوء اعداد كبيرة الي الدول المجاورة لطلب الحماية، حينها عهد إلى عصبة الامم بحماية أولئك اللاجئين وايجاد حلول لمشكلتهم لتتولي المنظمة الدولية لشؤون اللاجئين ذلك حينها قام المفوض السامي لشؤون اللاجئين فريدجوف نانسن في عام 1922م بتقديم وثيقة سفر نانسن والتي تعتبر أول وثيقة سفر للاجئين معترف بها دولياً لتيسر إعادتهم إلى أوطانهم أو اقامتهم في بلد آخر (تهاني، 2004م).

ت/ الاجئين: عرّفته الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين في مؤتمر الأمم المتحدة للمفوضين بشأن اللاجئين وعديمي الجنسية الذي دعت له الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي انعقد بمقتضى قرارها رقم 429 (5د-) بتاريخ 14 ديسمبر 1950م بأنه يطلق لفظ اللاجئ (... علي أي شخص يوجد نتيجة لأحداث وقعت قبل 1 يناير 1951م بسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو آرائه السياسية خارج البلد الذي يحمل جنسيته ولا يريد أو لا يستطيع بسبب ذلك الخوف أن يستظل بحماية ذلك البلد، أو كل شخص لا يملك جنسية ويوجد خارج بلد إقامته المعتادة السابق نتيجة مثل تلك الأحداث ولا يستطيع أو لا يريد

بسبب ذلك الخوف أن يعود إلى ذلك البلد...).

ث/ النزوح: عُرِفَ النازحون داخلياً بأنهم أشخاص أُجبروا على النزوح من ديارهم مع بقائهم داخل حدود بلادهم، وتتمثل الخصائص الرئيسية للنزوح الداخلي في طبيعته القسرية وحقيقة أن السكان المتأثرين لا يعبرون الحدود المعترف بها دولياً، خلافاً للاجئين الذين فروا عبر الحدود وبالتالي لم يعودوا تحت حماية وطنهم الأصلي (اوتشا، 2010م).

ج/ النازحون: حسب المبادئ التوجيهية بشأن النزوح الداخلي التي تحدد الحقوق والضمانات المتصلة بحماية النازحين داخلياً يقصد بهم (... الأشخاص أو مجموعات الأشخاص الذين أكرهوا على الهرب أو على ترك منازلهم أو أماكن إقامتهم المعتادة أو اضطروا إلى ذلك، ولا سيما نتيجة أو سعيًا لتفادي آثار نزاع مسلح أو حالات عنف عام الأثر أو انتهاكات حقوق الإنسان أو كوارث طبيعية أو كوارث من فعل البشر ولم يعبروا الحدود الدولية المعترف بها للدولة...) (مركز رصد النزوح الداخلي 2009م:13).

ح/ الهجرة القسرية: ارتبط مفهوم الهجرة القسرية بالظروف الاضطرارية القاهرة التي تدفع بالأفراد أو الجماعات ترك موطنهم الأصلي والنزوح أو اللجوء الي مكان آخر أكثر أماناً، ومن أسباب الهجرة القسرية النزاعات المسلحة، الحروب والاضطرابات الأمنية، الاضطهاد والنزاعات الطائفية بسبب العرق، الدين أو التوجه السياسي، كما أن الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات، الزلازل، البراكين، التصحر والتغيرات المناخية، والكوارث من صنع الانسان من الأسباب الشائعة للهجرة القسرية، وهناك أيضاً التهجير بسبب التنمية مثال لبناء السدود، وتكون الهجرة القسرية هجرة داخلية، من مدينة إلى مدينة أخرى أو من قرية الي مدينة.

خ/ الكارثة: هي أي أحداث ضارة (أي ضرر) يكون نتيجة لوجود خطر (Hazard) مهدد للحياة والمعيشة والبيئة والممتلكات والبنيات الأساسية ولم يتمكن المتضرر (الفرد أو الأسرة أو المجتمع) من احتوائه ويكون في حاجة للمساعدة الخارجية، كما أن هنالك من يعرف الكارثة بأنها حالة مدمرة ينتج عنها أضرار سواء أكانت مادية أو غير مادية أو كلاهما معاً، كما يوجد تعريف ثالث للكارثة بأنها تعطيل لحركة العمل في مجتمع ما وتتسبب في خسائر بشرية ومادية وبيئية تتعدى طاقة المجتمع المصاب وقدرته في التعامل معها من خلال موارده الذاتية، وبإيجاز عرّف قانون البيئة 94/4 الكارثة بأنها (... الحدث الناجم عن عوامل الطبيعة أو فعل الانسان والذي يترتب عليه ضرر شديد وتحتاج مواجهتها إلى امكانيات تفوق القدرات المحلية. ..) (غريب، 1998م).

د/ المشاشة: يمكن فهم الهشاشة على أنها حالات مفاجئة أو دورية تؤدي فيها إحدى عوامل المخاطر الخارجية أو الداخلية أو أكثر إلى تفاقم عدم الاستقرار السياسي والضعف

الاجتماعي أو الاقتصادي القائم أو الناشئ، وترتبط الهشاشة بشكل شائع مع الحالات التي تتضمن النزاع المسلح وفي العديد من النطاقات تعتبر الدول الخاسرة في فترة ما بعد انتهاء النزاع خلال التسعينيات من القرن العشرين اليوم على أنها دول هشة تحتاج إلى تثبيت حالتها (منظمة العمل الدولي، 2016م).

المحور الثاني: آثار الهجرة القسرية على السودان:

أ/ موقع السودان: تقع جمهورية السودان شمالي شرقي القارة الأفريقية، وتبلغ مساحتها مليوناً و881 ألف كيلومتر مربع، بعد أن فقدت 25% من مساحتها بعد انفصال الجنوب لتتراجع بذلك من المرتبة الأولى في أفريقيا إلى المرتبة الثانية بعد الجزائر، وإلى المرتبة الثالثة عربياً بعد الجزائر والسعودية، تجاور السودان سبع دول هي جنوب السودان بعد انفصالها عن السودان في يوليو/تموز 2011م، إريتريا، إثيوبيا، أفريقيا الوسطى، تشاد، ليبيا ومصر، ويبلغ طول الشريط الحدودي بين السودان وإثيوبيا 725 كيلومتراً، ومع أفريقيا الوسطى 380 كيلومتراً (منظمة الامم المتحدة، 2012، ص:1)

ب/ اللاجئين في السودان: للسودان تاريخ طويل في استضافة اللاجئين وعلى مدى عقود أبقت البلاد أبوابها مفتوحة أمام الأشخاص الفارين من الحروب والمجاعات وما زالت تستضيف اللاجئين القادمين من إريتريا وسوريا واليمن وتشاد وبلدان أخرى، كما أن السودان أصبح إحدى الدول الرئيسية المستضيفة للاجئين الفارين من الصراع الدامي في جنوب السودان. ويستفيد اللاجئون القادمون من جنوب السودان من توسيع الحكومة لحرية العمل والتحرك، ومن الدعم السخي الذي تقدمه المجتمعات المضيفة بالرغم من خضوعها لضغوط هائلة لتقاسمها الموارد الشحيحة أصلاً مع اللاجئين (UNHCR, 2019)، هذا وقد صنفت أوروبا السودان باعتباره من أكثر الدول الأفريقية التي تلعب دوراً محورياً في "تصدير اللاجئين من أفريقيا إلى أوروبا، وذلك بحكم موقعه الجغرافي وحدوده الممتدة المجاورة لسبع دول، كما أن تباين الأعراق والقبائل فيه وتداخلها مع أعراق وقبائل الدول المجاورة سهل من استغلال بعض مواطني تلك الدول للأمر من أجل طلب اللجوء باسم بعض القضايا مثل مشكلة دارفور والصراع الدائر فيه

وتزايدت أعداد الأجانب في السودان بشكل غير مسبوق في السنوات القليلة الماضية من دول الجوار بسبب الصراعات والحروب والنزاعات والفقر والبطالة وطلب الهجرة واعتبار البلاد ممر عبور، مما حمل السودان أعباء كبيرة انعكست على مستوى معيشة المواطن السوداني ومستوى الخدمات المقدمة له، ونتج عن ذلك ارتفاع معدلات الجريمة واتساع نطاق جريمة الاتجار بالبشر وتشير آخر تقديرات للمفوضية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة إلى أن عدد اللاجئين وطالبي اللجوء في السودان قد وصل نصف مليون شخص كما تؤكد

المفوضية أن للسودان تاريخ راسخ على صعيد حسن ضيافة اللاجئين وطالبي اللجوء (منظمة الأمم المتحدة، 2012، المادة:13).

ت/ آثار اللجوء: في مقابله مع معتمد اللاجئين السابق م. حمد الجزولي مروة في (2019/3/28م، في اللقاء الاذاعي ببرنامج نفيير الهجعة /إذاعة ساهرون) أفاد المعتمد أن المشاكل المتعلقة باللاجئين داخل البلاد تتمثل في الجوانب التالية:

1. المشاكل الأمنية ومن أبرزها التهريب والاتجار بالبشر الذي تمارسه بعض الشبكات والعصابات وسط اللاجئين بالمعسكرات والمخدرات وغيرها من المشكلات.
2. الأمية والجهل وسط المهاجرين.
3. المشكلات والأمراض الاجتماعية الناتجة عن اختلاف العادات والتقاليد والاختلاط داخل المعسكرات.

4. التسرب من المعسكرات داخل المدن لكسب سبل العيش.
- كما أوضح معتمد اللاجئين احتياج الدولة لجهود المنظمات الانسانية الدولية والإقليمية والوطنية للعمل معها في المجالات الآتية لخدمة اللاجئين:

1. توفير خدمات التعليم داخل المعسكرات.
 2. رفع الوعي الصحي والمجتمعي للاجئين داخل المعسكرات.
 3. توفير وسائل كسب العيش ومعينات العمل للاجئين.
 4. التدريب والتطوير المستمر لمهارات اللاجئين عن طريق توفير مراكز للتدريب المهني داخل المعسكرات.
 5. الاسهام في تحسين بيئة المعسكرات من ناحية توفير السكن المناسب الذي يضمن حماية اللاجئ، من خلال توفير خدمات المياه الصالحة للشرب، الخدمات الصحية، المواد الغذائية الضرورية والدعم النفسي والاجتماعي.....الخ.
- من ناحية اخرى تحدث معتمد اللاجئين عن مجهودات الدولة في تحسين أوضاع اللاجئين المتمثلة في:

1. انشاء المجلس الأعلى للهجرة برئاسة نائب رئيس الجمهورية.
2. تعديل قانون اللجوء السوداني لسنة (1974م) لقانون 2014 م ليشمل (33) مادة بدلاً عن (15) مادة وادخلت فيه مواد خاصة بمنع الاتجار بالبشر وواجبات وحقوق اللاجئين.
3. تعديل قانون الجوازات.
4. تكوين اللجنة الوطنية لمكافحة التهريب والاتجار بالبشر.
5. إنشاء القوات المشتركة بين السودان وتشاد لمحاربة الاتجار بالبشر.
6. استضاف السودان المؤتمر الخاص بمكافحة التهريب والاتجار بالبشر والذي سميت توصياته

بعملية الخرطوم والتي من ضمنها مطالبة الاتحاد الأوروبي بدعم وتحسين بيئة المعسكرات وتوفير مراكز تدريب للأعمال الحرفية.

المحور الثالث: أوضاع اللاجئين والنازحين بالسودان:

أ/ اللاجئون بالسودان:

أوضح التقرير المقدم من حكومة السودان للجنة المعنية بحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة بتاريخ 21 سبتمبر 2012م المادة (13) من الفقرة(117) إلى الفقرة (126) ولخص أوضاع اللاجئين في السودان كما يلي:

1. اللجوء في السودان واحد من المواضيع المهمة التي تشغل المجتمع الوطني والدولي، وقد تطاول عمراً إذ يمتد لأكثر من أربعة عقود خلت وتداخلت معه التداعيات التي أفرزها وجود اللاجئين المزمّن لذا فإن السودان كان وما زال واحداً من اعرق الدول التي تفاعلت واحتضنت حركة اللجوء بقناعات تمتد من قيم دينه الحنيف ورسوخ أعراف وتقاليد وموروثات المجتمع السوداني سابقين بتلك القيم والأعراف والتقاليد والموروثات الموثيق الدولية والإقليمية المنظمة لأوضاع اللاجئين كالاتفاقية المتعلقة بمركز اللاجئين لعام 1951م والبروتوكول الملحق بها لعام 1967م واتفاقية منظمة الوحدة الأفريقية لعام 1969م والتي تحكم الأوضاع الخاصة باللاجئين في أفريقيا، بل كان السودان أول دولة أفريقية أصدرت قانون تنظيم اللجوء وذلك في عام 1974م، كما كان للسودان مشاركات ومساهمات واسعة في عدد من المجالات لتطوير تلك الاتفاقيات والبروتوكولات والقوانين لتواكب مستجدات حركة اللجوء.

2. يعتبر السودان من أكبر المانحين في مجال اللجوء واللاجئين حيث قام بتوفير الأراضي السكنية والزراعية ومناطق الرعي للاجئين، كما قام بتوفير الأمن وتقديم الخدمات لهم من خلال مشاركات اللاجئين للمواطنين في الخدمات التي تقدمها الدولة لمواطنيها رغم شح الإمكانيات، كما أنشأت الدولة معتمدية اللاجئين كجهاز حكومي يقوم برعاية وحماية ومساعدة اللاجئين ووضع الخطط والسياسات الخاصة بذلك بالتعاون والتنسيق مع الجهات ذات الصلة، كما وافقت الدولة على تأسيس مكتب للمفوض السامي لشؤون اللاجئين بالخرطوم وفتح فروع لهذا المكتب في عدد من الولايات بالبلاد.

3. ارتكزت تجربة السودان في مجال اللاجئين على العناصر الآتية:

أولاً: التعاون الدولي والإقليمي خاصة مع الدول المصدرة للاجئين وذلك وفقاً لما تنظمه الاتفاقيات والقوانين واعتبار أن منح اللجوء مسألة إنسانية ومدنية.

ثانياً: إدارة حالات الطوارئ للهجرات عند وقوع الكوارث والنزاعات وظروف عدم الاستقرار في الدول المجاورة.

ثالثاً: إعداد وتنظيم مراكز استقبال لطالبي اللجوء وإنشاء معسكرات لرعاية اللاجئين لأغراض الإعاشة وتقديم الخدمات الضرورية وتوفير العمل والاكتفاء الذاتي.

رابعاً: التركيز على الانتقال باللاجئ من مرحلة استقبال الإعانات إلى مرحلة التنمية وذلك باعتماد سياسة الاكتفاء الذاتي، وفي هذا الإطار قام السودان بالتعاون مع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين وكثير من الدول والمنظمات بإنشاء مشروعات عديدة هدفت إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس للاجئ مثل مشاريع منظمة العمل الدولية، مشروع التسليف الدائري ومشروعات المناطق المتأثرة بوجود اللاجئين ولكنها انهارت لأسباب سياسية خارجية.

خامساً: البحث مع المفوضية السامية لإيجاد الحلول الدائمة لمشكلات اللجوء واللاجئين والتي تتمثل في العودة الطوعية وإعادة التوطين في بلد ثالث أو الإدماج المحلي.

سادساً: الإشراف على عودة اللاجئين السودانيين من دول الجوار.

ب/ الوضع الراهن للاجئين بالسودان:

١. اللاجئين بالمعسكرات والمدن:

أولاً: يبلغ عدد معسكرات اللاجئين بالسودان (15) معسكراً، حيث يوجد (8) معسكرات بولايتي القضارف وكسلا و(4) معسكرات بولايتي الجزيرة وسنار و(3) معسكرات بولاية غرب دارفور.

ثانياً: يبلغ أعداد اللاجئين المسجلين بالمعسكرات حوالي (85,374) تفاصيلهم كالآتي:

- (64,413) لاجئ يقيمون بمعسكرات اللاجئين بشرق السودان (ولاية كسلا والقضارف)، وعدد (2,298) لاجئاً في معسكرات الولايات الوسطى (ولاية سنار والجزيرة) وعدد (18,636) لاجئ يقيمون بمعسكرات اللجوء بولاية غرب دارفور.
- أما اللاجئين الذين يقيمون بالمدن والمناطق الحضرية خارج المعسكرات فيقدر عددهم بحوالي (150,000) لاجئ، وهذا العدد من اللاجئين لا تقدم لهم أي مساعدات من قبل المجتمع الدولي ويعتمدون على مشاركة المواطن في الخدمات الاجتماعية العامة في المدن رغم شح تلك الخدمات.

جدول (1): يوضح أعداد اللاجئين حسب الاحصاء الأخير لمعتمدية اللاجئين (2019م)

الرقم	الدولة المصدرة للاجئين	اعداد اللاجئين	اماكن اقامتهم بالسودان
1	دولة جنوب السودان	274,5511,	ولاية جنوب - غرب و شمال كردفان، ولاية النيل الأبيض، شمال شرق -جنوب دارفور، ولاية الخرطوم، النيل الازرق، سنار، البحر الاحمر، كسلا، القضارف، الجزيرة وعدد من الولايات الأخرى
2	دولة ارتريا	121,300	ولاية كسلا، القضارف، البحر الاحمر
3	اثيوبيا	13,604	ولاية كسلا، القضارف، البحر الاحمر
4	دولة تشاد	4,300	شرق وجنوب دارفور
5	دول افريقيا الوسطي	4,297	شرق وجنوب دارفور
	المجموع	1,417,748	

المصدر: معتمدية اللاجئين الخرطوم 2019م.

ت/ التحديات التي تواجه الدولة:

هنالك الكثير من المشكلات والمعوقات التي تعترض تقديم المساعدات من قبل دولة السودان لهذا العدد الكبير من اللاجئين، ومن المعلوم أنه قد ترتب على تنفيذ قرار وقف المساعدات الدولية (بند الانقطاع) عن اللاجئين الأثيوبيين والارتريين من قبل المفوضية السامية لشؤون اللاجئين إغلاق بعض معسكرات اللجوء ودمجها في معسكرات أخرى دون دراسة كافية لكيفية تسيير حياة هؤلاء اللاجئين ودون إيجاد بدائل عادلة مما جعل أغلبية اللاجئين بالمعسكرات المغلقة يتجهون نحو المدن الكبرى بحثاً عن العمل والاستقرار.

ونتيجة لتواصل تدفقات طالبي اللجوء على الحدود الشرقية من دول الشرق المجاورة للسودان في كل من ولاية كسلا، القضارف، البحر الأحمر والولايات الوسطى، مع استمرار المفوضية السامية لشؤون اللاجئين في سياسة تجفيف معسكرات اللاجئين من الخدمات الأساسية وذلك باعتمادها لموارد مالية ضعيفة لا تفي بالغرض المطلوب للخدمات مما أدى إلى شح وتدني في الخدمات الإنسانية بالمعسكرات (مياه، صحة، تعليم، غذاء، الخ) حيث أصبح الوضع القائم في معسكرات اللاجئين بولاية كسلا غير مشجع لبقاء لأسباب عديدة أولها أن معظم اللاجئين في الآونة الأخيرة من فئة الشباب القادمين من المدن الرئيسية ومن المتعلمين الذين لديهم تطلعات كبيرة في حين أن المعسكرات قائمة في مناطق ريفية نائية تتعدم فيها كل صور الحياة المدنية ويصعب التحكم فيها ورقابتها بصورة فاعلة، إضافة إلى تدني الخدمات الضرورية التي تقدم للاجئين سواء كانت في المعسكرات القديمة أو في معسكر الشجرات للاجئين الجدد مما جعل هذه المعسكرات طاردة للاجئين وهذا مما يدفعهم للتسلل نحو المدن بحثاً عن أوضاع

معيشية أفضل أو الوقوع ضحية عصابات الاتجار بالبشر، لكل ما سبق فتتمثل التحديات التي تواجه السودان في التعامل مع أولئك اللاجئين في التالي:

1. ظاهرة الهجرة غير الشرعية التي أدت إلى ظهور عصابات منظمة تعمل في مجال التهريب والاتجار بالبشر والتي يبدأ نشاطها من داخل دول القرن الأفريقي إلى داخل السودان.
2. التدهور البيئي في المناطق المتأثرة بوجود اللاجئين وعدم إيفاء المجتمع الدولي بالتزاماته تجاه البرامج الموقعة لمعالجة أوضاعهم.
3. الآثار الاقتصادية والاجتماعية والأمنية والصحية للاجئين خاصة الذين يتواجدون بالمدن ولا يتلقون أي مساعدات من المجتمع الدولي وإنما يشاركون المواطنين في خدماتهم التي توفرها لهم الدولة رغم شحها وقلتها.
4. عدم توفر إحصائية حقيقية بأعداد اللاجئين.
5. رغم قيام عدة ورش عمل خاصة بموضوع الإدماج المحلي للاجئين في المجتمعات المحلية إلا أنه لم يتم التوصل إلى سياسة واضحة في هذا الشأن، ولما صار المجتمع الدولي يضغط في هذا الاتجاه أصبح من الضروري الآن أن تكون هناك سياسة واضحة للسودان فيما يتعلق بإدماج اللاجئين في المجتمع المحلي.
6. هذا وتتمثل مجهودات معتمدية اللاجئين للحد من تلك المشكلات في الآتي:
7. العمل مع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين والمجتمع الدولي على تحسين أوضاع الخدمات للاجئين بالمعسكرات.
8. السعي لدى المفوضية السامية والمجتمع الدولي في مكافحة عمليات التهريب والاتجار بالبشر من خلال قيام ورش عمل للتنوير بمخاطر الهجرة غير الشرعية وتوفير المعينات التي تساعد في محاربة عصابات التهريب والاتجار بالبشر.
9. العمل مع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين لتنفيذ مشروعات الاعتماد على الذات للاجئين بالمعسكرات والتي تشمل ما يلي:

أولاً: الزراعة المطرية والمروية وذلك بتوفير الآليات الزراعية وتجهيز الأراضي والتقايي والأسمدة.

ثانياً: الإنتاج الحيواني.

ثالثاً: الأعمال الصغيرة وتنمية المهارات مثل الحدادة والسباكة والكهرباء وميكانيكا السيارات والبناء والتشييد وبرامج الحاسوب.

رابعاً: النشاط النسوي والذي يتمثل في ممارسة أعمال الحياكة والخياطة والسعف.

خامساً: البحث مع المفوضية السامية لتفعيل الحلول الدائمة لمشكلات اللجوء واللاجئين

وذلك من خلال استئناف برامج العودة الطوعية للراغبين من اللاجئين الأثيوبيين والإريتريين، كما أن هنالك مساعي مع المفوضية السامية والمانحين لزيادة فرص إعادة توطين اللاجئين في بلد ثالث.

سادساً: بحث عدالة وتكافؤ اقتسام التبعات الاقتصادية والاجتماعية والأمنية للاجئين بين السودان والمجتمع الدولي وذلك بدعم بعض الخدمات الصحية والتعليمية وتأهيل وإعادة تأهيل مشروعات المناطق المتأثرة بوجود اللاجئين في كل الولايات التي تستضيف اللاجئين.

سابعاً: بناء قدرات العاملين بمعتمدية اللاجئين وتأهيلهم وذلك بإيجاد فرص تدريبية داخلية وخارجية لكسب مزيد من الخبرات.

من الملاحظ حسب ما ذكر من معلومات وردت علي لسان الجهات الرسمية والتطوعية المسؤولة عن قضية اللاجئين أن السودان كدولة قدّم ومازال يقدم الكثير من الخدمات والحماية القانونية لهذه الأعداد من اللاجئين، كما أن الموقع الجغرافي لدولة السودان جعلها كدولة ملاذ ومعبر لأعداد كبيرة من اللاجئين من دول الجوار الي أوروبا، علماً بأن هنالك تحديات كثيرة تواجه الدولة في التعامل مع هذه القضية ذكرت من خلال هذه الورقة تحتاج للمزيد من الاهتمام من قبل المجتمع الدولي والمنظمات الانسانية للتعامل معها ودعم الجهود الرامية لحلها.

ث/ النزوح في السودان:

النازحين هم مواطنون سودانيون يتمتعون بكافة الحقوق والواجبات التي كفلها الدستور للمواطنين في جوانب حمايتهم ومساعدتهم وهذا في الأساس مسئولية الدولة مع المساهمات التي يقدمها الشركاء في العون الإنساني الوطني والدولي، ويقدر عدد النازحين في السودان حسب تقديرات مفوضية العون الانساني مثلما هو موجود في الجدول رقم (2) بحوالي (1,900) نازح يقطنون في مدن السودان المختلفة.

جدول (2): يوضح عدد النازحين في السودان ومناطق تواجدهم

الرقم	المناطق المصدرة للنازحين	اماكن اقامتهم حسب الافضلية
1	ولايات دارفور	موزعين علي ولايات السودان المختلفة بالأخص ولاية الخرطوم، ولاية الجزيرة، ولاية سنار، ولاية البحر الاحمر
2	ولاية النيل الازرق	
3	ولايات كردفان	
4	الولايات الشرقية	
اجمالي النازحين في السودان		1,900 نازح

المصدر) مدير مكتب الاجراءات الموحد والاتفاقيات الفنية- مفوضية العون الانساني الاتحادية) مارس (2019) م.

ولمعالجة كافة إشكاليات النازحين تم إنشاء وحدة النزوح والعودة التطوعية عام 2003م بغرض متابعة برامج العودة التطوعية للنازحين، وهو قسم تابع لمفوضية العون الإنساني، وإثر التوقيع على السياسة الإطارية بين حكومة السودان والحركة الشعبية في يوليو 2004م تم الاتفاق على إنشاء وحدتين للنازحين في كل من الخرطوم ورومبيك للتخطيط والتنسيق والمتابعة لبرامج العودة التطوعية للنازحين وفي النصف الثاني من عام 2005م تم ترفيع الوحدة الى مركز قومي للنزوح والعودة الطوعية.

هذا وتتمثل نشاطات المركز القومي للنزوح و العودة الطوعية في تنفيذ البرامج التالية:

1. المشاركة الفاعلة في إعداد السياسة الموحدة للدولة تجاه العودة الطوعية مع الحركة الشعبية في يوليو 2004م والتي أسفرت عن توقيع السياسة الإطارية (Policy Framework)
2. المشاركة الفاعلة في مداولات تفاصيل مذكرات التفاهم التي وقّعت مع كل من منظمة الهجرة الدولية والمفوضية السامية للاجئين بخصوص العودة الطوعية لنازحي دارفور إلى ديارهم.
3. التنسيق مع ولاية الخرطوم والمنظمات العاملة بالولاية للنظر في أمثل الحلول لإدماج النازحين في ولاية الخرطوم بناءً على رغبتهم.
4. القيام بفتح فروع للمركز في كل من مدينة كوستي وبعض مدن الولايات الشرقية.
5. إنشاء مجموعة عمل مشتركة (Task Force) لتنسيق عمليات العودة الطوعية إلى جنوب السودان والمناطق الثلاثة (النيل الازرق، دارفور، جبال النوبة) وتشمل المجموعة وكالات الأمم المتحدة المختلفة وبعض المنظمات الطوعية وتعمل تحت قيادة المركز القومي للنزوح والعودة الطوعية.
6. من أهم الأنشطة التي أنجزها المركز مشروعين لمسح رغبات النازحين في العودة الطوعية أو البقاء في المجتمعات المستضيفة، بالتعاون مع الشركاء في كل الولايات الشمالية.
7. المشاركة في إعداد السياسة القومية للنازحين التي تمت إجازتها من مجلس الوزراء في عام 2004م

ج/ العودة الطوعية المنظمة والمدعومة والعودة الطوعية التلقائية:

1. العودة الطوعية والمرجعيات:
إن أهمية العودة الطوعية تتأكد من خلال المرجعيات التي أمنت على حقهم في العودة الطوعية الى مواقعهم الأصلية وهي:
أولاً: اتفاقية السلام الشامل.
ثانياً: الدستور الانتقالي لحكومة السودان.
ثالثاً: تقرير بعثة الجام.

هذا وقد أمنت كل هذه المرجعيات على حق العودة الطوعية للنازحين واللاجئين من دول الجوار الى مناطقهم الأصلية، وهي مسؤولية مشتركة لحكومتى الوحدة الوطنية وجنوب السودان والشركاء الدوليين، كما أن العودة حسب المواثيق الدولية والدستور السوداني هي عودة طوعية اختيارية وحتى تستند هذه السياسات على أسس موضوعية وللإلزام بحجم المشكلة ورغبة النازحين في العودة الطوعية الى ديارهم الأصلية تم إجراء مسح كشف في عام 2005م والذي أوضح أن عدد النازحين يبلغ حوالي 4.000.000 نازح وتم هذا المسح على أساس العينة العشوائية وهذا الرقم يشمل كل الولايات الشمالية ما عدا دارفور، وكانت نتائج الرغبة في العودة الطوعية كالآتي:

- 66.7% يرغبون في العودة الطوعية.
 - 21.6% يرغبون في البقاء في المجتمعات المستضيفة.
 - 10.9% لم يقرروا بعد.
- أما المسح الثاني فقد طبق في عام 2006م كانت مؤشرات كالآتي:
- 62.07% يرغبون في العودة الطوعية.
 - 25.3% يرغبون في البقاء في المجتمعات المستضيفة.
 - 12% لم يقرروا بعد.
- النازحين وحجم العودة العكسية خاصة في ولاية الخرطوم. (جمهورية السودان، 2008م: 17)

هذا وقد تمكن المركز القومي للنازحين والعائدين من تحقيق عدد من الإنجازات من خلال عدة مشروعات وبرامج للعام 2011م في عدة مجالات أهمها:

1. مشروع العودة الطوعية لدولة جنوب السودان في الفترة من أبريل 2011م وحتى تاريخه وتفصيله كالآتي:

الرقم	نوع الرحلات	عدد الأفراد	عدد الأسر	عدد الرحلات
1	رحلات بالنقل النهري	22.700	5.747	16
2	رحلات بالنقل البري	21.132	4.065	13
3	رحلات بالنقل بالسكة حديد	7.036	1.507	6
	الجملة	50.868	11.319	35

المصدر: المركز القومي للنازحين 2011م.

مشروع العودة الطوعية لنازحي ولاية النيل الأزرق وتفاصيله كالآتي:

الرقم	رقم الرحلة	تاريخ الرحلة	عدد البصات	عدد الأسر	عدد الأفراد	الجهات المشاركة في التنفيذ
1	الأولى	2011/9/16م	5	62	311	المركز القومي للنازحين والعائدين + رابطة المرأة + منظمة الرحاب
2	الثانية	2011/9/21م	1	15	75	المركز القومي للنازحين والعائدين + فاعل خير
3	الثالثة	2011/9/24م	10	142	712	المركز القومي للنازحين والعائدين + منظمة البر والتواصل + منظمة الرعاية والإصلاح
4	الرابعة	2011/10/5م	6	31	283	لجنة الإسناد بمجلس الوزراء
الجملة			22	250	1,381	

المصدر: المركز القومي للنازحين 2011م

الجدول أعلاه توضح مجهودات الدولة بالتعاون مع المنظمات التطوعية في برنامج العودة الطوعية للنازحين حيث بلغ عدد العائدين الي ولاية النيل الأزرق 1,381 شخصاً في العام 2011م.

كما تمّ إجراء مسوحات لمعرفة تواجد النازحين بكل من ولايات البحر الأحمر، القضارف وكسلا لحصرهم ومعرفة رغبتهم في العودة أو الإدماج، كذلك قامت الدولة بإجازة السياسة القومية للنازحين للعام 2011م تعديل عام 2009م والتي حددت المبادئ الأساسية لحقوق النازحين في كافة مراحل النزوح وحددت المبادئ الحاكمة للعمل بين الشركاء كما حددت الأنشطة وآليات العمل.

كما تمّ وضع برامج للعودة الطوعية بولايات دارفور تنفيذاً لاتفاقية الدوحة ولكن هذه البرامج للعودة تواجهها بعض التحديات والتي من بينها التالي:

- استمرار الهجوم من قبل الحركات المتمردة.
- توفير الأمن في مواقع العودة وإجراء المصالحات المحلية.
- توفير الحد الأدنى من الخدمات في مواقع العودة.
- التزام المجتمع الدولي بتعهداته المالية المعلنة.
- إزالة الألغام.
- انتشار الأوبئة ببعض الولايات الجنوبية كالإسهالات المعوية والسحائي الآن مما أدى هذا الى بعض التأخير في الجداول المنظمة لعودة النازحين.
- قصر فترة الجفاف (ديسمبر / مايو) التي لا تمكن من الاستفادة القصوى من النقل البري.

- هناك حاجة لمجهود إضافي لتجهيز المناطق النهائية للعودة حتى يزداد عدد العائدين في كل قافلة خاصة في ولاية جنوب كردفان ودارفور.
- ضيق مواعين النقل النهري والسكة حديد (جمهورية السودان، 2008م).
- ومن خلال ما ورد من معلومات تحدد الاحتياجات الخاصة بالنازحين يمكن للمنظمات الانسانية التدخل لسدها وتوفير ما يلزم لاستدامة عملية العودة التطوعية.

المحور الرابع: الجهود الدولية لمعالجة مشاكل النزوح واللجوء في السودان:

يتناول هذا المحور المجهودات والمساعدات التي تقدمها المنظمات الدولية والإقليمية والوطنية الانسانية لحل مشكلات الهجرة القسرية في السودان، وذلك من خلال:

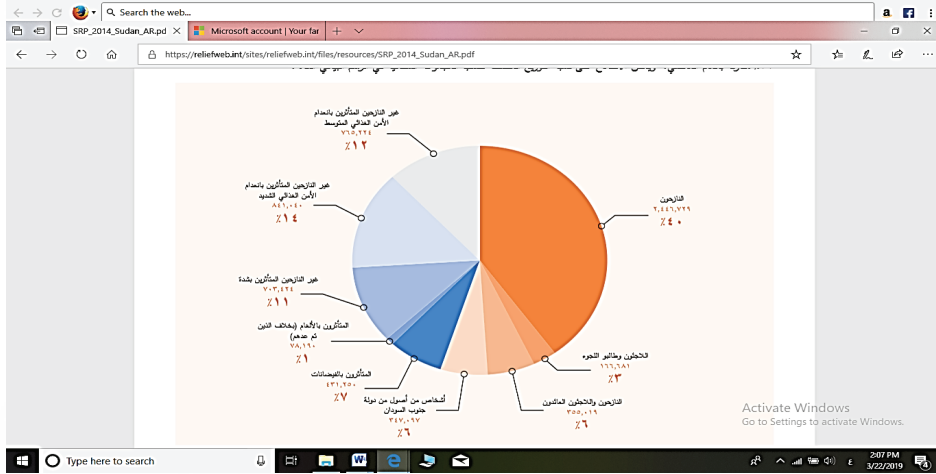
أ/ مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية (أوتشا):

في عام 1996م كلفت الجمعية العامة للأمم المتحدة منسق الإغاثة في حالات الطوارئ بلعب (...) دور محوري في التنسيق المشترك بين الوكالات من أجل حماية ومساعدة النازحين داخلياً.. (قرار الجمعية العامة 51/ 950، 1996م) وقد تعزز هذا التكليف بواسطة مسؤولية منسق الإغاثة بصفته رئيساً للجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات لدعم الاستجابة الفعالة للنزوح الداخلي في الميدان، وهذا الجانب من دور منسق الإغاثة في حالات الطوارئ مهم بشكل خاص لأنه لا توجد وكالة واحدة مسؤولة رسمياً عن النازحين داخلياً، ويوفر مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية (أوتشا) الدعم لمنسق الإغاثة في حالات الطوارئ بعدة طرق للوفاء بهذه المسؤوليات، بما في ذلك المناصرة وإدارة المعلومات ووضع السياسات وتنسيق الأنشطة، وعلى مستوى المقر الرئيسي يدعم مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية (أوتشا) القضايا المتعلقة بالنازحين داخلياً أمام الدول الأعضاء والجهات المانحة ووسائل الإعلام، ويكفل تضمين قضايا النزوح في الإحاطات التي يقدمها منسق الإغاثة في حالات الطوارئ لمجلس الأمن لاتخاذ إجراء بشأنها كما يعمل مع اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات لمعالجة الثغرات في السياسات والترتيبات المؤسسية المتعلقة بالنازحين داخلياً.

وعلى الصعيد الميداني يدعم مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية (أوتشا) المنسق المقيم/ منسق الشؤون الإنسانية في الاستجابة للنزوح الداخلي من خلال أنشطة المناصرة أمام الحكومات ووسائل الإعلام والعاملين في المجال الإنساني، والتوجيه التقني وإدارة المعلومات وعمليات التنسيق المشترك، ولمنع التهجير القسري يدعو مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية (أوتشا) لاحترام القانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان والتقيد بهما، كما أن مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية (أوتشا) يدعم ويؤيد دمج مخاطر النزوح في خطط التأهب والطوارئ ويأخذ زمام المبادرة في التصدي لتحديات الوصول إلى النازحين داخلياً، بما في ذلك التفاوض مع الأطراف

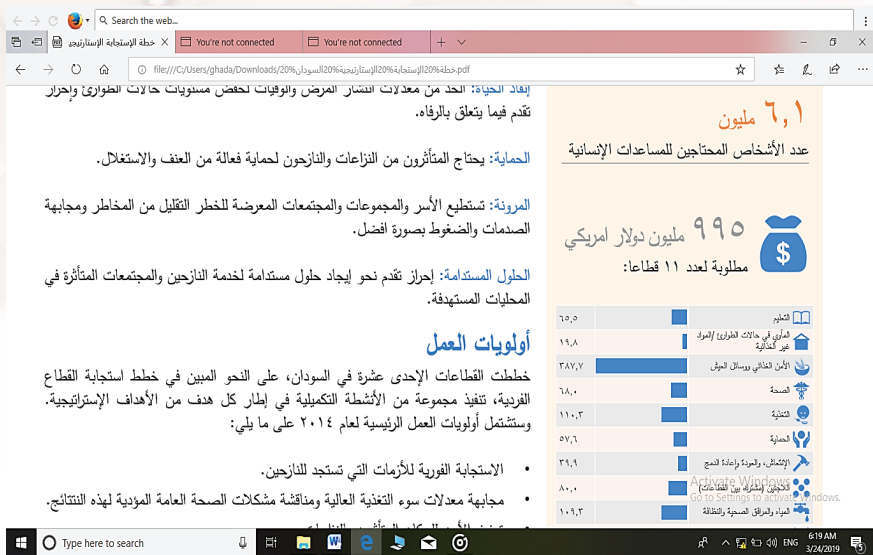
المعنية من أجل تأمين وصول المساعدات الإنسانية، ويدعم أيضاً الموضوعات المتعلقة بالرصد والإبلاغ عن قضايا النازحين داخلياً، ويؤيد الاستجابة المبدئية للنزوح الداخلي من قبل جميع الأطراف ذات الصلة ويشارك مشاركة فعالة في مجموعة الحماية (أوتشا 2010م). تصدر منظمة أوتشا لللمحة العامة للاحتياجات الإنسانية بالسودان، وخطة الاستجابة الإنسانية للسودان وهما أداتان أساسيتان للتخطيط وحشد موارد المجتمع الإنساني لهذه القضايا وقد حددت لللمحة العامة لعام 2016م بأن هنالك 6.1 مليون شخص في حاجة إلى مساعدات إنسانية، كما أطلقت خطة الاستجابة لعام 2016م نداءً بمبلغ 970 مليون دولار أمريكي لتنفيذ الأنشطة المنقذة للحياة التي تستهدف 4.6 مليون شخص من المحتاجين في شتى أنحاء البلاد، وقد جرى حتى نهاية عام 2016م استلام مبلغ 555 مليون دولار أمريكي أي 57% من المبلغ المطلوب (أوتشا 2010م).

شكل (1): الاحتياجات الإنسانية لنحو 6.1 مليون شخص في السودان



الشكل البياني أعلاه يوضح الاحتياجات الإنسانية لنحو 6.1 مليون شخص في السودان يشكل النازحون 40% منهم واللاجئون وطالبو اللجوء 3% وذلك حسب تقديرات خطة الاستجابة الإستراتيجية للسودان التي أعدها مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية بالنيابة عن الفريق القطري الانساني للعام 2014م.

الشكل (2): حجم الميزانية المقدرة بالدولار لاحتياج احدي عشر (11) قطاع بالسودان



المصدر: أوتشا 2014م

من الملاحظ في الشكل (2) أن الاحتياجات الانسانية المتمثلة في الأمن الغذائي ووسائل العيش شكلت 39% من حجم الاحتياج الكلي وتليها التغذية بنسبة 11% ثم المياه والمرافق الصحية والنظافة بنسبة 10,9% بينما شكلت الميزانية المرسودة للعودة وللتعاش وإعادة الدمج 4% من الميزانية الكلية.

كما يدير مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية صندوق السودان الإنساني (المعروف سابقاً باسم الصندوق الإنساني المشترك) ويهدف الصندوق تحت إشراف منسق الشؤون الإنسانية إلى دعم تخصيص وصرف موارد المانحين لمواجهة الاحتياجات الإنسانية الأكثر أهمية، وفي الوقت المناسب وعلى النحو المحدد في خطة الاستجابة الإنسانية أو أي استراتيجية متفق عليها مع منسق الشؤون الإنسانية، ويوفر صندوق السودان الإنساني تمويلاً مبكراً، ويمكن التنبؤ به للمنظمات غير الحكومية الدولية والوطنية ووكالات الأمم المتحدة لتلبية الاحتياجات الإنسانية الملحة في السودان، وقد بلغ تمويل صندوق السودان الإنساني الذي أنشئ في عام 2006 حتى الآن أكثر من مليار دولار أمريكي من موارد المانحين لتلبية الاحتياجات الملحة في السودان التي يحددها المجتمع الإنساني (أوتشا 2010م).

ب/ المنظمة الدولية للهجرة بالسودان:

تهدف المنظمة الي انقاذ حياة الشرائح المستضعفة من السكان الذين نزحوا قسراً بسبب النزاعات والازمات والكوارث الطبيعية، وذلك بمشاركة الجهات الأخرى المنفذة للوعون الانساني وتنجز المنظمة هذه المهمة من خلال تقديم بيانات موثوقة وصحيحة كمصدر رئيسي لبيانات

التنقل السكاني، كذلك الظروف التي يعيشون فيها مما يعزز تنسيق جهود كل الجهات العاملة في مجال العون الانساني، إضافة للتعرف على الاحتياجات والفجوات الانسانية، وتعمل المنظمة علي زيادة فرص الحصول علي المساعدات المنقذة للحياة والخدمات الطارئة لتخفيف آثار النزوح القسري، وتواصل المنظمة عملها مع الوكالات والادارات المعنية والمنظمات على كافة المستويات لتنمية القدرات الوطنية للمؤسسات في مجال الاستعداد والاستجابة للازمات.

ت/ مصفوفة تتبع الزواج:

صممت المنظمة الدولية للهجرة لهذه المصفوفة لتتبع ورصد حركة النازحين اثناء الازمات والظروف التي يعيشون فيها، وقد وفّرت أنشطة التسجيل والتحقق الخاصة بالمصفوفة خلال العام 2014م الأعداد الصحيحة للنازحين والسكان المتأثرين الذين هم في حاجة الي العون، مما مكّن الشركاء من تقديم العون المنقذ للحياة.

شكل (2): يوضح اعداد النازحين حسب تقرير منظمة الهجرة الدولية للعام 2014م



المحور الخامس: مناقشة فروض الدراسة:

يتناول هذا الجانب مناقشة الفروض التي ابتدأت بها وذلك بغرض اثباتها عن طريق المعلومات المتوفرة من المصادر المختلفة التي استعان بها الباحث حيث تتحدث الفرضية الأولى عن:

1. أن المساعدات التي تقدمها المنظمات الانسانية الدولية غير كافية لحل مشاكل الهجرة القسرية:

حسب ما جاء في التقرير الذي تصدره منظمة أوتشا والمسمى باللمحة العامة للاحتياجات الإنسانية بالسودان، وخطة الاستجابة الإنسانية للسودان وهما الأدوات الأساسية للتخطيط وحشد موارد المجتمع الدولي الإنساني فقد قد حددت اللمحة العامة لعام 2016م بأن هنالك 6.1 مليون شخص في حاجة إلى مساعدات إنسانية في السودان 55% منهم يمثلون اللاجئين والنازحين، كما أطلقت خطة الاستجابة لعام 2016م نداءً بمبلغ 970 مليون دولار أمريكي لتنفيذ

الأنشطة المنقذة للحياة التي تستهدف 4.6 مليون شخص من المحتاجين في شتى أنحاء البلاد، وقد جرى حتى نهاية عام 2016 استلام مبلغ 555 مليون دولار أمريكي أي 57% من المبلغ المطلوب وهذا يعني ضرورة بذل المزيد من الجهد وتضافر الجهود لتوفير ما هو مطلوب من الأموال اللازمة لحل مشكلة الهجرة القسرية بالبلاد.

2. تشكل الهجرة القسرية ضغطاً شديداً علي الموارد والخدمات الأساسية في السودان: في الشكل رقم (2) نجد أن الاحتياجات الانسانية المتمثلة في الأمن الغذائي ووسائل العيش شكلت 39% من حجم الاحتياج الكلي وتليها التغذية بنسبة 11% ثم المياه والمرافق الصحية والنظافة بنسبة 10,9% بينما شكلت الميزانية المرسودة للانتعاش للعودة وإعادة الدمج 4% من الميزانية الكلية.

3. ومن الشكل اتضح أن الهجرة القسرية تمثل ضغطاً كبيراً علي الموارد والخدمات الأساسية بالدولة وأكد ذلك معتمد اللاجئين ومدير مكتب الإجراءات الموحد بمفوضية العون الانساني الاتحادية حيث ذكر أن بند الانقطاع أثر سلباً على استمرار بعض المعسكرات الشيء الذي أدى الي تسرب اللاجئين من تلك المعسكرات والتسرب الي المدن ومشاركة المواطنين في الموارد والخدمات التي تقدمها الدولة مما شكل ضغطاً علي الموارد المحدودة وعبئاً ثقيلاً عليها.

تقليل المساهمات الدولية لدعم اللاجئين أثر سلباً على مقدرة الدولة على تحسين الأوضاع في المناطق المتأثرة باللجوء والنزوح، لأن التقارير المقدمة من حكومة السودان تبين أن اللجنة المعنية بحقوق الانسان التابعة للأمم المتحدة بتاريخ 21 سبتمبر 2012م المادة (13) من الفقرة (115) الى الفقرة (126) أن تنفيذ قرار وقف المساعدات الدولية (بند الانقطاع) عن اللاجئين الأثيوبيين والأرتريين من قبل المفوضية السامية لشؤون اللاجئين ترتب عليه إغلاق بعض معسكرات اللجوء ودمجها في معسكرات أخرى دون دراسة كافية لكيفية تسيير حياة هؤلاء اللاجئين ودون إيجاد بدائل عادلة، مما جعل أغلبية اللاجئين بالمعسكرات المغلقة يتجهون نحو المدن الكبرى بحثاً عن العمل والاستقرار الامر الذي أدى الى زيادة الضغط على الموارد المحدودة للدولة ومشاركة المواطنين فيها مما شكل عبئاً إضافياً على الاقتصاد السوداني الهش، وذلك من خلال مشاركة المواطنين فيها وفي الخدمات الأساسية ونقل عادات وثقافات المجتمعات النازحة التي قد تكون غريبة عن المجتمع المضيف، وحدوث اضطرابات أمنية، ضائقة معيشية ونزاعات من القبائل وغيرها، حيث أفاد مدير مكتب الإجراءات الموحد والاتفاقيات الفنية بمفوضية اللاجئين وجود حالات من النزاعات والاعتداء على الأموال، الأراضي والمزارع.

4. ضعف الوعي وضعف الخدمات الانسانية والأمنية بمعسكرات اللاجئين والنازحين أدى الي انتشار جرائم الاتجار بالبشر.

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة لابد من التأكيد على أن مشكلة الهجرة القسرية هي ظاهرة عالمية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بانتهاكات حقوق الإنسان خلال النزاعات المسلحة وانعدام الاحتياجات الأساسية عند حدوث الكوارث بأنواعها المختلفة، لذا على المجتمع الدولي ممثلاً في الحكومات ومنظمات الدولية والإقليمية، المحلية والمجتمعات المحلية بذل مجهود أكبر في مجال الدبلوماسية الشعبية وإزالة أسباب التوتر والنزاع بين الدول والشعوب، كما يجب عليها أيضاً العمل على رفع الوعي وتمكين المجتمعات وإزالة الفوارق الاجتماعية، والتوزيع العادل للسلطة والثروة وبذل مجهود أكبر على صعيد التنمية الاجتماعية حتى تتمكن من تخفيف حدة العنف والظلم الذي يؤدي إلى النزاعات والفرقة والشتات.

أ/ النتائج: توصلت الدراسة لعدة نتائج هي:

1. أن مشكلة النزوح الداخلي هي مشكلة عالمية لا يعاني منها السودان وحده، حيث بلغ عدد النازحين داخلياً حوالي 40.3 مليون شخص يعيشون حالة نزوح داخلي جراء النزاع والعنف في (56) دولة وإقليماً بحلول نهاية 2016 م، وقد تضاعف العدد الإجمالي للأفراد منذ عام 2000م وازداد بشكل حاد على مدى الخمس سنوات الماضية (مجلس الكنائس النرويجي، مركز رصد النزوح الداخلي 2017م).
2. تشكل مشكلة الهجرة القسرية ضغطاً شديداً على الموارد المحدودة بالسودان مما يتطلب جهوداً أكبر من المجتمع الدولي ممثلاً في المنظمات الإنسانية لحل أو التخفيف من حدة المشكلة.
3. أثر بند الانقطاع سلباً على مقدرة السودان في التعامل مع مشكلة اللاجئين والنازحين.
4. تزايد عدد النزاعات المسلحة والكوارث الطبيعية والكوارث من صنع الإنسان أدى الى زيادة حجم الهجرة القسرية في العالم.

ب/ التوصيات: توصي الدراسة بالتالي:

1. على المنظمات الإنسانية دعم جهود السودان في إيجاد نظام معلومات تستطيع من خلاله حصر أعداد المتأثرين من الهجرة القسرية أماكن تواجدهم بغرض رسم السياسات المناسبة للتعامل معهم و تقديم الخدمات والاحتياجات الأساسية لهم وللمجتمع المضيف.
2. الحالة أصبحت ملحةً لمزيد من التعاون بين منظمات العمل الإنساني وأجهزة الدولة المختصة فيما يتعلق بالهجرة القسرية.
3. العمل على إيجاد جهاز يشرك الشركات الخاصة ورجال الأعمال في تمويل وحل مشكلات وآثار الهجرة القسرية.
4. على المجتمع الدولي بذل مجهود أكبر في دعم الخدمات الأساسية للمجتمع المضيف

-
5. للاجئين والنازحين تحسين مستوى الخدمات الأساسية بتلك المناطق.
 6. النظر في بند الانقطاع الذي أثر كثيراً على مقدرة الدولة في توفير الاحتياجات داخل معسكرات اللاجئين بشرق السودان.
 7. العمل على توفير الأمن الحماية للنازحين واللاجئين داخل المعسكرات، ذلك لمنع جرائم الإتجار بالبشر.

المصادر والمراجع:

1. اوتشا، رسالة النزوح الداخلي، الرسالة، الاصدار الاول، 2010م
2. منظمة الامم المتحدة، التقارير الدورية الرابعة المقدمة من الدول الأطراف، جمهورية السودان، 2012، ص: 1- المادة (13) حقوق الاجانب
3. غريب عبد الحميد هاشم، مقومات عملية الاستعداد لمواجهة الكوارث - كمرحلة من مراحل إدارة الكوارث، المؤتمر السنوي الثالث لإدارة الأزمات والكوارث، أكتوبر 1998م.
4. منظمة العمل الدولية، التوظيف والعمل اللائق في حالات الهشاشة والنزاعات والكوارث، 2016م.
5. UNHCR، السودان، 2019، <https://www.unhcr.org/ar/5b0ffaa94.html>
6. منظمة الهجرة الدولية: التقرير السنوي 2014م.
7. منظمة الهجرة الدولية، الهجرة والنزوح والتنمية في منطقة عربية متغيرة، 2015، ص: 44
8. تهاني ابراهيم محمد، اللاجئين الاثيوبيون في السودان وبند الانقطاع، مجلة دراسات افريقية العدد (32) السنة العشرون جامعة افريقيا العالمية السودان ص- 162
9. الأمم المتحدة، اللجنة المعنية بحقوق الإنسان، تقرير السودان، سبتمبر 2012م.

أسلوب الجدل في الدعوة الإسلامية، وأغراضه.

د. عبد الرحيم عبده عمر

أستاذ مساعد-قسم الدعوة والثقافة الإسلامية -كلية الدراسات الإسلامية - جامعة كسلا-السودان

مستخلص البحث

يُعَدُّ الجدل من الظواهر السالبة في مجتمعاتنا الحالية لفقدانه الشروط، والضوابط الشرعية التي تجعل منه وسيلة لحل المشاكل الخلافية، وتوضيح الحقائق العلمية، وبما أن الجدل أسلوب من أساليب الدعوة الإسلامية -كما أشار الى ذلك القرآن الكريم- كان ذلك دافعا للبحث فيه، وبيان أهميته، وحكمه، وأنواعه، وشروطه، وأغراضه في القرآن الكريم-وهدفنا الدراسة الى تبصير الدعاة بهذا الأسلوب المهم، كما هدفت الدراسة الى توضيح خطورة الجدل (العقيم) الجدل بالباطل، وتوصلت الدراسة إلى أن الجدل وسيلة لإظهار الحق، كما توصلت الدراسة أن الجدل العقيم أمر مذموم في الشريعة الإسلامية-وتوصي الدراسة في حال قيام المنازعة الكلامية، والمجادلة الى إيجاد قيادة واعية بالقضية توجه الطرفين بأسلوب تربوي يعلم احترام الرأي، والرأي الآخر، وأن يتم التناظر حول قضية ذات أهمية، ومحددة تحتمل وجهتي النظر لكل طرف منهما أدلته، وبراهينه، وحجته، و توصي الدراسة بالابتعاد عن الجدل العقيم الذي يضيع الجهد والزمن، ويورث الكراهية والضغينة، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

منهج البحث:

المنهج الذي استخدمته هو المنهج الوصفي.

الافتتاحية: جدل-دعوة إسلامية

Abstract

Controversy is a negative phenomenon in our present societies, due to its loss of legal conditions and controls, which makes it a way to solve controversial problems and clear scientific facts. Since it is a method of Islamic call (advocacy) as mentioned in holy Quran. That is a reason to discuss it and indicates its importance and its purposes in holy Quran.

The study aimed to inform preachers of this important method as it aimed to clarify the seriousness of the sterile debate false argument, and the study concluded that the argument is the way to show the truth. The study also concluded that the sterile debate is a blame in Islamic law.

The study recommends that in the event of a verbal dispute and dispute to find a conscious leadership of the Issue and directed the two sides in an educational manner that teaches the respect of opinion and ather opinion and other opinion, and to take an Important Issue and long standing perspectives can be debated for each side, his evidence and argument.

The study also recommends to a void the sterile controversy that waste effort and time, and inherits hatred and grudge.

The researcher has used descriptive analytical method.

Research methodology :

Descriptive approach.

Editorial: Islamic call controversy.

تمهيد

تعريف الجدل، وأهميته

أولاً: تعريف الجدل.

الجدال في اللغة: يقال: جادله مجادلة، وجدالاً، فالجدال: مُقَابَلَةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ؛ وَالْمُجَادَلَةُ: الْمُنَازَرَةُ وَالْمُخَاصَمَةُ (لسان العرب ج/11 ص/105) قال تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمَحَالِ﴾ (سورة الرعد الآية/13)، قال ابن منظور: (والجدل: اللدُّ في الخصومة والقدرة عَلَيْهَا). (لسان العرب ج/11 ص/105) وقال الرازي رحمه الله: (جَادَلَهُ) خَاصَمَهُ. (مختار الصحاح، ج/1 ص/55)

يأتي الجدل في اصطلاح العلماء: بعدة تعاريف متشابهة منها قولهم: مرأ يتعلق بإظهار المذهب، وتقريرها (التعريفات، للجرجاني ج/1 ص/101، والتعاريف، للمناوي ج/1 ص/233). وقيل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه. (التعريفات، للجرجاني ص/74).

ثانياً: أهمية الجدل في الدعوة إلى الله.

تكمُن أهمية الجدل في إظهاره الحق ودرء الباطل، ودحضه بالأدلة الدامغة، والبراهين الساطعة، وهو أسلوب دعوي جاءت الإشارة إليه في القرآن الكريم والسنة النبوية، كما يتعدى الجدل من المسائل الخلافية بين المسلمين إلى غيرهم في إظهار محاسن الدين الإسلامي، وقيمه، والمبادئ الأخلاقية والعقدية، ورد الشبهات التي يبثها أعداء الإسلام لنيل منه ومن أتباعه. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل الآية/125) قال ابن القيم رحمه الله: وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوهُمْ بَعْدَ ظُهُورِ الْحُجَّةِ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ، وَبِهَذَا قَامَ الدِّينُ، وَإِنَّمَا جُعِلَ السِّيفُ نَاصِرًا لِلْحُجَّةِ، وَأَعْدِلَ السُّيُوفِ سَيْفٌ يَنْصُرُ حُجَجَ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ، وَهُوَ سَيْفُ رَسُولِهِ وَأَمَّتِهِ. (زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، ج/3 ص/561) وقال رحمه الله وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَزَلْ فِي جِدَالِ الْكُفَّارِ عَلَى اخْتِلَافِ مِلَلِهِمْ وَنَحْلِهِمْ إِلَى أَنْ تُوَفِّيَ، وَكَذَلِكَ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ. (زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، ج/3 ص/561)

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية/ 64)، ويعتبر الجدل من أهم قواعد الدعوة إلى الله عز وجل، فمن خلاله يمكن للداعية أن يحقق فوائد جمة، وأهدافاً عظيمة للدعوة إذا أحسن استخدامه، فيه يتعلم الداعية ضبط نفسه، ولسانه، وتقوى لديه ملكة المحاكاة، والتفكير المتزن يجعله مقبولا عند الآخرين بدرجة أكبر، ويجعل احتمال إقناعهم بأفكاره أحسن.

ثالثاً: حكم الجدل.

يختلف حكم الجدل على حسب النوع المستخدم، فمنه مباحاً وهذا إن كان من نوع الجدل الممدوح قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل الآية/ 125) ويكون محرماً إذا كان من الجدل المذموم والمنهي عنه. قال تعالى: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ﴾ (سورة غافر الآية/ 5) قال المناوي رحمه الله: (أي الجدل المؤدي إلى مرء ووقوع في شك، أما التنازع في الأحكام فجائز إجمالاً، إنما المحذور جدال لا يرجع إلى علم، ولا يقضى فيه بضرر قاطع، وليس فيه اتباع للبرهان، ولا تأول على النصفة، بل يخطئ بغير عشواء غير فارق بين حق وباطل) (فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي ج/3 ص/354) وهناك قضايا لا يجوز الجدل فيها إذا اقتنعنا بمشروعية الحوار وفائدته الظاهرة، فينبغي أن ننظر إلى أنه مشروع بحدوده وجدواه، فالحوار ليس مشروعاً مشروعياً مطلقة لكي يتناول كل شأن، فهو ليس من قبيل الترف الفكري ولا الفضول وحب الاستطلاع وتشقيق الجدل في المسائل. هنالك قضايا محددة ليس من الجائز الخوض فيها بحوار أو جدال إما بسبب محدودية العقل البشري إزاءها أو بسبب عدم ترتب أي ثمرة علمية أو عملية من ورائها، أو لأنها محسومة أساساً بنص شرعي أو إجماع. (الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه، للتركستاني- ج/1 ص/38) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والكلام الذي ذمموه نوعان: أحدهما أن يكون في نفسه باطلاً وكذباً، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل كذب، فإن أصدق الكلام كلام الله.

والثاني أن يكون فيه مفسدة، مثلما يوجد في كلام كثير منهم: من النهي عن مجالسة أهل البدع، ومناظرتهم، ومخاطبتهم، والأمر بهجرانهم. (درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ج/7 ص/172)

وما فيه منفعة المسلمين عدم مجادلة أهل الباطل إذا كان الحق ظاهراً واضحاً لا يكتنفه الغموض والشبهات لأن في مناظرتهم دعاية وإعلام لأفكارهم السيئة، وهناك طرق أخرى يمكن أن يتبعها ولاة الامر في حق هؤلاء مثل: التعزيز - كما فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيح بن عسل التميمي، وشواهد التاريخ كثيرة في ذلك.

المبحث الأول أنواع الجدل، وشروطه.

أولاً: أنواع الجدل.

ينقسم الجدل إلى قسمين قال د/ محمد أبو الفتوح: «ومن هنا قسم العلماء الجدل إلى ممدوح ومذموم وذلك بحسب الغاية منه وبحسب أسلوبه وبحسب ما يؤدي إليه». (المدخل إلى علم الدعوة، للبيانوني، ط/م الرسالة ص/264).

النوع الأول: الجدل الممدوح.

الجدل الذي يهدف إلى إحقاق الحق، ونصرتة، ويكون بأسلوب صحيح، ومناسب ويؤدي إلى خير فهو «الجدل الممدوح» ولذا جاء الأمر به في القرآن مقيداً "بالتي هي أحسن قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل الآية/125) أي «جادل المخالفين بالطريقة التي هي أحسن من طرق المناظرة، والمجادلة بالحجج، والبراهين، وبالرفق، واللين.» (من ضوابط الإعلام الإسلامي - أدب الحوار - د / عبد الصبور فاضل، مقال منشور بمجلة منار الإسلام، العدد 3 سنة 22، ربيع الأول 1417 هـ - يوليو 1996م.) فهذا ما نص عليه في القرآن وأمر به، ويمكن أن يعبر عنه بالمنافشة، والمناظرة، والمحاورة، وما إلى ذلك من مصطلحات متعددة تتفق في كثير من المواطن في دلالتها. (المدخل إلى علم الدعوة، للبيانوني ص/ 264) قال ابن تيمية -رحمه الله-: «وأما جنس المناظرة بالحق؛ فقد تكون واجبة تارة ومستحبة تارة أخرى» (درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ج/7 ص/174)

ثانياً: الجدل المذموم وصوره.

الجدل المذموم هو ما كان مفرغاً من العلم والحجة، أو كان لتثبيت باطل والدعوة إليه ونصرة أهله والمنافحة عنهم- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَوَى مُحَدَّثًا } (صحيح مسلم ج/3 ص/1567). قال الرازي رحمه الله: وَأَمَّا الْجِدَالُ فِي تَقْرِيرِ الْبَاطِلِ فَهُوَ مَذْمُومٌ وَهُوَ الْمَرَادُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُزُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) (سورة غافر الآية: 4) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ جِدَالَ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ» فَقَوْلُهُ إِنَّ جِدَالَ عَلَى لَفْظِ التَّنْكِيرِ يَدُلُّ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ جِدَالٍ وَجِدَالٍ. (التفسير الكبير، للرازي ج/27 ص/486) ومن صور الجدل المذموم:

أ/ جدال الكفار.

كل جدل لا يهدف إلى إحقاق حق، ولا نصرتة، ولم يسلم أسلوبه، ولا يؤدي إلى خير فهو جدال مذموم، ويتسم جدال الكفار بأنه استعراض للقوة، والغلبة، والاستخفاف بثوابت الدين مع علمهم أنه حق: قال تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ

عَقَابٌ ﴿(سورة غافر الآية/5) وقال: ﴿وَقَالُوا أَلَهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ﴾ (سورة الزخرف الآية/58) قال القرطبي رحمه الله: «يعني ما ضربوا لك هذا المثل إلا إرادة الجدل» وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ﴾ مجادلون بالباطل». (الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ج/16 ص/104) قال تعالى: (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ). (سورة النمل الآيات/13-14) وهكذا كانوا يجادلون بالباطل مع علمهم يقينا أن ما جاء به النبي صل الله عليه وسلم هو حق أنه من لدن عزيز حكيم.

ب/ جدال المسلمين:

إذا كان جدال المسلم من أجل شهرة ينلها، أو حب للذات أو اثبات عقيدة فاسدة يصبح جداله من النوع المنهي وصاحبه ممقوت عند الله قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (سورة غافر الآية/35) قال أبو السعود رحمه الله: وهذا عام لكل مجادل مبطل وإن نزل في مشركي مكة. (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود ج/7 ص/281) وقول النبي صل الله عليه وسلم: (عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: «أَنَا زَعِيمٌ بَيِّتٌ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحَقًّا، وَبَيِّتٌ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبَيِّتٌ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ») (سنن أبو داود ج/4 ص/253) وإن كان المجادل يجادل من أجل اظهار الحق وتبينه للناس فهذا لا شيء عليه كما هو مبين في حكم الجدل.

ثانياً: شروط، وأدابه الجدل.

للجدال شروط وأدب شرعية يجب الالتزام بها، ومراعاتها في حال إقامة المناظرة، واحتدام النقاش بين الأطراف سواء كان الأمر المجادل فيه من المسائل الشرعية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو غير ذلك ومن هذه الشروط والآداب. أولاً: أن يكون لإظهار الحق.

إن إظهار الحق، والإيمان بالله، والإنصاف، والعدل هو الأساس، والهدف في إقامة المناظرات. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية/64) قال ابن الأثير: فَأَمَّا الْجَدَلُ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ فَإِنَّ ذَلِكَ مَحْمُودٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النهاية في غريب الحديث والأثر- لابن الأثير ج/1 ص/248، والآية في سورة النحل: 125). وقال الزحيلي: التزم النبي صل الله عليه وسلم بالكلمة السواء هذه، وكتب بها إلى هرقل عظيم الروم وإلى غيره من أمراء وملوك العالم، ودعا بها أهل الكتاب في الجزيرة العربية، وكذلك ينبغي أن يدعى بها أهل الكتاب إلى يوم القيامة. (التفسير الوسيط،

للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي ج/1 ص/200)

ثانياً: البعد عن التعصب للرأي أو المذهب:

إن التعصب للرأي، أو المذهب، أو الفكر يؤدي الى عدم قبول الحق وهذا أمر مذموم، والداعية ينصاع للحق متى ما اتضح له ذلك ولا يكابر قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (سورة فصلت الآية/34)

ثالثاً: التحلي بالأخلاق الفاضلة أثناء النقاش.

الإسلام ينهي عن الكلام القبيح والبذيء، والفحش عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (اُنْذِنُوا لَهُ، فَلَبَسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ، أَوْ بَنَسَ رَجُلٌ الْعَشِيرَةَ) فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ الْآنَ لَهُ الْقَوْلُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتُ لَهُ الَّذِي قُلْتُ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ؟ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ وَدَّعَهُ، أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتَّقَاءَ فُحْشِهِ» (صحيح مسلم ج4 ص/2002)، فالمجادل يجب أن يتحلى بالأخلاق الحميدة التي جاء بها الإسلام، فالكلام الفاحش والسب، والتشهير ما هو إلا أداة لهدم الحوار والجدل الناجح الموصل الى الحقيقة.

رابعاً: اختيار الوقت، والمكان المناسب.

يجب أن تختار المكان والظرف المناسبة قبل أن تبدأ خطوة النقاش لذا جاء من حديث عبد الله بن مسعود قال: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَتَخَوَّنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْيَامِ كَرَاهِيَةِ السَّامَةِ عَلَيْنَا). (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ج/1 ص/170)

خامساً: تحديد العنصر المجادل فيه.

أن يكون العنصر الذي يراد الجدل فيه أن يكون محدداً، ويكون ذا أهمية فلا يجوز النقاش لأي شيء لا قيمة له لأنه من إضاعة الزمن المنهي عنه.

سادساً: الإحاطة بموضوع الحوار.

إن من شروط وعناصر الجدل الإلمام بالموضوع الذي يجري فيه، واستيعاب الفكرة التي يحوم حولها ويجري فيها المناقشة، فان ضعيف العلم بالحجة يشجع الخصم على ارتكاب المزيد من المفاسد. قال ابن تيمية رحمه الله: وقد ينهون - أي السلف - عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل كما ينهي الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجاً قوياً من علوج الكفار فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة. (دره تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ج/7 ص/173)

سابعاً: إبقاء الصراع إلى المرحلة الأخيرة من الجدل.

التطويل في المناقشة أمر غير محمود لذا الاختصار مهم بقدر الإمكان، وخير الكلام ما قلَّ

ودلّ، ومن الضروري ابقاء الصراع الى مرحلته الاخير حتى تتضح الرؤية، وتتكشف الحقيقة التي يبحث عنها المستمع.

ثامناً: اختيار اللغة التي يجادل بها.

من عناصره الجدال اختيار لغة النقاش قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة إبراهيم الآية 4) ويتجنب المناقش الألفاظ الغريبة، والمصطلحات الغير مفهومة، حتى لا يتوهم السامع أنه أقدر من خصمه أو أعلم منه أو أقوى حجته. (الدعوة إلى الله (الرسالة - الوسيلة - الهدف)، د/توفيق الواعي، ص/311)

تاسعاً: الاستماع الى الآخر دون مقاطعته.

الاستماع الى الآخر حتى يكمل الفكرة التي يتبناها، وعدم مقاطعته إلا لشيء ضروري مثل تكرار كلام لم يتبين له ولم يتمكن من سماعه، فالاستماع، وطول النفس يساعد المناقش أو المجادل في كيفية الرد المناسب وإفادة المستمع من الحضور، ويعتبر هذا من ادبيات النقاش.

وخلاصة القول: يركز هذا المفهوم على محورين:

- أ. قيادة واعية بالقضية توجه الطرفين بأسلوب تربوي يعلم احترام الرأي، والرأي الآخر.
- ب. أن يتم التناظر حول قضية واحدة تحتل وجهتي النظر، ولكل طرف اتجاهه وأدلته وبراهينه وحججه.

ما أحوج الدعاة اليوم إلى من يقف على هذا الأمر، لكثرة القضايا التي تحتاج إلى المناظرات؛ إذ كثير من المسلمات فضلا عن غيرها مطروحة اليوم للنقاش، وابدأ الرأي، والرأي لآخر، ولا يمكن أن يتصدى لذلك إلا العلماء، والدعاة المتمكنون، والقادرون على المحاجة، والمجادلة.

المبحث الثاني

أغراض الجدل الدعوية في القرآن الكريم:

تضمن القرآن الكريم نماذج قوية من الجدل، والحوار والمناظرة مثل ما جرى بين إبراهيم الخليل عليه السلام والطاغية الذي حابه في ربه وزعم أنه يحيي ويميت، والحوار بين مؤمن آل فرعون وقومه، والحوار بين إبراهيم وأبيه، وبين إبراهيم وقومه لما كسر أصنامهم، والحوار بين نوح وقومه حتى قالوا: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة هود الآية: 33)

1 / الرد على إنكار الكفار.

من أغراض الجدل في القرآن الكريم الرد على ملة الكفر المنكرين لحقائق الدين، خاصة الغيب (الله، البعث، الملائكة...) قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ

الْعَرْشَ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿ (سورة الأنبياء الآية 22) وفي البعث: قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (سورة الأنبياء الآيات / 38-41) جاء رد القرآن مبيناً وعد الله في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (سورة سبأ الآية: 30) وقال: ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة يس الآيتان: 78-79)

2/ إثبات أحكام الشريعة الإسلامية:

جاء الجدل في القرآن الكريم مبيناً أحكام الشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (سورة البقرة، الآية 275) وقال: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة البقرة، الآية/219)

3/ إثبات الرسالة لنبينا محمد صل الله عليه وسلم.

عندما أنكر المشركون رسالة نبينا محمد صل الله عليه وسلم فحاجهم القرآن على إثبات رسالته قال تعالى: ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثْلًا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنْآ إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴾ (سورة القمر الآية /24) جاء الجواب من رب العزة مثبتاً نبوة المصطفى صل الله عليه وسلم في قوله: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة التوبة الآية /128) وحين طالبه المشركون بمعجزات حسية، كان رده تعالى: ﴿ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ نُنْزِلَ عَلَيْكَ كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (سورة الإسراء الآية /93)

4/ التعرف على الناس وبيان طبائعهم:

هذا لتسهيل دعوتهم إلى الله، فهم أصناف وأجناس ولكل منهج خاص يُعامل به. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (سورة الحجرات الآية /13)

5/ بيان عظمة يوم القيامة:

بما أن يوم القيام يوم عظيم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها أمام الله تعالى ساعة الحساب طلباً للثواب أو هرباً من العقاب قال تعالى: (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا). (سورة النحل الآية/111)

قال الامام القرطبي رحمه الله: أَيُّ تَخَاصُمٍ وَتُحَاجٍّ عَنْ نَفْسِهَا، جَاءَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: نفسي نفسي! من شدة هول يوم القيمة سَوَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ يَسْأَلُ فِي أُمَّتِهِ. (الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ج/ 10 ص/ 193)

6/ الحوار بين أهل الجنة وأهل النار:

قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الأعراف الآية/ 44)

المبحث الثاني

نماذج من الأساليب الجدلية في القرآن الكريم

أولاً: الأساليب الجدلية في دعوة إبراهيم، وموسى عليهم السلام.

أ/ أسلوب الجدل في دعوة إبراهيم عليه السلام.

خيل الله إبراهيم عليه السلام جادله ابوه وقومه جاء ذلك في اكثر من موضع في القرآن الكريم- قال تعالى : (وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُ جَاهِلًا بِمَا تُدْعَى إِلَهُ يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (سور مريم الآية/ 47)

المرحلة الثانية، فكانت دعوته لقومه، وللملك مجادلًا اياهم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: الآية/ 258)

المرحلة الثالثة: كانت دعوته وجداله مع قومه-قال: (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ). (سورة الأنعام الآية/ 80) وقال: (قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانِ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ. فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الأنبياء الآيات/ 68)

عندما علم إبراهيم عليه السلام أن هذا الأسلوب الجدلي وغيره من الأساليب لا تجدي نفعاً في إيمان القوم تبرأ منهم وهجرهم، وتخذ الهجرة طريقاً له قال تعالى: (لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) (سورة التوبة الآية / 114)

ب/ أسلوب الجدل في دعوة موسى عليه السلام.

أمر الله عز وجل نبيه موسى وهارون أن يذهبا إلى فرعون دعاة الى الله قال تعالى: (اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ). (سورة طه الآيات/ 43-44) وسأل موسى عليه السلام ربه بأن يحل عقدة لسانه لإيصال الحجة فقال: (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي). (سورة طه الآيات / 27-28)

جاء موسى عليه السلام يحمل تسع آيات بينات، وبراهين دامغة يجادل بها أكبر طاغية عرفته البشرية- قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) (سورة الإسراء الآية: 102) ولكن فرعون تعنت واستكبر وقال: (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ) (سورة النازعات الآية: 24) ورفض الدعوة التي جاء بها موسى عليه السلام حتى عرضت عليه المعجزات واحدة تليها الأخر قال تعالى: (وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) (سورة النمل الآيات / 12-14) فَعَلِمَ أَنَّهُ ظَالِمٌ فِي جَدَالِهِ، قَصْدُهُ الْعُلُوُّ فِي الْأَرْضِ الْكِبَرِ وَالْفُسَادِ. (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. ج/ 1 ص/ 507) قَالَ تَعَالَى: (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَخَرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى) (سورة طه الآيات / 49-52). قَالَ السَّعْدِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ أَي: قَالَ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ: {فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى} فَأَجَابَ مُوسَى بِجَوَابٍ شَافٍ كَافٍ وَاضِحٍ، فَقَالَ: {رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} أَي: رَبَّنَا الَّذِي خَلَقَ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَعْطَى كُلَّ مَخْلُوقٍ خَلْقَهُ اللَّائِقَ بِهِ. (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج/ 1 ص/ 859 -عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. ج/ 1 ص/ 506)

الكبير عمي قلب فرعون وقال بعد الجدل الطويل والمنازعة: (قَالَ لئن اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) (سورة الشعراء الآية/ 29) قَالَ تَعَالَى: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخَرِينَ) (سورة الزخرف الآيات / 54-56)

ثانياً: الجدل في السنة النبوية:

لقد جاء الجدل في حديث النبي -صلّ الله عليه وسلم- قولاً كان أو فعلاً، فعن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيبتك من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى الذي اضطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قدّر عليّ قبل أن أخلق» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فحج آدم موسى مرتين» (صحيح البخاري ج/4 ص/158) ومن أفعاله صلّ الله عليه وسلم على الجدل الاتي:

أولاً: جدال قريش للنبي صلّ الله عليه وسلم.

بدأ النبي صلّ الله عليه وسلم يبلغ دعوة ربه منذ أن بعثه الله بالرسالة ولكن قريش استخدمت عدة أساليب لمواجهة تلك الدعوة التي أرقّت مضاجعهم قال تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (سورة الصف الآيات 8-9) قال السعدي رحمه الله: أي: بما يصدر منهم من المقالات الفاسدة، التي يردون بها الحق، وهي لا حقيقة لها، بل تزيد البصير معرفة بما هم عليه من الباطل) (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ج/1 ص/859)

والسيرة النبوية غنية بجدال قريش للنبي -صلّ الله عليه وسلم- ومن الأمثلة على ذلك ما جاء عن ابن إسحاق في سيرته عن مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ، قَالَ: حَدَّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَكَانَ سَيِّدًا، قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ وَرَسُولُ اللَّهِ -صلّ الله عليه وسلم- جَالِسٌ وَحده في المسجد: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه أمورا لعله أن يقبل بعضها فنعطه أيها شاء وكيف عنا، وذلك حين أسلم حمزة بن عبد المطلب، ورأوا أصحاب رسول الله -صلّ الله عليه وسلم- يزيدون ويكثرون؟ فقالوا: بلى يا أبا الوليد فقم فكلمه، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله -صلّ الله عليه وسلم- فقال: يابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أثيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم ... فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك أن تقبل منها بعضها، فقال رسول الله صلّ الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد أسمع -وهذا من أدب الحوار أن تسمع من الخصم، وتتركه يفرغ ما في داخله حتى يحل مكانه بما عندك ويقبل منك الاستماع- فقال: يابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت من هذا القول مالا جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت ... فقال رسول الله صلّ الله عليه وسلم: «أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاستمع مني، قال: أفعل، فقرا رسول الله صلّ الله عليه وسلم: (حم) * تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (سورة فصلت الآيات/ 1-3) فمضى رسول الله -صلّ الله عليه وسلم- يقرأها عليه،

فلما سمعها عتبة أنصت له، وألقى بيده خلف ظهره معتمداً عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله -صلّ الله عليه وسلم- إلى السجدة فسجد فيها، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال: بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ فقال: ورائي، إني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصيبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، فقال: هذا رأي لكم فاصنعوا ما بدا لكم. (كتاب السير والمغازي، لابن إسحاق ج/1 ص/207) والمقصود: أن رسول الله -صلّ الله عليه وسلم- لم يزل في جدال الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم إلى أن توفي، وكذلك أصحابه من بعده، وقد أمره الله سبحانه بجدالهم بالتي هي أحسن في السورة المكية والمدنية، وأمره أن يدعوهم بعد ظهور الحجة إلى المباهلة، وبهذا قام الدين، وإنما جعل السيف ناصراً للحجة وأعدل السيوف سيف ينصر حجج الله وبياناته وهو سيف رسوله وأمته).

ثانياً: جدال اليهود للنبي صلّ الله عليه وسلم.

ذكر القرآن الكريم عن اليهود كثير من الصفات الذميمة قال تعالى: (سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ). (سورة المائدة الآية /42) فقد جادلوا انبيائهم قبل النبي -صلّ الله عليه وسلم- فقالوا لموسى عليه السلام: اربنا الله جهرة قال تعالى: (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ). (سورة النساء الآية/153) وكان مبدأ جدالهم مع النبي -صلّ الله عليه وسلم- نابع عن الحسد قال تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (سورة البقرة الآية/109) قال تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَن مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرَهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) (سورة المائدة الآية /82)

جادلوا النبي -صلّ الله عليه وسلم- في كثير من المسائل منها في أفضلية بيت المقدس قال تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) (سورة البقرة الآية/144) قال النسفي رحمه الله: أي التحويل

إلى الكعبة هو الحق لأنه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله -صلّ الله عليه وسلم- أنه يصلي إلى القبلتين (مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي ج/1 ص/140) أيضا ما جاء في قصة الرجم عن ابن عمر -رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله -صلّ الله عليه وسلم- يهودي ويهودية قد أحدثا جميعا، فقال لهما: «مَا تَجِدُونَ فِي كِتَابِكُمْ؟» قَالُوا: إِنَّ أَحْبَارَنَا أَحْدَثُوا تَحْمِيمَ الْوَجْهِ وَالتَّجْبِيَةَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: ادْعُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِالتَّوْرَةِ، فَآتَى بِهَا فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ وَجَعَلَ يَقْرَأُ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا فَقَالَ لَهُ ابْنُ سَلَامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ فَإِذَا آيَةُ الرَّجْمِ تَحْتَ يَدِهِ فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ -صلّ الله عليه وسلم- فَرُجِمَا. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَرَجِمَا عِنْدَ الْبَلَاطِ فَرَأَيْتُ الْيَهُودِيَّ أَجْنَأَ عَلَيْهَا. (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني. ج/10 ص/11) وهناك الكثير من القصص التي وقعت في مجادلة النبي صلّ الله عليه وسلم لم يسعها البحث، وفي الختام يعد الجدل وسيلة دعوية مهمة، لكن ليس كل من دعا إلى الجدل، أو المناظرة يجاب لطلبه فلا بد من النظر إلى المصلحة، والمفسدة وأيها الأرجح فان كان المفسدة فيها أعظم فلا يجاب لطلبه في المناظرة والمجادلة، وهناك السعة في الأساليب الدعوية مثل الهجر أو التعزير بعقوبات وغير ذلك.

والله ولي التوفيق

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وخاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإنه بعد أن فرغت من كتابة هذا البحث بحمد الله وتوفيقه اشير إلى أهم النتائج، والتوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث على التالي:

أولاً-النتائج:

1. يُعَدُّ الجدل من الأساليب الدعوية، وقد أشار إلى ذلك الكتاب والسنة.
2. يُعَدُّ كثير من الدعاة، والباحثين أن أسلوب الجدل من الظواهر السالبة، وهذا نتيجة لفقدانه الشروط والضوابط الشرعية التي تجعل منه وسيلة لحل المشاكل الخلافية.
3. الجدل العقيم من الأمور التي نهت عنها الدعوة الإسلامية.
4. توصلت الدراسة إلى أن الجدل العقيم يولد الكراهية بين الطرفين.
5. لا تسير الحياة بين الافراد، والمجتمعات إلا بالبعد عن الجدل العقيم الذي يستخدم فيه الفظاظ والسخرية والاستهزاء.
6. توصلت الدراسة إلى أن الأنبياء عليهم السلام استخدموا أسلوب المجادلة مع أقوامهم.

ثانياً-التوصيات:

1. توصي الدراسة في حال قيام المنازعة الكلامية، والمجادلة إلى إيجاد قيادة واعية بالقضية توجه الطرفين بأسلوب تربوي يعلم احترام الرأي، والرأي الآخر.
2. توصي الدراسة على أن يتم التناظر حول قضية ذات أهمية، ومحددة تحتل وجهتي النظر لكل طرف منهما أدلته، وبراهينه، وحجته.
3. توصي الدراسة إلى تجنب الجدل الذي لا يفضي إلى حق ولا يرجي منه فائدة.
4. توصي الدراسة إلى احترام الرأي والراي الاخر عن المنازعة، ومناقشة الأفكار لا الأشخاص.
5. توصي الدراسة حال قيام المجادلة إلى البعد عن الفظاظ، والتجريح، والتهكم، والاستفزاز، والسخرية.

وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. ابن القيم - زاد المعاد في هدي خير العباد - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) - مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت - ط / السابعة والعشرون ، 1415هـ / 1994م.
3. ابن ماجه - سنن ابن ماجه - ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ) - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
4. ابن منظور - لسان العرب - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) - دار صادر - بيروت - ط / الثالثة 1414هـ.
5. أبو السعود - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
6. أبوداود، سنن أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السُّجِسْتَانِي (المتوفى: 275هـ) - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
7. ابن إسحاق - كتاب السير والمغازي - محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: 151هـ) - تحقيق: سهيل زكار - دار الفكر - بيروت - ط / الأولى 1398هـ / 1978م.
8. البيانوني - المدخل إلى علم الدعوة، د / محمد أبو الفتوح البيانوني، م الرسالة ص/ 264، ط 3/ - عام 1420 هـ - 1999م.
9. تركستاني - الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه - أحمد بن سيف الدين تركستاني الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
10. الجرجاني - التعريفات - علي بن محمد بن علي الجرجاني - دار الكتاب العربي - بيروت - 1405 ط / الأولى - تحقيق / إبراهيم الأبياري.
11. ابن تيمية - درء تعارض العقل والنقل - المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) - تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم - الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991م.
12. الواعي - الدعوة إلى الله (الرسالة - الوسيلة - الهدف) د/توفيق الواعي - مكتبة الفلاح - الكويت - ط / 1- 1416هـ.
13. الرازي - مختار الصحاح - زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ) - تحقيق: يوسف الشيخ محمد - المكتبة العصرية - الدار النموذجية،

- بيروت - صيدا-ط/ الخامسة، 1420هـ / 1999م.
14. الرازي-(مفاتيح الغيب، التفسير الكبير) - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)- دار إحياء التراث العربي - بيروت- ط/ الثالثة - 1420 هـ.
15. الزحيلي -التفسير الوسيط د. وهبة بن مصطفى الزحيلي -دار الفكر - دمشق-ط/ الأولى 1422- هـ.
16. السعدي -تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) -تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق -مؤسسة الرسالة-ط/ الأولى 1420هـ-2000م.
17. القرطبي -الجامع لأحكام القرآن -أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) -تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش -دار الكتب المصرية - القاهرة - ط/ الثانية، 1384هـ-1964م.
18. القسطلاني -إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري-أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ) -المطبعة الكبرى الأميرية، مصر-ط/ السابعة، 1323 هـ.
19. مسلم -المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلَّ الله عليه وسلم-مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) -تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي-دار إحياء التراث العربي - بيروت.
20. من ضوابط الإعلام الإسلامي - أدب الحوار - د / عبد الصبور فاضل، مقال منشور بمجلة منار الإسلام، العدد 3 سنة 22، ربيع الأول 1417 هـ -يوليو 1996م.
21. المناوي -التعاريف -التوقيف على مهمات التعاريف-محمد عبد الرؤوف المناوي -دار الفكر المعاصر ، دار الفكر- بيروت ، دمشق-1410- ط/ الأولى- تحقيق/د. محمد رضوان الداية.
22. المناوي -فيض القدير شرح الجامع الصغير-زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)-المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ط/ الأولى، 1356.
23. النسفي -مدارك التنزيل وحقائق التأويل-أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ) -حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي-دار الكلم الطيب، بيروت ط/ الأولى، 1419 هـ-1998م.
24. ابن الأثير -النهاية في غريب الحديث والأثر-مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد

بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ) - الناشر:
المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979-تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد
الطناحي.

واقع الجريمة بولاية كسلا شرق السودان دراسة تحليلية

إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب خوجلي

أستاذ مشارك - جامعة كسلا - كلية التربية - قسم الجغرافيا - السودان

حاج حمد تاج السر حاج حمد محمد

أستاذ مشارك - جامعة كسلا - كلية الدراسات الإسلامية - قسم السنة وعلوم الحديث - السودان

مستخلص الدراسة

تناولت هذه الدراسة واقع الجريمة بولاية كسلا شرق السودان، ومدى انتشارها في ولاية كسلا بمحلياتها المختلفة، في نوعية ونسبة الجرائم المنتشرة فيها، حيث تعد الجريمة من المشكلات الحقيقية التي تشكل عائقاً كبيراً للأمن الاجتماعي للسكان، كما أنها تسبب القلق والإزعاج وعدم الراحة للسكان والسلطات الرسمية واعتمدت الدراسة علي المعلومات الأولية التي جمعت من خلال العمل الميداني بمنطقة الدراسة، والمقابلات الشخصية (الرسمية وغير الرسمية)، بالإضافة إلي ذلك تم تعضيد الدراسة بالمعلومات الثانوية، من مصادرها المنشورة وغير المنشورة، ثم اتخذت الدراسة، وكذلك المنهج الإحصائي للبيانات الإحصائية، ومنهج دراسة الحالة، واعتمدت الدراسة علي فرضية لتحقيق أهداف الدراسة، وتم في هذه الدراسة مراعاة أخلاقيات البحث العلمي التي تنص علي (مبدأ الحساسية اتجاه الآخرين وتشمل أخلاقيات البحث الأخذ في الاعتبار الآثار المحتملة للدراسة علي عينة الدراسة وفي بعض الأحيان نجدان الحقيقة جيدة لكن إحترام الكرامة الإنسانية أفضل حتي لو أدي ذلك الي عدم القيام بالدراسة نفسها). وعليه لم يتم التعرض الي أي أثنية قبيليه أو أحد من الأشخاص أو أي جهة من الجهات الرسمية والشعبية. وخلصت الدراسة إلي أن هنالك عوامل متعددة و متداخلة يصعب معها الفصل والتحديد، أسهمت بدرجات متفاوتة في انتشار الجريمة: منها ما هو اقتصادي واجتماعي وثقافي، وقد أظهرت الدراسة جملة من النتائج أهمها: أن الفقر والعادات والتقاليد هي المحرك والدافع الأساسي لارتكاب الجريمة، وبناء على هذه النتائج تم تقديم مجموعة من التوصيات منها: إدراج الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في عملية وضع حل لأسباب الجرائم بالولاية (الحل من الجذور)، والاهتمام بتغير المفاهيم الخاطئة في المجتمعات المؤمنة بالعادات والتقاليد المساعدة في تفاقم عمليات الجريمة بين السكان.

Abstract

This study examined the reality of crime in Kassala State, eastern Sudan, and its prevalence in Kassala State, with its various localities, in the quality and proportion of crimes prevalent in it. The study relied on the primary information gathered through field work in the study area and personal interviews (formal and informal). In addition, the study was supplemented

with secondary information from its published and unpublished sources, then the study took the regional approach as well as the statistical approach to statistical data the evolutionary approach and the case study approach and adopted The study is based on a hypothesis, in order to achieve the aims of the study. In this study, consideration is given to the ethics of scientific research that states (the principle of sensitivity to others. Research ethics include taking into account the possible effects of the study on a sample The study, sometimes, we find the truth good, but respect for human dignity is better even if it leads to not carrying out the study itself) and accordingly, no tribal ethnicities, one of the persons, or any other official or popular body has been exposed. The study concluded that there are multiple and interrelated factors with which it is difficult to separate and identify, which contributed in varying degrees to the spread of crime, including what is economic, social and cultural. The study has shown a number of results, the most important of which are: Poverty, customs and traditions are the main driver and motive for committing crime and based on these results a set of recommendations was presented, including: Inclusion of economic, social and cultural exclusion in the state's crime-solving process (the solution from the roots) and attention to changing misconceptions in societies with beliefs and traditions that help exacerbate crime processes among the population

المحور الأول: أساسيات الدراسة: المقدمة:

الجريمة عمل إنساني في المقام الأول، وبداية أعمال الحياة البشرية كانت جريمة قتل عمد بين اخوين أشقاء، قال تعالى: (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ). (ال عمران 30) والجريمة تمثل ضرر بشري عظيم، وذلك لخطورتها وتهديداتها للأمن والسلام الاجتماعي، وللجريمة أسبابها ودواعيها لدي مرتكبها، منها ما هو اقتصادي تتمثل في الفقر، ومنها ما هو ثقافي من خلال محاكاة الأفلام الأجنبية، ومنها ما هو اجتماعي، والذي تبدو مؤثراته في اخذ الثار، ومنا منها ما هو سياسي تتمثل في الاغتيالات السياسية، والجريمة عملية متطورة بتطور الأزمان والآليات، ونجد أن الجريمة في معظم الأحيان تفوق الأجهزة الأمنية في عمليات التطور والتسابق في إجراء الجريمة نفسها مما يُوخِر عملية اكتشافها في محوري السرعة والحسم.

مشكلة الدراسة:

ولاية كسلا من ضمن ولايات السودان الحدودية، والتي تتسم بما يسمى بظاهرة الاتجار بالبشر والتهريب السلعي، الأمر الذي يهدد أمن إنسان بالولاية ولذا تكمن مشكلة الدراسة في أن الولاية أصبحت توصم بوصمة الجريمة، وعليه تحاول الدراسة الإجابة على السؤال الرئيسي وهو؟ ما هو واقع الجريمة بولاية كسلا بشرق السودان؟

أسئلة الدراسة:

1. ماهي أنواع الجرائم المرتكبة بالولاية؟
2. هل هنالك عوامل مساهمة في ارتكاب الجريمة بالولاية؟
3. هل توجد حلول ذكية غير الأمنية لمكافحة الجريمة بالولاية؟

أهداف الدراسة:

1. استنباط العوامل المؤدية والمؤثرة في العلمية الإجرامية للجانحين بالولاية.
2. التوصل الي مقترحات وحلول مرحلية لمواجهة وتقليل واقع الجريمة الحالي.
3. الوقوف علي أسباب وتفسيرات ارتكاب الجريمة ووضع مقترحات لحلها.
4. إضافة الي مكتبة الأرقام والإحصاءات عن هذا المكون المجتمعي (الإضافة المعرفية).

أهمية الدراسة:

1. رصد واقع الجريمة في ولاية كسلا مما يساعد المشرعين والنظاميين في وضع الحلول المناسبة.
2. تشخيص أسباب ودواعي حدوث الجريمة بالولاية.
3. التعرف علي أنماط الجرائم بالولاية من حيث (التوزيع ألمناطقى - الجرائم الأكثر تكرارا وحضورا).
4. الوصول للتكامل بين متخذي القرار والجهات ذات الصلة عن واقع الجريمة بولاية كسلا، تماشيا مع وضع رؤية موحدة للحد من ارتكاب الجريمة التي لها تأثيرات علي مكونات البناء الاجتماعي.
5. ندرة الأبحاث والدراسات ذات الصلة عن موضوع الجرائم والجريمة بولاية كسلا.

حدود الدراسة:

- تكمن حدود الدراسة في ثلاث محاور وهي:
- الحدود الزمانية: من (2013 - 2018 م)
- الحدود المكانية: ولاية كسلا بحدودها الإدارية المعروفة وذلك حسب تقسم الولايات في ديوان الحكم المحلي لعام (1993م)
- الحدود الموضوعية: واقع الجريمة بولاية كسلا بشرق السودان دراسة تحليلية (دراسة حالة نزلاء سجن كسلا القومي) وهي من ضمن جغرافية الجريمة.
- فروض الدراسة:** تركز الفرضيات في سؤال رئيسي وهو:
- واقع الجريمة بولاية كسلا بشرق السودان له مظاهره وعوامله وانعكاساته على الولاية.

المناهج المستخدمة في الدراسة:

المنهج الوصفي التحليلي:

لقد ذكر (إبراهيم، 2000م) بخصوص المنهج الوصفي التحليلي بأنه يستخدم للتحقيق من فرضيات الدراسة لأنه يتناول الظواهر كما هي في الواقع ويساعد في الوصول للنتائج المرجوة من خلال الوصف والتحليل للظروف والشروط المحيطة لعملية العناصر المؤثرة والآثار الناتجة في عملية الأمن الاجتماعي بالمستقرات الحضرية بالولاية شرق السودان.

المنهج الاستقرائي:

لقد أورد (الخير، 1990م) عن المنهج التاريخي بأنه يمثل الظواهر الطبيعية والبشرية والتغيير عبر الزمن، إما على افتراض ثبات عامل المكان أو تقليل الاختلافات المكانية إلى حدها الأدنى، وأن معظم الظواهر المتغيرة هي ظواهر اجتماعية، وأما الظواهر الطبيعية فهي تتغير بدرجة محددة، وبناء على ذلك استخدم هذا المنهج لتوضيح وتطورات والتغيرات التي حدثت في المنطقة التاريخية والدور الذي تقوم الولاية اتجاه المهددات الأمن الاجتماعي في الولاية وآثارها اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا واستراتيجيا

منهج دراسة الحالة:

هي طريقة تقويمية تتم عن طريق فحص منتظم لسمات عديدة خاصة لفرد أو جماعة أو أسرة أو مجتمع والتي عادة ما يستغرق فترة من الزمن، كما تعرف دراسة الحالة علي انه المنهج الذي يتجه الي جمع البيانات المتعلقة بأية وحدة سواء كانت فرد أو مؤسسة أو نظاما اجتماعيا أو مجتمعا محليا وإجراء دراسة متعمقة لهذه البيانات بقصد الوصول الي معطيات علمية متعلقة بالوحدة المدروسة أو لغيرها من الوحدات المشابهة لها (الدخيل، 2005م).

مصادر جمع البيانات:

تم إجراء عدة مقابلات مع بعض الأشخاص المعنيين بالأمر في مجتمع الدراسة (ضباط سجن كسلا القومي)، بالإضافة إلى المجموعات البؤرية، والتي يقصد بها التفكير بعقل جمعي مع كبار السن الذين كانوا شاهدين علي العصر والإحداث، من خلال المناقشة والتعليق في حلقات نقاشية مخططة ومنظمة عن موضوع الدراسة ذو الطبيعة النوعية ويتم خلالها إجراء مجموعة من التفاعلات البينية بين جميع الأعضاء المشاركين في المناقشة تحت قيادة باحث رئيسي يقوم بتنظيم التفاعل والنقاش وتستمر الحلقة النقاشية من 90 - 120 دقيقة (العامري 2015م) وذلك نقلا من (الشيخ، 2017م). ومن مزايا المجموعة البؤرية انها:

1. توفر تفاصيل أدق من ما يوفرها المسح الميداني.
2. تساعد علي الفهم العميق للموضوع أو المشكلة
3. تتسم بمرونتها التي تسمح ببحث مواضيع غير متوقعة أو لتوضيح الأسباب في

موضوعات فرعية

4. أسلوبها سهل الفهم وتتمتع نتائجها بالمصداقية.
5. تعد أسلوبا مهما لفهم آراء الجماعات المستفيدة من البرامج التي تواجه المشكلة (المبحوثة) كما تسهم في الحل المشكلة بالمشاركة المجتمعية
6. تفيد في تقويم السياسات الشعبية وتعد طريقة فعالة في التزويد بتغذية راجعة مباشرة ومن ثم تنقل الانطباعات الشعبية علي نحو فعال تم إجراء عدد حوالي سبعة جلسات مناقشة.
7. بالإضافة إلي ذلك يعتمد الباحث البيانات والإحصاءات المطلوبة للدراسة من عدة مصادر فرضتها الدراسة مثل الكتب المنهجية الجغرافية والتقارير والنشرات العلمية التي صدرت من جهات ذات الصلة ذات الصلة بالولاية.بالإضافة الي المقابلات الشخصية مع الإداريين لهم علاقة وثيقة بموضوع الدراسة.

المحور الثاني: الإطار النظري: مفاهيم ذات الصلة واقع الجريمة:

أولاً: الجريمة وتعريفها:

تعريف الجريمة: الجريمة ظاهرة اجتماعية سلبية تعبر عن خلل وارتباك العلاقات الاجتماعية بالسلوك الاجتماعي وتجسيد طبيعة التناقضات في المتغيرات الموضوعية والذاتية المؤثرة في بيئة الإنسان وحياته الاجتماعية وتشخيص ماهية المشكلات الإنسانية الي يعاني منهما الفرد والجماعة علي حد سواء (الحسن، 2001م)

تعريف آخر للجريمة:

هي أي سلوك مخالف القانون وزاد بعض العلماء في تعريف الجريمة تشمل ارتكاب أي سلوك مخالف لمعايير المجتمع الأخلاقية التي اتفقت عليها الجماعة حتي وان لم يتم اعتبارها كقوانين، والجرائم طبقاً لأحكام القانون تنقسم الي ثلاثة أقسام مخالفات وجنح وجنايات وتندرج العقوبة وفقاً لخطورة الجريمة (الدخيل، 2005م).

الفرق بين الانحراف والجريمة:

أولاً: الانحراف:

يقصد به الخروج عن أنماط السلوك الاجتماعي المألوف والمتعارف عليه في المجتمع ما، وان لم يرد نص تجريمي يصدهه او عقاب معين وهو سلوك يتناقض مع قيم المجتمع وتسيطر عليه الغريزة مثل الكذب وغيره (قمر، 2008م).

ثانياً: الجريمة: وتعرف الجرائم في الشريعة الإسلامية بأنها محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعزير. (الماوردي، د ت)

ويعد الفعل (جريمة) إذا توفرت فيها الشروط التالية كما ذكرها (أبو زيد، 2003م):

1. يتضمن الفعل أذي أو ضرر علي إنسان ما بواسطة الفاعل.
 2. يكون الفعل مما ينص القانون علي منعه وقت وقوعه.
 3. يتوافر القصد الجنائي لدي الفاعل.
 4. توجد علاقة سببية بين السلوك الضار الإرادي والضرر الناجم عنه.
 5. يكون هناك عقوبة مقدرة بنص القانون.
- وأضاف (طوقان، 2012م) من ناحيتي التميز بين الانحراف والجريمة، إن الانحراف علي اعتبار انه السلوك الذي يستدعي جزاء غير رسمي، إما الجريمة فهي تستدعي جزاء رسميا كالاقتال والمحاكمة.

الجريمة في التصور القانوني:

فهي كل فعل أو امتناع عن فعل يصدر عن شخص مسؤول و ينص القانون عليه ويحدد له عقوبة جزائية تطبيقا لمبدأ الشرعية حيث لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص قانوني، ولكل مجتمع جرائمه التي تتناسب مع ظروفه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية (المهيرات، 2000م).

الجريمة المنظمة:

الجريمة المنظمة التي تتوافق فيها الأركان التخطيط والتنظيم والتنفيذ وهي ذات مجتمع مغلق تعتمد علي الرشوة والربح السريع والاستخدام المفرط للسلطة والجريمة المنظمة تقوم أساسا علي تنظيم مؤسس ثابت وهذا التنظيم له بناء هرمي ومستويات للقيادة وقاعدة للتنفيذ وادوار ومهام ثابتة وفرص للترقي في إطار التنظيم الوطني ودستور داخلي صارم يضمن الولاء والنظام داخل التنظيم ثم الأهم من ذلك الاستمرارية وعدم التوقيت (النبهان 1989م).

مقومات الأمن الاجتماعي: كما تناوّلها (عمارة، 1998م) وهي كما يلي:

1. التماسك بين أفراد المجتمع من خلال الانتماء للوطن والمجتمع فالأمن الاجتماعي بما يقدمه للمواطن من أسباب الطمأنينة والرفاهية يتطلب من هذا المواطن مساهمة فعالة في تحقيق انطلاقة من شعور راسخ لديه بأن ينعم به غيره من خير إنما هو ينعم به أيضا.
2. التعاطف بين أبناء الوطن الواحد
3. توفر الجهاز القضائي القادر والعادل علي تطبيق القوانين والأنظمة التشريعية.
4. توفر أجهزة الأمن لحفظ العدالة الاجتماعية سوء إشاعة الطمأنينة لدي أفراد المجتمع.
5. توفر المؤسسات التربوية بصورة عامة التي توجه الإنسان وتساعد علي التعلم علي الحياة الاجتماعية وتعضيد سياسة التربية المدنية والدنية لمعامل من عوامل الوقاية من الجريمة والانحراف.
6. توفر المؤسسات العقابية والإصلاحية لتأهيل المحكوم عليهم مهنيا واجتماعيا.

7. توفر المؤسسات الاجتماعية والجمعيات الخيرية التي تقدم الخدمات الاجتماعية لإفراد الشعب فيشعر الفرد بمسؤولية المجتمع حوله بما يعظم انتماءه لهذا المجتمع.

الأمن الاجتماعي في السودان:

تناولها (الحاج، 2017م) ان الأمن الاجتماعي في السودان يهدف الي مواجهة التهديدات الموجهة نحو الحياة الاجتماعية كالمخاطر التي تهدد النسيج الاجتماعي ما يمكن إن يندرج تحتها من ضمان الأمن الثقافي للمجتمع والأمن السياسي وإمكانية العيش بسلام بتوفير السلام الاجتماعي ومشاركة الأفراد في عملية صنع القرار السياسي والاجتماعي وإقامة النظم العقابية العادلة وضمان حكم القانون وسيادته ومن أنواع الأمن الاجتماعي: يعني بسلامة الأفراد والجماعات من الإخطار الداخلية والخارجية التي تحيط بهم كالإخطار التي يتعرض لها الأفراد والجماعات من القتل والاختطاف والاعتداء علي الممتلكات بالتخريب أو السرقة.

أنواع السجون في السودان:

يوجد في السودان أربع أنواع من السجون في السودان وهي علي النحو التالي:

1- سجون قومية: مثل سجن كوبر وبور تسودان وكسلا وهي تحت إشراف اتحادي مباشرة

2- سجون ولائية: مثل أروما وحلفا وكسلا وهي تحت إشراف ولائي مباشرة

3- سجون محليات: مثل أروما وحلفا وكسلا وهي تحت إشراف ولائي مباشرة وبالإضافة للمحليات.

4- سجون المعسكرات: وهي وهي تحت إشراف ولائي مباشرة وهي تنقسم الي قسمين

أ- سجون المعسكرات المفتوحة: وهي مستمرة طوال العام لقضاء وتنفيذ الأعمال الشاقة

ب- سجون المعسكرات شبه المفتوحة: يتم إغلاقها إثناء مواسم الامطار لقضاء وتنفيذ الأعمال الشاقة (مقابلة ضباط سجن كسلا القومي، 2020م) كمجموعات بؤرية)

المحور الثالث: الموقع الجغرافي لولاية كسلا:

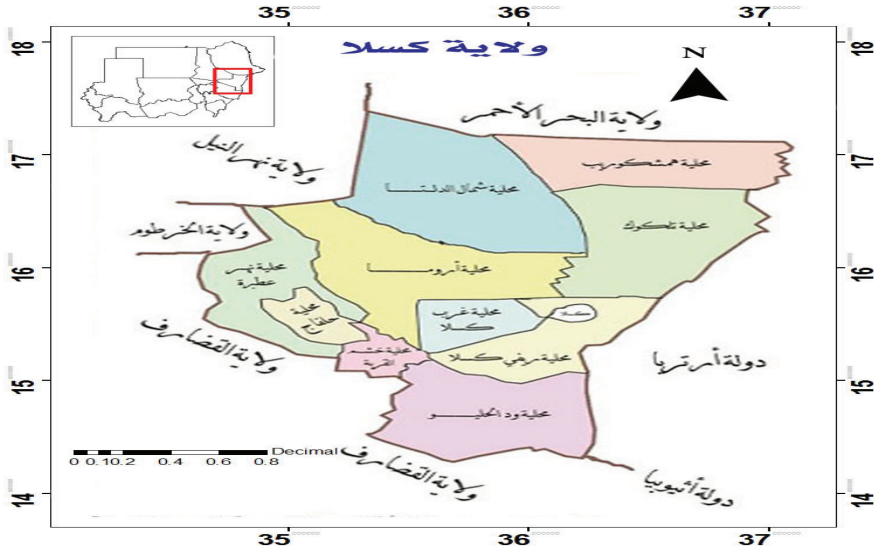
تقع ولاية كسلا في الجزء الشرقي للسودان، حيث يحدها من الشرق دولة إرتريا ومن الشمال ولاية البحر الأحمر ومن الجنوب الغربي ولاية القضارف ومن الشمال الغربي ولاية نهر النيل أما موقعها الفلكي تقع بين دائرتي عرض (14.45° و 15.17° شمال) خط الاستواء بينما تقع بين خطي طول (34.40° و 37° شرق) خط غرينتش. المساحة: تقدر مساحة الولاية بحوالي (42320 كلم²) تمثل (1.8%) من إجمالي مساحة السودان. عاصمتها كسلا، وتضم ولاية كسلا احدي عشرة محلية وهي مدينة كسلا، ريفي كسلا، ريفي غرب كسلا، ريفي همشكوريب، ريف تلكوك،

ريفي ود الحليو،ريفي خشم القربة،ريفي شمال الدلتا،ريفي اروما،مدينة حلفا الجديدة،ريفي نهر عطبرة.تقع الولاية ضمن نطاق حزام الساحل الأفريقي والذي يمتد عرضيا جنوب الصحراء الكبرى بين دائرتي عرض (15و25) درجة شمالا من المحيط الأطلسي غربا إلي البحر الأحمر ويشكل جزءا من الأراضي الجافة في العالم التي تشكل 33%من اليابسة وتقع غالبيتها في قارة افريقيا،كما تقع الولاية ضمن حزام العطش في السودان والذي يمتد بين دائرتي عرض(11و16) درجة شمال خط الاستواء.وفقا لتصنيف كوبن (1923Koppenم) نقلا من التوم،1981م يمكن تقسيم الولاية إلي جزئين:

1. الشمالي يقع ضمن تأثير المناخ الصحراوي الحار الجاف
2. الجزء الجنوبي يقع ضمن المناخ الصحراوي شبه الجاف.

إما مناخيا:يتمثل مناخ الولاية في صورته العامة نمط انتقالي بحكم موقع الولاية الجغرافي بين الإقليم الصحراوي في الشمال والإقليم المداري السوداني في الجنوب.إما من ناحية السكان: فيبلغ تعداد سكان الولاية (2360083) نسمة حسب إسقاطات لعام (2016م) بكثافة سكانية (56)نسمة /كلم 2 ويشكلون (58%) من سكان السودان والمعدل السنوي للنمو(2.8%) وهو يماثل معدل النمو في السودان ويشكل الذكور(55%) من مجموع السكان بينما الإناث يشكلن (45%) ويعيش (73.9%) من السكان الولاية في المناطق الريفية بينما (26%) من السكان يعيشون في المناطق الحضرية.والخريطة (1) تدعم ذلك

الخريطة (1) موقع ولاية كسلا



المصدر: وزارة التخطيط العمراني،2017م

المحور الرابع: الجريمة بكسلا الواقع والحلول من خلال نزلاء السجن

من خلال سجن كسلا القومي تبين أن هنالك عدد من الجرائم التي تعتبر طبيعية لطبيعة الحراك البشري، إذ أن الولاية حدودية وحدودها مفتوحة مع عدد من الولايات، ولها حدود دولية مع اريتريا، وطبيعة التركيبة القبلية، وحراك أهل الأنعام وأصحاب المواشي السنوي، وفتح المسارات بينهم والمزارعين الموسمين، والتجارة الحدودية، كل ذلك حفز الباحثين لمعرفة الجرائم الموجودة التي ثبتت وحكم فيها على نزلاء سجن كسلا، مع الاجتهاد في وضع الحلول المناسبة لها، خدمة للبلاد والعباد، وتأكيد على دور الباحثين في مجتمع ولاية كسلا.

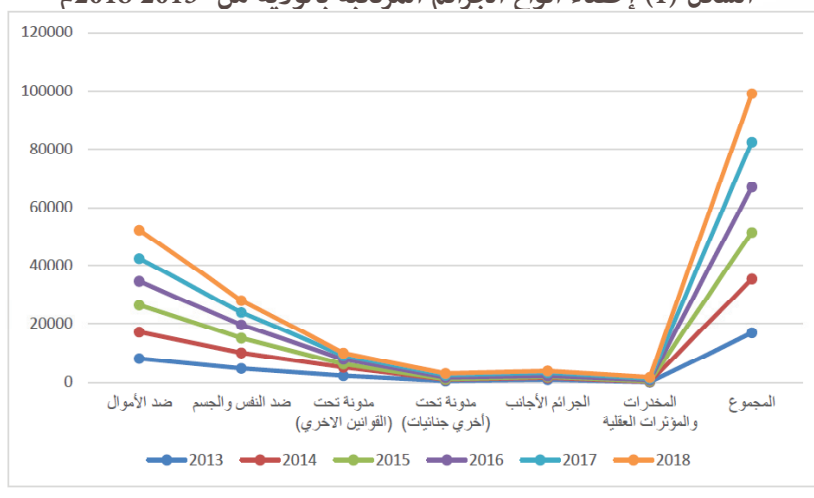
واقع الجريمة بولاية كسلا:

جدول (1) إحصاء أنواع الجرائم المرتكبة بالولاية من 2013-2018م

أنواع الجرائم	2013	2014	2015	2016	2017	2018
ضد الأموال	8198	8949	9314	8083	7808	9871
ضد النفس والجسم	4811	5310	4975	4549	4304	4051
مدونة تحت (القوانين الاخرى)	2270	2905	1142	1675	1245	813
مدونة تحت (أخرى جنائيات)	494	525	146	542	740	635
الجرائم الأجانب	989	619	309	323	1046	659
المخدرات والمؤثرات العقلية	130	149	198	368	423	527
المجموع	16892	18457	16084	15540	15566	16566

المصدر: دائرة الجنايات ولاية كسلا، 2019م

الشكل (1) إحصاء أنواع الجرائم المرتكبة بالولاية من 2013-2018م



المصدر: عمل الباحثين مستمدة من دائرة الجنايات ولاية كسلا، 2019م

تعد إحصائيات الجرائم من الإحصاءات الهامة التي توضح أنواع الجرائم مما يساهم في عمليات تخطيط أمن المجتمع ومن الجدول والشكل (1) نستخلص النتائج التالية:

1- الجرائم الواقعة علي المال:

انخفاض ملحوظ في عدد بلاغات جرائم ضد المال للعام 2017م حيث بلغ عدد الجرائم (7808) مقارنةً للعام (2016م) حيث بلغ العدد (8083) يعزي ذلك للوجود الشرطي بالأسواق والمواقع الطرفية إضافة الاطواف والكمائن الليلية وعمل السواري بالأسواق والسيطرة علي متعادي الإجرام بالمراقبة والتحفظ عليه.

2- الجرائم الواقعة علي النفس والجسم:

انخفاض في بلاغات جرائم النفس للعام (2017م) حيث بلغ عدد الجرائم (4304) مقارنةً للعام (2016م) حيث بلغ العدد (4599) ويعزي الي سيطرة الشرطة والنجدة وقوة الارتكازات علي مواقع صناعة الخمور البلدية والمواقع الطرفية والتي تمثل الجريمة فيها بنسبة 75% من نسبة الجريمة والمسبب الرئيسي فيها احتساء الخمر.

3- الجرائم الواقعة تحت القوانين الاخرى:

انخفاض عدد الجرائم تحت القوانين الاخرى في العام (2017م) الي (1245) مقارنةً للعام (2016م) حيث بلغ العدد (1675) ملحوظة في الجرائم الواقعة تحت القوانين الاخرى يعزي ذلك لانخفاض بلاغات التهريب (المواد البترولية- الغذائية - مواد البناء) لنشاط قوات مكافحة التهريب والطواف المشترك.

4- الجرائم المرتكبة بواسطة الأجانب:

إن الجرائم المرتكبة بواسطة الوجود الأجنبي بالولاية في ارتفاع ملحوظ في عام 2017م حيث بلغ عدد الجرائم (1046) مقارنةً للعام 2016م حيث بلغ (323) نتيجة لبلاغات الآداب العامة والأفعال الفاحشة كم تشير لحملات النظام العام علي بائعات الشاي والقهوة والشيشة من الارتريات والإثيوبيات إما عام إحصاءات العام 2014م تشير الي ارتفاع حجم الجرائم بنسب متفاوتة كما تشير الي انخفاض جرائم الأجانب كنتيجة للتطبيق الصارم لقانون مكافحة الاتجار بالبشر إضافة الي تنفيذ سياسة الأبعاد عن الأراضي السودانية.

5- جرائم المخدرات:

هنالك ارتفاع في بلاغات المخدرات من (368) في العام (2016م) الي (423) في العام (2017م) خاصة وسط فئات الشباب والشباب المتعاطين لحشيش (الشاش مندي) المستجلب من دولة إثيوبيا عبر التهريب

الأرقام المظلمة:

والتي تناولها (المشهداني، 2005م) وهي أن المعلومات التي توفرها الإحصاءات الجنائية تعبر

عما وصل فعلا الي علم الجهات الرسمية من النشاط الإجرامي، ومن الطبيعي ان هذا لا يعني كل النشاط الإجرامي الفعلي الذي حصل وقد لا يكون للسلطات علم به.

أن الإحصاءات الجنائية تشير الي مآثم الإبلاغ عنه رسميا الي السلطات او تم اكتشافه من قبلها حيث أن هناك نسبة لا يستهان بها من النشاط الإجرامي لاتصل الي علم السلطات ولا يعرف عنها الكثير وإنما تسمى بالجرائم الخفية او الجرائم المستترة او الأرقام المظلمة (Dark Figures) أي الجرائم التي لم تظهر علي السطح لتعرف، أي ظلت خفية لم يعلم بها احد.

وهناك جملة من الأسباب التي تدعو الي عدم ظهور بعض النشاط الإجرامي ضمن الإحصاءات الجنائية ومنها:

1- قد يتردد الأشخاص الذين علموا بوقوع الجريمة، عن الإبلاغ عنها ضمانا لمصلحتهم او حفظا علي سمعتهم او خشية من بطش الجنائي إذا تم الإبلاغ عنه.

2- قد يكون سبب عدم الإبلاغ هو الجهل بالقانون وعدم المعرفة بان الفعل المرتكب هو مخالف للقانون.

3- قد يري المتضرر او المجني عليه ان الضرر الواقع عليه بسيط ولا يستدعي تحمل عناء إبلاغ الشرطة او الجهات المسؤولة.

4- قد تكون الجريمة المرتكبة او الواقعة ذات طبيعة خاصة تدعو الي التكتم او الخوف من فضيحة اجتماعية مثل الجرائم الجنسية او الإجهاض او سرقة الفروع من الأصول، فيفضل أهل المجني عليه عدم الإبلاغ.

5- كون الشخص من أقرباء الجاني او معارفه فيتردد عن الإبلاغ.

6- قد يشعر صاحب المعلومات إن أجهزة العدالة لن تسهل له السيل في الإخبار نتيجة عدم ثقته او عدم قناعته بجدوى ذلك واعتقاده أن تلك الأجهزة لن تحقق له غايته في القصاص من الجاني.

7- التقاليد الاجتماعية الخاطئة قد تدفع الشخص الي التكتم وعدم الإبلاغ حيث يشعر أن ذلك يسبب له عيبا ووصمة اجتماعية.

8- قد يفضل البعض حل مشاكلهم الناجمة عن وقوع الجريمة من خلال المصالحة والتراضي او من خلال اللجوء الي الانتقام او الثار.

9- قد يكون السبب في عدم الإبلاغ هو عدم وجود وسيلة اتصال قريبة او بعد مركز الشرطة عن مكان الحادث فيركن ذو العلاقة الي السكوت تفاديا لمتاعب السفر ومصاريفه.

10- وقد يكون السبب عائدا الي قصد من قبل بعض الجهات التحقيق في تخفيض أرقام المسجل من الجرائم تحاشيا للمسائلة من قبل الجهات الاعلي، والاثهام بالتقصير او عدم الكفاءة في منع وقوع الجرائم.

نُبذة عن سجن كسلا القومي:

تم إنشاء سجن كسلا القومي ابان الحكم الانجليزي المصري للسودان، وكان عبارة عن ثكنات لإفراد الجيش الانجليزي المصري، ومن ثم تم تحويله مع الاستقلال (1956م) إلى سجن، ويعد من السجون القومية في السودان، إما مكونات السجن فهي علي النحو التالي:

1- خمسة عشر غرفة صغيرة زنازة (للمخالفات والإعدام).

2- احد عشر عنبر کبیر.

3- ست مكاتب إدارية.

4- خارجيا به مشنقة تحت التشييد.

المشكلات التي يعاني منها السجن:

ويعاني سجن كسلا من عدة أشياء متمثلة فيه كالآتي:

1- قدم الأبنية

2- انعدام التجديدات.

ماهي أعداد النزلاء بالسجن:

بالنظر الي الجدول (2) يوضح لنا نوعية السجناء من حيث النوع فالرجال (419) وجلا والنساء (19) امرأة وتتراوح أعمارهم من (18 إلـي فوق 60) عاما كما يوجد بالسجن نزلاء أجانب يتمثلون في الارترين وهم بنسبة 45% من مجموع نزلاء السجن نتيجة لعمليات الاتجار بالبشر وتهريب الأشخاص وعادة يتم ترحيلهم الي ديارهم الأصلية وذلك بعد تسوية أوضاعهم بالسودان من خلال منظمات تعمل في هذا المجال لمساعدة تلك الفئات ولكن في الآونة الأخيرة انقطع عمل تلك المنظمات منذ عام 2017م.

جدول (2) أعداد النزلاء بالسجن

النوع	الإعداد	النسبة %
الرجال	419	95.6%
النساء	19	4.4%
المجموع	438	100%

المصدر: مقابلة ضباط سجن كسلا القومي، 2020م (كمجموعات بؤرية)

أنواع الجرائم المرتبطة:

جدول (3) أنواع الجرائم المرتبطة:

نوع الجريمة	النسبة المئوية %
الخمور البلدية	15%
الاتجار بالبشر	45%
المخدرات	20%
الاغتصاب	10%
السرقه	10%
المجموع	100%

المصدر: مقابلة ضباط سجن كسلا القومي، 2020م (كمجموعات بؤرية)

الاغتصاب وهو جريمة ضد الطفولة وله أسبابه لدي مرتكبي تلك الجريمة بالولاية وهي علي النحو التالي:

- 1- ضعف وفقدان الوازع الديني لدي مرتكبي تلك الجريمة.
 - 2- مرتكب الجريمة نفسه ربما يكون أن حدث له تعدي سابق أيام طفولته يعد هذا النوع كردة فعل مضاد اتجاه المجتمع.
 - 3- يعد كآسلوب تخويفي تستخدمه بعض الأسر او الجيران وذلك لوجود مشكلات بينهم ونسبة ان القانون في هذه القضايا رادع جدا.
- وجرائم المخدرات تعد من الجرائم العابرة للحدود الوطنية ويمكن ورائها أهداف تدميرية ربما تكون هي نوع من أنواع الحرب الخفية علي الدولة من خلال تدمير شبابها وهنا في ولاية كسلا يتم التعامل مع المخدرات أما ترويجا وتعاطيا وذلك بسبب الفراغ و العطالة

أسباب الجرائم المرتبطة:

تتعدد أسباب ارتكاب الجرائم بولاية كسلا وهي متداخلة يصعب فصلها عن بعضها البعض وهي تبدو كحلقة دائرية الشكل منها ما هو نتاج ظروف اقتصادية الذي تبدو مؤشرات في الفقر وعلاء المعشية مع تآكل قيمة الجنية السوداني مقابل العملات الأجنبية مما ادي انخفاض مستوي الدخل لدي الأفراد التفاوتات الطبقية بين السكان

وهناك عوامل وأسباب اجتماعية والذي تبدو مؤشرات في التصعد الأسري مثل غياب الأب او ولي الأمر عن المنزل بحثا عن قمة العيش وايضا الطلاق وذلك تعدد الزوجات وأثره علي الأطفال مما يؤثر علي الحرمان الاجتماعي والإهمال الأسري. وكذلك الجهل والأمية لها أثرها في ارتكاب الجريمة

وايضا توجد عوامل دينية تبدو مؤشرات في ضعف القيم الأخلاقية والدينية

إما العوامل الثقافية المتمثلة في التربية الأسرية نفسها وخاصة لدى الأسر التي تمارس بيع الخمور البلدية نجد أن التنشئة تقوم بالجرائم وايضا جرائم السرقات خاصة البهائم تعد كجزء من العادات والتقاليد لدى بعض القبائل النازحة وذلك لإتمام زواجه كشرط أساسي ممارسة سرقة البهائم (هذه القبائل جاءت الي كسلا بعاداتها وتقاليدها). وتماشيا مع ذلك ضالة وانهيار عوامل الدف الأسري مع اصطياذ البيئة الخارجية المتمثلة في أقران السوء من خلال المحاكاة والتقليد الاعمي للسلوكيات والتصرفات الغير مسئولة. مثل تعاطي المخدرات وشرب الخمر كذلك نجد إن عامل المحاكاة لواقع جرائم أخرى عبر الأصدقاء او وسائل التواصل الاجتماعي، وايضا جرائم الثار وهي من الجرائم ذات الصلة بولاية كسلا

الفصول الزمانية التي يتم فيه ارتكاب الجرائم:

أكثر الفصول ارتكابا للجرائم هو فصل الخريف الذي يمتد ما بين شهري يونيو واغسطس من عام وذلك للتحركات السكانية من خلال التعدي علي المراعي وكذلك الصراع مابين الرعاة والمزارعين واغلبها في نهاية المطاف تنهي بالقتل ويحكم بالمادة (130) من القانون الإحكام الجنائية.

الأمراض التي يعاني منها النزلاء بالسجن:

يتضح لنا من الجدول (4) إن مرض السل الرئوي يحتل بسبة 10% من جملة المصابين وهذا المرض له علاقة وثيقة بمرض نقص المناعة البشري (الايدز).

جدول (4) الأمراض التي يعاني منها النزلاء بالسجن

النسبة المئوية %	البيان
10%	السل الرئوي
2%	الايدز
88%	أصحاء
100%	المجموع

المصدر: مقابلة ضباط سجن كسلا القومي، 2020م (كمجموعات بؤرية)

إحصائية بلاغات التهريب والاتجار بالبشر من 2014-2018م

العوامل المساعدة في الاتجار بالبشر بولاية كسلا:

1. العزلة الاجتماعية
2. عدم وجود وثائق ثبوتية
3. لابتزاز الأسري من قبل تجار البشر
4. هروب الفئات الشبابية من دولة اريتريا خوفا من التجنيد العسكري.
5. الهشاشة الاجتماعية.

6. التدفق البشري المستمر من دولتي إريتريا وإثيوبيا وطالبي اللجوء.
 7. الهروب من الكوارث ولانفلات الأمني والأحلام الكاذب الي دول المجهر الأوربي
 8. ضعف الرقابة الإدارية والأمنية والقانونية والحكومية مما أدت الي تسارع في وتيرة جريمة الاتجار بالبشر بكافة إشكالها.
- والجداول (5 - 6 - 7 - 8 - 9) توضح قراءات عن إحصائية البلاغات والتهرب والاتجار بالبشر بولاية كسلا.

جدول (5) إحصائية بلاغات التهريب والاتجار بالبشر من 2014-2018م

الأعوام	تهريب البشر	اتجار بالبشر	الجملة
2014	11	21	32
2015	7	62	69
2016	2	58	60
2017	5	55	60
2018	12	38	50
الجملة	36	231	271

المصدر: شرطة المباحث، ولاية كسلا 2019م

جدول (6) بلاغات الاتجار بالبشر 2018م

عدد البلاغات	عدد المتهمين	عدد الرهائن
42	60	70

المصدر: شرطة المباحث، ولاية كسلا 2019م

- تمت محاكمة عدد 14 منهم بالسجن (10) سنوات والغرامة (50.000) إلف سوداني جنية بالعدم السجن (5) سنوات.
- تمت مصادرة عربة لاندكروزر في البلاغ رقم 2018/1479م.
 - أصول تمت مصادرتها من قبل المحكمة: عدد (2) لوري + عدد (3) بوكس.
 - تراوحت الأحكام ما بين (3- 6) أشهر + غرامات مالية تتراوح بين (5.000 إلى 20.000) إلف جنية سوداني.

المجهودات التي بذلتها الولاية للحد من الظاهرة:

- الأموال المصادرة في بلاغات الاتجار بالبشر من العام 2014 حتي العام 2018م التي تم الفصل فيها هي علي النحو التالي:
- 1. مبلغ (70.000) إلف جنية سوداني + (50) يورو + (23.000) دولار أمريكي.

2. عدد (6) عربية اتوس + عدد (4) عدد عربية لوري + عدد (11) عربية بوكس + عدد (1) دفار + عدد (1) عربية لاندكروزر + عدد (9) موتر + عدد (125) موبايل ماركات مختلفة + عدد (1) عقار.

3. عدد (128) بلاغ تم الفصل فيها بواسطة المحكمة بعقوبات أ- الإعدام.

ب- سجن لفترات تتراوح من (6 أشهر إلى 20 سنة) + غرامات مالية قدرها (370.000) ألف جنية سوداني.

جدول (7) إحصائية البلاغات المرصودة والمحاكمات للعام 2015م الاتجار بالبشر

البيان	عدد البلاغات	انتهت بالإدانة	حفظت	شطب لعدم الإدانة	عدد الضحايا في هذه البلاغات
2015م	96	56	7	28	128

المصدر: شرطة المباحث، ولاية كسلا 2019م.

ملحوظة:

تراوحت الأحكام ما بين (3 - 10) سنوات.

جدول (8) إحصائية البلاغات المرصودة والمحاكمات للعام 2014م الاتجار بالبشر

البيان	عدد البلاغات	انتهت بالإدانة	حفظت	شطب لعدم الإدانة	عدد الضحايا في هذه البلاغات
2015م	31	9	19	3	200

المصدر: شرطة المباحث، ولاية كسلا 2019م.

ملحوظة:

أصول تمت مصادرتها من قبل المحكمة عدد (2) لوري + عدد (3) بوكس.
تراوحت الأحكام ما بين (3 - 6) أشهر + غرامات تتراوح بين (5.000 إلى 20.000) ألف جنية سوداني.

المجهودات التي بذلتها الولاية للحد من الظاهرة:

الأموال المصادرة في بلاغات الاتجار بالبشر من العام 2014 إلى 2018م التي تم الفصل فيها:
1- مبلغ (107.000) ألف جنية سوداني + (50) يورو + (23.000) ألف دولار أمريكي.
2- تمت محاكمة عدد (14) متهم بالسجن (10) سنوات والغرامة بـ (50.000) ألف جنية سوداني بالعدم السجن لمدة (5) سنوات.

3- تمت مصادرة عربية لاندكروزر في البلاغ رقم 2018/1479م

4- تمت مصادرة عربية بوكس في البلاغ رقم 2018/184م.

جدول (9) إحصائية البلاغات المرصودة والمحاكمات للعام 2017م الاتجار بالبشر

البيان	عدد البلاغات	انتهت بالإدانة	حفظت	طرف المحاكم	عدد الضحايا في هذه البلاغات
2017م	60	20	15	25	1010

المصدر: شرطة المباحث، ولاية كسلا 2019م

- ملحوظة: أصول تمت مصادرتها من المحكمة
- عدد (3) بوكس + عدد (2) لوري + مبلغ (23.000) إلف دولار أمريكي. + مبلغ (100.000) إلف جنية سوداني.

الجرائم المتصلة بالاتجار بالبشر جريمة متعددة الجوانب والإبعاد وهي تختلف من مكان الآخر ومن دولة الاخرى تبدو مؤشرات تلك الجرام المتصلة بالاتجار بالبشر المخدرات وغسيل الأموال والرشوة للمسؤولين والفساد الإداري والدخول غير القانوني وعدم احترام هيبة الدولة وغيرها من الأمراض العابرة للحدود وغيرها من الجرائم والجدول (10) يوضح جرائم ترتكب في مختلف مراحل عملية الاتجار بالبشر والجرائم الاخرى ذات الصلة.

جدول (10) جرائم ترتكب في مختلف مراحل عملية الاتجار بالبشر والجرائم الاخرى ذات الصلة

الجلب	النقل او الدخول	الاستغلال	جرائم أخرى
تزوير الوثائق	تزوير الوثائق	القسر غير القانوني	غسيل الأموال
وعود احتيالية	خرق قانون الهجرة	التهديدات	التهرب من الضرائب
الخطف	إفساد الموظفين	الابتزاز	إفساد الموظفين
موافقة كاذبة من والد الطفل أو الوصي عليه	إتلاف ممتلكات	السجن الباطل	ترهيب الموظفين او إفسادهم
الجلب الذي يفتقر الضحية الي الأهلية او الموافقة عليه	كتم الوثائق	الخطف	_____
			هناك جرائم أخرى كالقوادة وسرقة الوثائق والاعتداء الجنسي والاغتصاب والموت والإجهاض قسرا والتعذيب

المصدر: البرنامج العالمي لمكافحة الاتجار بالبشر، 2006م

مساهمات المجتمع المدني في تقليل وتخفيض أعداد النزلاء:

هناك عدة منظمات رسمية وغير رسمية تعمل في تقليل وتخفيض أعداد النزلاء هي بمثابة مسؤولية اجتماعية اتجاها النزلاء وهي علي النحو التالي:

1. ديوان الزكاة سنويا وبصورة مستمرة لفلك الغارمين من النزلاء
2. منظمة كرم المداد

3. منظمات أجنبية (ماليزية وهندية) تقدم أبقار في عيد الاضحى المبارك
4. فاعلين خير
5. وعادة تكثر أعمال هذه المنظمات والخيرية خلال شهر رمضان من كل عام والأعياد (الاضحي والفطر)

دورة النزيل:

تعد دورة النزيل هي مرحلة وجوده داخل السجن من أول يوم الي آخر يوم. هنالك سجناء في حالة انتظار صدور إحكام ضدهم ويسمي نزيل تحت المحكمة او قيد التحري (الوجود داخل السجن). يتم التجديد الحبس للنزلاء قيد صدور إحكام ضدهم إما (أسبوعيا او كل عشرة أيام او كل شهر) بصورة دورية. بعد صدور الإحكام يكون للنزيل ملف به بياناته الأولية والشخصية له (اسم رباعي - المهنة - العمر - التلفون - عنوان الأقرب الأقربين - السكن - تاريخه الاجتماعي - الأمراض - العاهات مدة الحكم داخل السجن - طلب فحص صحي - طلب استرحام - إرشادات أولية توضح له حقوقه وواجباته اتجاه نفسه السجناء وإدارة السجن). وكل نزيل ملف بلون مختلف حسب مدة الحكم داخل السجن وهي كالآتي كما موضح في الجدول أدناه.

جدول (11) خصائص ملفات النزلاء

لون الملف	خصائص الملف
الأبيض	للمحكوم عليهم مدة ست أشهر او اقل من ذلك
الأزرق	للمحكوم عليهم مدة سنة او اقل من سنتين
الأصفر	للمحكوم عليهم مدة سنتين او أكثر من ذلك

المصدر: مقابلة ضباط سجن كسلا القومي، 2020م (كمجموعات بؤرية)

حقوق النزيل:

عادة يكون للنزلاء حقوق يتمتعون بها وهذا من باب الإنسانية والكرامة وهذه الحقوق هي كالآتي:

1. حق الضمانة في إثناء إجراء المحاكمات
2. الزيارة له من قبل الأسرة
3. الخلوة الشرعية للمتزوجين
4. حق التعليم
5. حق الصحة

6. حق إسقاط ربع المدة وذلك لحسن السير والسلوك

7. الغذاء الجيد

8. ممارسة الأنشطة الرياضية والثقافية.

المحور الخامس: الخاتمة والنتائج والتوصيات

وفي خاتمة هذا التطواف لواقع الجريمة بولاية كسلا، فقد توصلت الدراسة لعدد من النتائج والتوصيات لعلاج أسباب الجريمة، والوقاية منها مستقبلاً.

أولاً: النتائج: ولعل أهم نتائج هذه الدراسة هي:-

1. ن ولاية كسلا بها عدد من الجرائم التي كانت نتيجة لموقعها الجغرافي وتكوينها البشري.
2. من خلال الدراسة يتضح الجهد المبذول من خلال السجن القومي، وذلك عبر البرنامج الإصلاحي المستمر لإعادة صياغة النزول بالسجن في كسلا.
3. إن جرائم الاتجار وتهريب الأشخاص تحل قائمة السجل الإجرامي بولاية بنسبة 45% من جملة واقع الجريمة.
4. إن عنصر الذكور هو الغالب في عمليات ارتكاب الجريمة بالولاية بنسبة 95.4%.
5. نجد ان الدوافع الاقتصادية تحتل المرتبة الأولى لارتكاب الجرائم بالولاية وذلك لضعف الموارد وعدم استغلالها، مما ابرز عدد من الظواهر متمثلة في ظاهرة الفقر لعام.
6. -6 لا بد من اصطحاب الحلول المتعددة الجوانب لتقليل الجريمة في جميع الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
7. غياب الجانب المجتمعي في تهذيب النزلاء، وعدم وجود برامج لإدماج المنتهية أحكامهم في المجتمع.
8. التكاليف الباهظة في عمليات مكافحة الجريمة والمجرمين.
9. هنالك مظاهر مختلفة للنزلاء وجرائمهم، من خلال الجريمة والتي تبدو مؤشراتها في الآتي:

1. الخمور البلدية 15%

2. الاتجار بالبشر 45%

3. المخدرات 20%

4. الاغتصاب 10%

السرقات 10%

5. 10- من العوامل المسببة في ارتكاب الجريمة بولاية كسلا ما يلي:

6. 1- اقتصادية.

7. 2- اجتماعية

8. 3- ثقافية

9. 4- دينية

التوصيات:

1. إدراج الإبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في عملية حل الجرائم بالولاية (الحل من الجذور).
2. تغيير المفاهيم الخاطئة في المجتمعات المؤمنة بنوع من العادات والتقاليد المساعدة في تفاقم عمليات الجريمة.
3. عمل دراسات تتابعيه لتشخيص الجرائم بالولاية والتعرف علي (أنواعها - مواقعها - خصائصها - دوافعها) ووضع الحلول والمعالجات الاستباقية لها قبل وقوعها (الحل من الجذور)
4. أبراز دور الأسرة في عملية التربية الاجتماعية لآبناءهم وغرس القيم والأسس الأخلاقية القويمة والاجتماعية والدينية التي تساهم في تقليل او انعدام الجريمة.
5. إخضاع النزلاء لبرامج تأهيلية وتربوية وتوعية بإبعاد وانعكاسات الجريمة وذلك بغرض عدم العودة مرة أخرى لممارسة وارتكاب السلوك الإجرامي والجرائم نفسها.
6. لآبد من الاهتمام بعنصر الشباب ومعالجة أوضاعهم الاقتصادية عن طريق فتح وتبني طرائق عمل جديدة ومناسبة او إضافة عناصر التمويل الأصغر لهم
7. تفعيل دور وسائل الإعلام والدعاة والمشايخ والعمد مع إدارة السجون بمختلف أنواعها في نشر الوعي ضد الجريمة ومخاطرها بين السكان المحليين.

المراجع:

1. إبراهيم. مروان عبد المجيد (2000م): أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، ط1، مؤسسة الوراق. عمان. الأردن
2. أبو زيد، محمود، (2003م): المعجم في علم الإجرام القانوني والعقاب، ط2، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
3. البرنامج العالمي لمكافحة الاتجار بالبشر، (2006م)، مجموعة أدوات لمكافحة الاتجار بالأشخاص، مكتب الأمم المتحدة.
4. التوم (1981م)، مهدي التوم: طبيعة البيئات الصحراوية، معهد الدراسات البيئية، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، السودان.
5. الحاج، اسعد صديق احمد، (2017م): اثر الوجود الأجنبي في السودان علي الأمن الاجتماعي دراسة، حالة ولاية الخرطوم، ورقة بحثية لنيل درجة الماجستير في دراسات الكوارث والأمن الإنساني، جامعة إفريقيا العالمية، عمادة الدراسات العليا، كلية دراسات الكوارث والأمن الإنساني، قسم العون والأمن الإنساني، الخرطوم، السودان

6. الحسن، إحسان محمد، (2001م): علم الإجرام، بغداد، العراق.
7. الخير. صفوح (1990م): البحث الجغرافي مناهجه واساليبه. دار المريخ للطباعة والنشر، ط1، الرياض، السعودية.
8. دائرة الجنايات كسلا، (2019م): تقارير متعددة عن الاتجار بالبشر بولاية كسلا، ولاية كسلا، السودان
9. الدخيل، عبد العزيز عبد الله، (2005م): معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية، دار المناهج للنشر والتوزيع، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية.
10. شرطة المباحث كسلا، (2019م): تقارير متعددة عن الاتجار بالبشر بولاية كسلا، ولاية كسلا، السودان.
11. الشيخ، احمد حسن الشيخ، (2017م): مرونة النظم المحلية في التكيف مع الجفاف في ولاية شمال كردفان، مجلة جامعة بخت الرضا، العدد العشرين ابريل 2017م، ص ص 11 — 26، الدويم، السودان
12. طوقان، ارب عوني يعقوب، (2012م): التوزيع المكاني للجريمة في مدينة نابلس ومجتمعاتها- دراسة في الجغرافيا الاجتماعية، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، رسالة ماجستير غير منشورة، نابلس، فلسطين.
13. عمارة، محمد، (1998م): الإسلام والأمن الاجتماعي، دار الشروق، ط1، القاهرة، مصر.
14. قمر، عصام، (2008م): المشكلات الاجتماعية المعاصرة، ط1، دار الفكر، عمان، الأردن.
15. الماوردي، (د.ت)، الأحكام السلطانية: الطبعة الأولى، مطبعة السعادة ومطبعة الوطن.
16. المشهداني، أكرم عبد الرزاق، (2005م): واقع الجريمة واتجاهاتها في الوطن العربي - دراسة تحليلية لجرائم السرقات والقتل العمد والمخدرات، الطبعة الأولى، جامعة نايف للعلوم الأمنية؟، الرياض، السعودية.
17. المهيرات، بركات، (2000م): جغرافية الجريمة، ط1، دار مجدلاوي للنشر، عمان، الأردن.
18. النبهان، محمد فاروق، (1989م): مكافحة الإجرام في الوطن العربي، دار النشر المركز العربي للدراسات الأمنية، الرياض، السعودية.
19. هارون، علي احمد، (2000م): جغرافية الزراعة، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر
20. وزارة التخطيط العمراني (2017م): خريطة ولاية كسلا، كسلا، السودان.